الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي مغنية

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: لسانيات النّص وتحليل الخطاب

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د

تجليات اللسانيات النصية في الدرس اللغوي العربي الحديث

– سعد مصلوح أنموذجا–

إعداد الطالب:

دماني بلقاسم

إشراف:

أ. د. إبراهيم منّاد

الموسم الجامعي: 2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: لسانيات النّص وتحليل الخطاب

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د

تجليات اللسانيات النصية فِي الدرس اللغوي العربي الحديث

–سعد مصلوح أنموذجا –

إعداد الطالب:

دماني بلقاسم

إشراف:

أ.د: إبراهيم منّاد

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	لعشريس عباس	أستاذ التّعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	رئيسا
02	إبراهيم منّاد	أستاذ التّعليم العالي	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان	مُشرفاً ومُقرّراً
03	دحماني حمزة	أستاذ محاضر*أ*	المركز الجامعي مغنية	مُشرفاًمُساعداً
04	منصوري مصطفى	أستاذ التّعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوًا مُناقشاً
05	حورية مرتاض	أستاذ محاضر*أ*	المركز الجامعي مغنية	عضوًا مُناقشاً
06	محمدالصالح بوضياف	أستاذ محاضر*أ*	المركز الجامعي النعامة	عضواً مُناقشاً

الموسم الجامعي: 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

– "إذا لم يأنس الكاتب في ما يكتبه جديدا يُساق، فالأجمل به أن يطّرح الأقلام ويطوي الأوراق.....".

– " الباحث إذا فقدَ الدّهشة فقدْ فَقَدَ حقيقة العلم، لا ينبغي أن تنزلق عينُك على سُطوح الأشياء، وينبغي أن تَدْهش ممّا لا يَدهشُ غيرُك منه..."

سعد مصلوح

عَمَّى الحقيقةَ أنّ أكثرَ راصِدي أبـراجِها كُـلٌّ له منـــظارُ**

ولَو انّهُمْ مِنْ واحدٍ بَصـروا بها ** ما زاغت الآراءُ والأفكارُ

عبد العزيز مصلوح

عرفان

بعد شكر الله تعالى على فضله ونعمه، فإنه:

يطيب لي أن أتقدم بآيات الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور المشرف: "**إبراهيم مناد** "نظير ما قدمه من توجيهات وإرشادات طيلة أطوار هذه المرحلة، والشكر موصول إلى رئيس مشروع الدكتوراه: **الأستاذ الدكتور:"لعشريس عباس"**، وإلى كل **الأساتذة الكرام** الذين رافقونا خلال مرحلة التكوين كلّ واحد باسمه ورتبته، كما لا أنسى- وأنا في مقام الشكر- أن أرفع خالص تقديري للأستاذ الدكتور: " **بوشيبة عبد القادر**" الذي عايش معي فكرة هذا البحث ورسم قسماته الأولى وإلى **أعضاء اللجنة الموقرة**، وإلى كل **زملاء الدراسة محمد ياسين بربيط، ماجدة خالدي وسميرة شارف**...، وإلى كل العمال والموظفين" **بالمركز الجامعي مغنية**".

فإليهم جميعا أسمى عبارات التقدير والاحترام

الطالب: بلقاسم دماني

الإهداء

إلى **الوالدين الكريمين**- حفظهما الله-

إلى **الزوجة الفاضلة** التي كانت سنداً لي في كلّ الأوقات.

إلى **الأبناء "محمد أصيل" و" نور لميس" و"خالد"**، وخصوصاً **الشقيقة (نورة)**

إلى كلّ **الإخوة والأخوات** ...

إلى كلّ الذين **شهدو معي مزالق هذا الطريق الوعر، ومعهم انبثقت جدائل إشكالاته الأولى**

إلى **شيخ العربية وإمامها الدكتور: سعد مصلوح –حفظه الله–**

إليهم جميعا اهدي هذا العمل

مقـــــــــدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

الْحمْد لِلَّه ربِّ الْعالمين **الحمْد لِلَّه** حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُبارَكا فِيه، والصَّلاة والسَّلام على سَيِّد المرْسلين مُحمَّدا وَعلَى آله وَصحبِه، وَبعد:

استقرت المعرفة اللسانية الحديثة بكل تفرعاتها على قيمة علمية، ومنهجية كبيرة بين مختلف العلوم والمعارف، وذلك بفعل ما توصلت إليه من نتائج فارقة في دراستها اللغوية الحديثة والمعاصرة، مما حذى بالباحثين العرب إلى محاولة التقرب من هذا المبتغى العلمي، بغرض الاستفادة مما تتيحه هذه العلوم والمعارف من إمكانات وإجراءات دقيقة وتوظيفها في دراسة اللغة العربية فأضحت الساحة العربية مسرحا لهذا التلاقح والتبادل بفضل المثاقفة وحركية الترجمة، وهكذا فقد أحدث هذا المنعطف تحولا في دراسة اللغة وقضاياها ومناهج تحليلها، وكان للسانيات النص بوصفها فرعا معرفيا جديداً ظهر في ستينيات القرن المنصرم، أن شكلت أحد أهم أركان هذه المثاقفة التي كان لها الأثر الأكبر في انتشار الكثير من الأبحاث والمؤلفات الرائدة في هذا المجال المعرفي، وهي إسهامات جادة وفاعلة استطاعت أن ترسم القسمات الأولى للسانيات النص في الثقافة العربية ضمن إطار منهجي له أبعاده المعرفية المحددة، ويجدر بنا في هذا المقام أن نتوقف عند كتابات **سعد مصلوح** التي شقت طريقها في هذا الصرح العلمي منتهجة دربا جديدا لم يألفه الباحثون، مضيفةً إلى معطياته ما يتناسب مع الثقافة العربية، ليفتتح بذلك آفاقاً جديدة لعلوم العربية المختلفة، هذا المطلب العلمي الجليل الذي لا يتحقق حسبه إلا في ضوء لسانيات النص، لما تكفله من وسائل تمنح الثراء والتنوع لجعل هذه الصلة أمراً مُتَحققاً، وذلك عبر الإفادة من معطيات التراث وتشكّلات المعاصرة للنفاذ إلى آفاق مختلف العلوم، وهي بلا شك كتابات شكّلت أهم تجليات هذا النهج المعرفي الجديد وأسهمت في تأسيسه وإرساء قواعده في صلب الدرس اللغوي العربي الحديث.

إن المتتبع للمشروع اللساني النصي للدكتور سعد مصلوح يلحظ من خلال منجزه المتنوع أن بحوثه تتميز بالجدة والجودة في الطرح، والدقة في التناول، إضافة إلى الانضباط المنهجي المحكم، والتنوع في التعامل مع المادة العلمية، وذلك من خلال ثقافته الموسوعية التي تتسع للكثير من العلوم والمعارف، وهو ما انعكس على أعماله التي اختلفت بين التنظير والتطبيق والنقد والمراجعة، هذا التنوع والثراء الذي قلّما ينعقد عن باحث، إنما كان نتيجة انشغاله الدائم بقضايا اللغة والأدب،

برؤية علمية حضارية منفتحة على التاريخ بمصرعيه القديم والحديث، فقدم بذلك جهداً مكثفاً، ومساهمة فعالةً يقل نظيرها في العالم العربي، هذه الجهود التي تَكشف من القراءة الأولية عن الطبيعة التأليفية الواسعة التي تفتح آفاقاً عريضةً لبحوث متنوعة، منتهجاً في نقاشه للموضوعات نهجاً نوعياً تكاملياً يتسع إلى العلوم المقاربة، ليجد المتلقي بين يديه تاريخاً ثقافياً ولسانياً متنوعاً، ليس محصلة لحظة قصيرة، وإنما عصارة فكر ثاقب ومتميز، ازداد زكاؤه ونماؤه على مدار نصف قرن من العطاء.
ومن هذه المؤلفات ما له صلة مباشرة بموضوع الدراسة وأعني "**نحو النص**" أو "**لسانيات النص**" أصدر سعد مصلوح بحثه الأول المعنون ب" **العربيَّة مِن نَحْو اَلجُملة إِلى نَحْو اَلنَّص** " المنشور ضمن الكتاب التذكاري عن الأستاذ عبد السلام هارون بجامعة الكويت سنة 1990، وبحثه المعنون :" **أجْروميَّة اَلنَّص اَلشعْرِي دِراسة فِي قَصِيدَة جَاهلِية** " الذي نشر في مجلة فصول المجلد 10، سنة1991، والذي أعيد نشره في كتابه "البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية –آفاق جديدة" الصادر عن جامعة الكويت، سنة 2003 ، و" **المذهب اَلنحوِي عِند تَمَّام حَسَّان مِن نَحو اَلجُملة إِلى نَحو اَلنَّص** " المنشور عن جامعة القاهرة المجلد 59 العدد 3 سنة 1999 ، والذي أعيد نشره في كتاب" اللسانيات المعاصرة، دراسات ومثاقفات" المنشور سنة 2004 ، إضافة إلى مبحثه المعنون :" **مُشكل العلاقة بَين البلاغة العربيَّة والأسلوبيَّات اللِّسانيَّة** "، الذي ضمنه المؤلِّف في كتابه:"في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية– آفاق جديدة" الصادر عن جامعة الكويت، سنة 2003. وجاءت البحوث متسلسلة ومتكاملة زمنياً ومعرفياً ومنهجياً، إذ إنّ كلُ بحث يُفضي إلى البحث الذي يليه، فيُبنى عليه ولا يقوم إلا به، وهذا التسلسل إنما ينطلق من التنظير في بحثه الأول اللغة العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، وتطبيق في مبحثه "نحو أجرومية النص الشعري" والذي طبق فيه الباحث إجراءات التحليل النصي، إضافة إلى تطبيقات لمناهج لسانية أخرى كالأسلوبية والبلاغية، ومبحثه المعنون بمشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، والذي يسعى من خلالهما إلى الدعوة للانتقال بالنحو العربي والبلاغة من نحو الجملة إلى آفاق النص، وبحثه الأخير الذي أتى بشكل مراجعة نقدية تقويمية عنوانها " المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص"، وهذه البحوث جاءت على شكل متتابع من التنظير إلى التطبيق ثم المراجعة النقدية القائمة على التقييم والتقويم ، والحقيقية أنه ليس من اليسير إدراج جهود "**الدكتور سعد مصلوح**" في مجال مخصوص حيث تنوعت أعماله بين النحو والبلاغة والدلالة

والأسلوبية والنقد والترجمة، وبين التاريخ والثقافة والمثاقفة، وهو ما جعلنا نبحر معه عبر مداخل علمية عديدة ومتنوعة.

وفي ضوء هذا الطرح الذي سبق استلهمت هذا الموضوع بعد أن شدني إليه الأستاذ المشرف فعدت إلى مؤلفات سعد مصلوح في هذا المجال تحديدا، كما بحثت في الأعمال التي تناولت كتاباته والتي وجدتها قليلة جدا مقارنة مع قيمة العمل المطروح، من حيث السبق والريادة والمنهج المعتمد، فعزمت أن أخوض غمار هذه التجربة، وأن أسبر أغوار هذا النوع من الكتابات فجاءت صياغة العنوان كالآتي : **تجلِّيَات اللِّسانيَّات النَّصِّيَّة فِي الدَّرْس اللُّغَويِّ العرَبيِّ اَلحدِيث –سَعْد مَصلُوح أُنْموذجًا**– ودلالة العنوان تَهدي إلى التركيز بصفة خاصة على جهود العالم اللغوي العربي" الدكتور سعد مصلوح"في مجال لسانيات النص، واعتباره أنموذجا عربياً حديثاً ينوب عن غيره في هذا المجال، كما لا أنكر أني وقفت طويلا أقلب النظر في نعت جهوده بوصفها" **تجليات**" مخافة أن يحمل المعنى إلى غير محلّه ، وأن قصدي به في أن جهوده قد مثّلت ضربا من الريادة والنبوغ في غرس هذا المجال المعرفي في صلب الثقافة العربية، ولذلك جاء المصطلح إثباتا موافقا لهذه الخصوصية، من خلال محاولة **استجلاء** وكشف مظاهر هذا التفرّد وإبراز محدداته العلمية والمعرفية وبيان أهم **التجليات** التي عبّرت عنها مواقفه من القضايا العلمية الشائكة، وعلاقاته بمصادره ومرجعياته، وبيان إفادته منها، وإبداعه اللاّمتناهي من خلالها، إضافة إلى كل ما يفرزه هذا المصطلح من إثارة دافعة للكشف والإظهار والوصف والتحليل.

*أما عن **الأسباب** التي قادتني إلى هذا الاختيار فهي متعددة ارجعها إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

أما **الأسباب الذاتية** فقد تمثلت في:

الإحاطة بجهود سعد مصلوح اللسانية النصية بوصفه أحد المؤسسين العرب لهذا الإتجاه المعرفي.

أما **الأسباب الموضوعية** فتتمحور حول:

– بيان موقع لسانيات النص في الثقافة العربية وحدودها المعرفية.

– التعريف بجهود سعد مصلوح في هذا المجال، خاصة وأن الكثير من المنشغلين يجهل تماما جهوده المتميزة، من حيث التأسيس والقيمة المعرفية.

– قلة البحوث والأعمال المنجزة حول جهود سعد مصلوح في هذا المجال المعرفي، والتي غفل عنها الباحثون ولم تنل حظها من الدراسة والتمحيص بوصفها مشروعا فكرياً ضخماً، إضافة إلى التعريف بقيمته العلمية والمعرفية، وذلك لجهل الكثير من المهتمين بإسهاماته المتميزة والريادية في هذا المجال تحديدا.

– تزويد المكتبات الجامعية بهذا النوع من البحوث، الذي يسمح بالتعريف بالإسهامات الجليلة لعلمائنا ومنظرينا.

وبناء عليه جاءت إشكاليّة البحث على النحو التالي:

–مَا الأهمِّيَّة العلْميَّة والْحضاريَّة اَلتِي قدَّمهَا سَعْد مَصلُوح مِن خِلَال مَشرُوعه فِي لَسانيات اَلنَّص؟، ومَا أهمَّ الآثَار الإيجابيَّة اَلتِي خلَّفهَا فِي الدَّرْس اللُّغَويِّ العرَبِيِّ اَلحدِيث والْمعاصر؟

والدراسة إنما تنحو في الإجابة عن هذا السؤال المركب من جزئين، إلى تفصيل التحليل فيما انبثق من **إشكاليات فرعية يمكن إجمالها فيما يأتي:**

1/– مَا أهمُّ المرْجعيَّات الفكْريَّة والْمبادئ المنْهجيَّة اَلتِي اِستنَد عليْهَا فِي بَلورَة مَشرُوعه اللساني النصي؟

2/– مَا أهمُّ المقوِّمات النَّظريَّة والْإجْرائيَّة اَلتِي اِنبنَى عليْهَا المشْروع اللِّسانيُّ اَلنَّصي العرَبِيُّ عِنْد سَعْد مَصلُوح؟

3/ – مَا أهمُّ المحدِّدات العلْميَّة للمراجعات التقويمية عِنْد سَعْد مَصلُوح؟ ومَا تجلِّياتهَا على لَسَانْيَاتْ اَلنَّصِّ تَحْدِيدًا؟

4/– إلى أيِّ مدًى يُمْكِن تُمثِّل الوعْي والرُّؤْيَا المنْهجيَّة فِي قِراءَة سَعْد مَصلُوح لِلتُّرَاث البلاغيِّ؟ ومَا خُصوصِيَّة هَذِه القراءة؟ ومَا أهمُّ مُميِّزاتهَا؟ وَمَا أَهَمَّ اِنْعِكَاسَاتِهَا عَلَى اَلْبَحْثِ اَللِّسَانِيِّ اَلنَّصِّيِّ؟

*ومن ثمة قد رمت من خلال هذه الدراسة تحقيق **الأهداف** التالية:

– تهدف الدراسة بشكل رئيسي إلى إبراز جهود مفكرينا، وتحليلها بغرض الكشف عن قيمتها المعرفية، ومحاولة وصلها بما تقدم، وبيان مناهجها واستبانة منطلقاتها ومرجعياتها الفكرية، وتحديد اتجاهاتها المعرفية، واستثمار ما تحقق في سبيل تطوير البحث اللساني العربي.

– رصد واقع التأسيس والتطور في مجال لسانيات النص في الثقافة العربية، من خلال التعريف بجهود سعد مصلوح في هذا الميدان المعرفي في ظل غياب دراسات حقيقية تعني ببيان هذه الجهود وكشف مراميها.

– إبانة الجانب الإبداعي والفكري لسعد مصلوح في المجال المعرفي، من خلال حرصه على محاولة صياغة إطار نظري للسانيات نص، والأسلوبيات اللسانية صياغة عربية تستمد أصولها من جذور الثقافة العربية.

ولذلك فقد إلتزمت **بالمنهج الوصفي اَلمُعزز بِآليَّات التَّحليل والنَّقد**، وذلك من خلال وصف هذه الجهود ومناقشة أهم قضاياها، وإعادة قراءتها، ومعالجتها بطريقة أفقية تقتضي إلزاماً بالوصف والشرح والتعليق على النص كلما رأينا أنَّ المقام يقتضي ذلك، كما لا ننكر أن دراستنا اتخذت اتجاها رأسيا في بعض المواضع لمعالجة بعض القضايا الشائكة التي فرضتها خريطة الأستاذ سعد مصلوح الصعبة وطريقها المحفوف بالمزالق والمخاطر، وذلك لما تحتويه من سعة وشمول، وجرأة في تقصي الأمور، ولعل شفيعنا ومعيننا في تذييلها، استدعاء مختلف الآراء التي تتقاسم معها نفس الرؤية وتحليلها، لما في ذلك من إثراء للموضوع، وتوسيع في إطار البحث، مُوليًا المنحى العمليّ التّطبيقيّ(الإجرائي) الجانب الأكبر من فصول هذه الدراسة .

وللإجابة عن الإشكاليات سالفة الذكر ارتأيت إلى:

* تَقدِيم خُطَّة مُكَونَة مِن (**أَربَعة فُصُول إجرائية**)، يسْبقهَا مَدخَل عامٌّ، وَتَليهَا خَاتِمة جَامِعة.

– أحاط **المدخل العام** الموسوم :" **لسانيات النص: الدواعي والمفهوم والآفاق**" بعنوانين عامين أولهما ذو إطار منهجي بحت، وُسم: " **الإطَار الإبستمولوجيِّ لِلِّسانيَّات النَّصِّيَّة** ، تكفل هذا الإطار بمهمّة التعريف بأهم المصطلحات المشكلة لهذا المجال المعرفي في الحقلين الغربي والعربي، كالجملة والخطاب والنص والأثر، إضافة إلى محاولة تحرير العلاقات الشابكة بينها وبيان حدود كل منها، والثاني ذو إطار تاريخي واضح وُسم: **نَشأَة وتطوُّر اللِّسانيَّات النَّصِّيَّة** " حيث تناول الخطوط

العريضة التي شكّلت نشأة اللسانيات النصية في بداياتها الأولى في الدرس اللغوي الغربي، وأهم الرّواد الذين كان لهم الفضل في نشأتها، وانتهى بالكشف عن أهم مسوّغات ومبررات هذا الانتقال وتحديد المبتغى العلمي منه.

- نهض **الفصل الأول**: المعنون ب" **المرجعيَّة الفكريَّة لِسَعد مَصلُوح وتجلِّياتهَا المعرفيَّة** " بمهمة بحث الأصول والمرجعيات الفكرية والمبادئ المنهجية التي تشكل الخلفية والأرضية المتحركة التي ينطلق منها فيما يلجه من مداخل علمية، والتي تكون بمثابة انعكاس حقيقي لأنماط تفكيره وإنتاجه المعرفي والإبداعي، وعونا له في ما يصادفه من مواقف شابكة، وقضايا مصيرية، إضافة إلى تناولنا استكناه فاعلية هذه المرجعيات على المستوى الإبداعي والفكري سلبا وإيجابا، وبيان انعكاساتها على مستوى العمق والقيمة المعرفية.

- في **الفصل الثاني**: المعنون ب " **مُقومَات المشروع اللِّسانيِّ النَّصِّيِّ عِنْد الدُّكْتور سَعْد مَصلُوح** "، سعينا إلى تحديد الإطار التنظيري والإجرائي للدكتور سعد مصلوح ضمن مشروعه في لسانيات النص، أما " **المستوى التنظيري**" فنجده بشكل مكثف في كتابه "العربية من نحو الجملة إلى نحو النص "، حيث يروم من خلاله إلى طرح أمهات القضايا التي تعد اللبنات التأسيسية **لنحو نص عربي**، وأولها ضرورة الانتقال بالنحو العربي من نحو الجملة الذي ينتمي إليه بالأساس إلى رحاب نحو النص، أما "**المستوى التطبيقي (الإجرائي)**" والذي نجده ماثلا في بحثه" نحو أجرومية النص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية"، محاولا من خلاله الاعتماد على مقاربة نصية للكشف عن مدى فاعليتها الإجرائية في مقاربة النص الجاهلي، مركزا على قصيدة الشاعر المرقش الأصغر، حيث سعى إلى نهج مغاير للتحليل النصي يكون فيه أكثر بعداً عن استخدام الآليات التي يتيحها الشق الغربي ويقيم تحليله على وسائل تتلائم مع الثقافة العربية، إضافة إلى محاولة الكشف عن وظيفية البديع في نحو النص، وبيان دوره في تماسك النص وترابطه.

-أما **الفصل الثالث** فقد جاء تحت عنوان:" **تشكلات المراجعة التقويمية في البحث اللساني النصي عند سعد مصلوح** " والذي بيّنا فيه حدود وأطر المراجعة التقويمية والقراءة المنهجية لكتاب تمام حسان " اللغة العربية معناها ومبناها" والمحاضرة التي ألقاها بالنادي الأدبي بجدة بعنوان "نحو الجملة ونحو النص"، حيث قدم صيغة متكاملة يمكن من خلالها الانتقال بالنحو العربي إلى سعة النص، كما أورد سعد مصلوح مجموعة من أوجه المطابقة وأوجه الاختلاف بينه وبين تمام حسان،

كماسعينا إلى قراءة أوجه المراجعة التقويمية مبرزين مرتكزاتها وخصائصها وأهدافها المعلنة والخفية، وأهميتها في إثراء البحث اللساني النصي العربي.

- ووقفنا في **الفصل الرابع** الموسوم " **المكون البلاغيِّ عِنْد سَعْد مَصلُوح – مِن نمطية اَلجُملة إلى تعددية اَلنَّص** –" على تمثلات الوعي المنهجي التي كان لها الأثر البالغ في توجيه قراءته الشاملة والمتكاملة للتراث العربي وعلاقته بالمعاصرة، من خلال إعادة قراءة كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي، قراءة حداثية جديدة منفتحة على روح العصر، ومدى مساهمته في تخطي الحواجز المفتعلة، وتجسير العلاقة بين التراث والحداثة، من خلال عقد حوار جدلي مع المؤلف، ومساهمته في مد جسور التلاقي بين العلوم الثلاثة لبلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ولسانيات النص، إضافة الى الاعتراف بقيمته في توجيه الأنظار إلى علوم حديثة كاللسانيات النصية والتداولية، وإلى إبراز المكانة الجديدة التي يتبؤها البديع في رحاب نحو النص.

وصولا إلى **الخاتمة** التي جاءت جامعة للعديد من النتائج المتوصل إليها، تتلوها قائمة بالمصادر والمراجع، وفهرس لمجمل المحتويات.

كما لا يدعي البحث فضل السبق بل هو في حقيقته نتاج **لدراسات سابقة** اعتمدت عليها، ويمكن القول بأنها كانت قليلة جداً، ومعظمها تناول قضية بعينها، ولم نجد دراسة شاملة لمشروعه في لسانيات النص، ويمكن أن نذكر بعض المراجع التي استفدنا منها في هذا الإنجاز:

بالنسبة **للمقالات العلمية** منها – فيما أمكنني الوصول إليه- مقالة:

-"لسانيات النص عند الدكتور سعد مصلوح" لعبد السلام حامد.

- في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر"كتابات سعد مصلوح أنموذجاً" لحافظ إسماعيلي علوي _ سؤال البلاغة عند مصلوح لأحمد يوسف علي.

- أما بالنسبة **للرسائل الجامعية** فلم أجد – على حد علمي – إلا رسالة الدكتوراه المعنونة :"النقد اللساني عند سعد مصلوح" للباحثة سامية بن دريس عن جامعة الاخوة منتوري بقسنطينة تحت إشراف الأستاذ يوسف وغليسي، وهي دراسة لم تتناول نحو النص عند سعد مصلوح إلا في فصلها الرابع، فضلا عن كونها تعطي تصوراً عاماً ومختصراً لأجرومية النص عنده، كما لا أنكر أنها قد حفلت ببعض اللفتات الدقيقة التي استفدنا منها في بعض مواطن هذه الدراسة، إضافة إلى استفادتنا

من جملة من المراجع التي لها صلة مباشرة وغير مباشرة بموضوع دراستنا وهي مثبتة بقائمة المصادر والمراجع.

– أما فيما يخص **الصعوبات** التي واجهتنا في إنجاز هذه الدراسة فأولها عدم توفر المصدر التي أعتمد عليها كالمحاضرة المعنونة ب" من نحو الجملة الى نحو النص" التي ألقاها الدكتور تمام حسان في النادي الأدبي بجدة، وغيرها مما له صلة مباشرة بموضوع الدراسة، وثانيها العجز الذي ينتابني في كثير الأحيان على مسايرة "**الدكتور سعد مصلوح**" في الانتقال عبر مختلف العلوم والحقول المعرفية ذات الصلة بالموضوع الواحد، إضافة إلى صعوبة تحديد مراميه ومقاصده ومخافة الوقوع في التأويل البعيد، مما جعلتني أستعين ببعض البحوث الوسيطة لفك تلك الشفرات، إضافة إلى ندرة بعض مؤلفاته في المكتبات أو على الشابكة، ورغم كل ما توالى من الصعاب في هذا الطريق الوعر، إلا أنّ الاستعانة بالمولى عز وجل، ودعم المشرف الذي لم يبخل بشيء وكان خير معين، والإرادة التي كانت داعما أساسيا في كل اللحظات العسيرة، تمكنت من إضافة الشيء القليل إلى هذا الحقل المعرفي، وهو عمل نعتبره خطوة جديدة دافعة للاستفهام الإيجابي المستمر، من أجل تسليط الأضواء على منجزات علمائنا ومفكرينا وتثمين آرائهم العلمية واستثمارها، بغية الانطلاق من حيث انتهوا للوصول إلى نتائج فارقة .

وبعد: فلست أدعي الكمال لعملي هذا، ولست أدعي لنتائجي بأنها القول الفصل، وإنما حسبي في ذلك أني بحثت في كلّ جوانب هذه "المغامرة العلمية" بطريقة علمية وموضوعية، وتجردت فيها من كل النوازع الذاتية، ولم أغفل على كل ما له صلة بها، والمعروف أن الأوليّات مظنّة للنقص فإن أصبت في شيء منها فَفَضل مَنَّهُ الله عليَّ، وان قصرت فنقص ساقه العجز إليَّ وشفيعي أني اجتهدت وأَبَنْتُ جهدي عن ناظري مخلصا النية في العمل، راغباً في الوصول إلى جزء من المأمول.

ختاماً: أجد أنه من الجدير أن أنسب الفضل إلى أهله عرفاناً وامتناناً، بأن أتوجه بجزيل الشكر لأستاذي المشرف، **الأستاذ الدكتور: إبراهيم مناد،** لما بذله من جهد في توجيهي وإرشادي، ومنحي العناية الصادقة والتشجيع الدائم لإتمام هذا العمل– فجزاه الله عني خير الجزاء– والشكر موصول إلى **أعضاء لجنة المناقشة** لتحملهم عناء قراءتها وتفحصها، ولما سيقدمونه من ملاحظات وتصويبات لجعل العمل يظهر في أحسن صورة وأبهى حلة.

أَسأَل اَللَّه أن يَجعَل عَملِي هذَا خالصًا لِوجهه اَلكرِيم، وأن يَكتُب مَا أُريد لَه مِن التَّقَبُّل والاسْتحْسان والنَّفْع والسَّداد، وأن ينفع به كما انفع بأصله.

الطالب: دماني بلقاسم – مغنية في :4 ربيع الاول 1444

الموافق ل 30سبتمبر 2022

المـــــدخل

لسانيّات النص: الدواعي المفهوم والآفاق

تمهيد:

مع بداية النصف الثاني من القرن المنصرم شهدت الدراسات اللغوية منعرجا حاسما ومهما تمثل في تحوّل الكثير من الباحثين إلى الاهتمام بالنصوص والخطابات التي تعبّر عن اللغة في حالة الاستخدام الفعلي في موقف اتصالي محدد، من منطلق كون النص أكبر وحدة لغوية خاضعة للتحليل، وبذلك شكل النص أهم القضايا المركزية في التفكير اللّساني الحديث، وموضوعا مركزيا تؤلف حوله الكتب والمؤالفات، والجدير بالذكر أن هذا التحول أحدث ثورة علمية ولغوية على المفاهيم والتصورات التي كانت سائدة آنذاك، والتي كانت تنظر إلى الجملة [1] بأنها أكبر وحدة لغوية يمكن أن تطالها وسائل البحث، وأدوات الوصف اللغوي، هذا التصور الذي أثر سلباً على تطور البحث اللغوي مدة طويلة من الزمن، يقول الشاوش في هذا الصدد "وقد شهدت التيارات النقدية أزمة في أواسط الستينيات جعلتها تتوجه إلى علم اللغة بحثا عن الحلول للمآزق التي ظهرت فيها ولم يكن علم اللغة – بالأدوات المتوفرة له وفي الوضع الذي كان غالبا عليه في تلك الفترة – قادرا على الاستجابة إلى آمال رجال النقد والأدب، ولما كان عماد الأدب والنقد النصوص لا الجمل وفنون الكلام لا الأشكال النظرية المجردة فإنهم قد وجدوا في ذلك المطية الشرعية للدعوة إلى توسيع موضوع الدراسة اللغوية ليشمل النص والخطاب ويتجاوز حدود الجملة الواحدة"[2].

وفي هذا السياق يمكننا القول إنّ هذا التجاوز من مجال الجملة إلى مجال النص، لم يكن يعني القطيعة التامة مع هذا العلم ولا هو توسيع للسانيات الجملة بما يستدعي الإعتماد على نفس الأدوات في مقاربات النصوص وقضاياها، بقدر ما هو قفزة معرفية ضرورية لتصحيح المسار اللغوي وتطوير للمناهج البنائية السائدة، وإعادة بناء اللسانيات الحديثة، بناء يقوم بالأساس على اعتبار النص دلالة كلية تتشكل من خلال العلاقات المختلفة التي تربط الجمل مع بعضها البعض، وهو

---

[1] – الجملة من حيث هي" وحدة لغوية قابلة للوصف النحوي تحلل من زاوية واحدة، وهي كونها تركيبا نحويا مجردا"، بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة تواصل، جامعة باجي مختار عنابة، عدد14، جوان 2005، ص92.

[2] –محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، سلسلة اللسانيات، مج14، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1 ،2001، ص 80.

بذلك ليس حاصل جمع دلالات الجمل المكون له، بل على العكس تماما حيث تأخذ دلالاتها من مجموع دلالات النص، فتجسّد الجمل بذلك وحدة دلالية يشكلها النص بتمامه وكماله[1].

1/ اللسانيات النصية ودواعي التأسيس:

إنّ المتتبع لمسار اللسانيات النصية يلحظ الاهتمام المتزايد بهذا المجال المعرفي الذي تشكلت قسماته الأولى بفعل التصورات النصية التي دعا إليها الكثير من العلماء قبل ظهوره الفعلي في ستينيات القرن المنصرم، حيث نجد أن ديسوسير لم يستعمل كلمة texte باعتبارها مصطلحا، وإنما وردت عرضا في كتابه دروس في الألسنية العامة، وفي معرض حديثه عن موضوع الدراسة الفيلولوجية باعتباره علما يتناول ضبط النصوص وتأويلها والتعليق عليها، ولكن هذا لم يمنعه من الإشارة إلى أن الإنسان لا يعبر بكلمات منفصلة، وأنه لا يمكن أن يكون لهذه الكلمات معنى ودلالة على أفكار معينة، ما لم توضع في علاقات مع بعضها البعض، وهو ما ذهب إليه ميخائيل باختين حين يقول "إن اللسانيات لم تحاول سبر أغوار المجتمعات اللغوية الكبرى، كالملفوظات الطويلة التي نستعملها في حياتنا العادية، مثل الحوارات والخطابات وغيرها، يجب تعريف هذه الملفوظات ودراستها هي أيضا دراسة لسانية باعتبارها ظواهر لغوية، إنّ "نحو "الكتل اللغوية الكبرى لا يزال ينتظر التأسيس، فاللسانيات لم تتقدم علميا إلى حد الآن أبعد من الجملة المركبة التي تعد أطول ظاهرة لغوية طالتها الدراسة العلمية (...) بإمكان اللسانيات إيصال التحليل إلى أبعد من هذا المستوى (...) حتى وإن اقتضى ذلك الاستعانة بوجهات نظر أخرى غريبة عن اللسانيات "[2]، كما يذهب جاكبسون إلى أن "السبب في محاولة الانشائية بعيدة عن اللسانيات هو اقتصار الدراسة اللسانية بشكل غير مبرر عن الجملة"[3].

---

[1] – وهو ما ذهب إليه فولفجانج هاينه مان حيث أقرّ بأنه "لا مبرر لانفصال علم لغة النص من علم لغة الجملة، بل إنه لا مبرر لتطابق مباحثهما، فهو ينطلق إلى حد بعيد من علاقة تكاملية بين علمي النص والجملة، إذ ينظر إلى بحوث علم لغة الجملة على أنها شرط جوهري للدراسات اللغوية النصية من جهة، بل يمكن أن يستوعبها علم لغة النص الشامل من جهة أخرى".فولفجانج هاينه مان وفيهقجر ،علم لغة النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مطتبة زهراء الشرق، ط1، 2004 ص6.

[2] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، ص61.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كل هذه الإشارات السابقة تلفت النظر في أغلبها إلى حتمية هذا التجاوز، ووجوب تحرر اللسانيات من قيود الجملة، ولذلك انصبت جهود الباحثين حول ضرورة هذا تجاوز موضوع الجملة التي اثبتت قصورها ومحدوديتها في معالجة اشكاليات الخطاب، والاهتمام باللسانيات النصية أو نحو النص بوصفه مجال معرفي حديث يهتم بدراسة النصوص وكيفيات انتظامها، وباعتبار هذا يعد الباحثون اللسانيات النصية، بمثابة حلقة من حلقات التطور المنهجي للسانيات الحديثة، فهذا التجاوز لم يكن من فراغ وانما نتيجة مطالبات المتتالية لنحو يهتم بالنصوص الكبرى، وبذلك تكون اللسانيات مدينة للنحو التوليدي، الذي أسهم في الانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية اكبر يمثلها النص بكامله.

هذه الدعوات التي ترجمت إلى أفكار جادة كان لها فضل السبق في إرساء دعائم هذا العلم في العصر الحديث، ومنها الجهود المبكرة لقايل" h.weil" الذي علق تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، وفصل هذا التتابع على النحو، وقدم من خلال ذلك أفكار المعايير الوظيفية للجملة ومفهوما خاصا لأسلوب الافكار أيضا، وما تزال قواعد بناء النص البلاغية ضرورية، ولا يمكن الاستغناء عنها في دراسة النص، وبخاصة دراسة النص الشعري بمفهومه الواسع، يرى الكثير من الباحثين إلى أن بداية البحث في علم النص –بشكل عام –ترجع الى رسالة nyl التي بحثت فيها علامات عدم الاكتمال –وهي حجة نمطية في علم لغة النص – والتكرار بناء على أسس نصية، بوصفها إشارات وأشكال محددة للعلاقات"[1]، كما تعد جهود هاريس في بحثه تحليل الخطاب سنة 1952 بمجلة language اذ يعتبر أولى المحاولات الصريحة التي تكلمت عن وحدة أكبر من الجملة، وسماها تارة القول المتتابع وتارة الخطاب، حيث دعا هاريس إلى تجاوز مشكلتين الدراسات الوصفية وهما، قصر الدراسة على الجمل والعلاقات القائمة بين الجملة الواحدة، والفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي، وقد اعتمد على ركيزتين هما :العلاقات التوزيعية بين الجمل والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، ليقدم بذلك بحثا أسهم في التأسيس لنحو النص مما أكسبه أهمية كبرى في تاريخ اللسانيات الحديثة، متجاوزا التقليد الذي أرساه أستاذه بلومفيد، والذي يرى بأن النص ليس إلا مظهرا من مظاهر الاستعمال اللغوي غير القابل للتحديد.

---

[1] – ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، 1998ص17–18.

على الرغم من أهمية هذه الدراسة التي أشاد بقيمتها الكثير، إلا أنها لم من تخلو من الانتقاد فكثير من الباحثين من يقلل من قيمة هذا العمل ،بدعوى أنه لا يمت بصلة إلى تحليل الخطاب وأنه لا يعتبر جهدا متقدما في لسانيات النص بل في جزء منه، يرى هانز رايزر أن محاولة هاريس في دراسته الألسنية البنيوية كان بداية النهاية للبنيوية التقليدية لأنه حاول وصف اللغة من خلال جمل أساسية متعرضا لما يلحقها من تحويلات تؤدي إلى إنشاء سائر الجمل في اللغة ويمكن بواسطة هذه الطريقة أن تفسر كثير من الجوانب البنيوية المعنوية بالإضافة إلى تفسير الغموض بحسب رأيه ويذهب رايزر إلى أن هاريس" قد أشار إلى أن البنيوية التقليدية لم تتعرض إلى الوحدات اللغوية فوق مستوى الجملة لنبيّن العلاقة فيما بينها . وذلك ما دعاه لأن يقترح ضرورة العناية بتحليل الخطاب من أجل تحقيق هذه الغاية، ويرى رايزر أنه على الرغم من أن فكرة التحويلات قد وجدت دفعة قوية من تشومسكي و مدرسته ، فإن الإهتمام بتحليل الخطاب قد أتى في فترة متأخرة نسبيا"[1]، ويذهب هاينه مان وفيهفجر غلى ان هاريس "قد عبر على ان اللغة لا ترد في صور كلمات أو صور منعزلة، بل في نص مترابط بدأ من المنطوق المكون من كلمة واحدة حتى المؤلف المكون من عشرة مجلدات من الحوار الفردي حتى المناظرة العامة"[2]، يرى هاريس من هذا المنظور ان التحليل لا يبدأ من الجمل مهما كان نوعها بل من خلال النصوص بوصفها أجزاء من خطاب شامل وكامل، ومن ثم فالنصوص بالنسبة له هي : تتابعات بالنسبة لتلك الأقسام المتكافئة، ويمكن أن نعد هذه الفكرة الأساسية و الإجراء المنهجي لهاريس محاولة من المحاولات الاولى للاقتراب من وصف ظواهر نصي لكن الأهم من المدخل المنهجي هو حقيقة أن هاريس بوصفه واحدا من أولئك اللغويين قد حدد النص بأنه الموضوع الحقيقي لأوجه الوصف اللغوي"[3] . أمّا من الباحثين الذين نجدهم يقللون من أهمية الدراسة من خلال أنه يعتمد على نفس الأدوات المتخذة في وصف الوحدات الصغرى، ويرى أن المرحلة التالية هي مرحلة هاريس الذي أدخل مفهوم التحويلات التي تؤدي إلى معادلات نصانية وقد وجد مفهوم التحويلات طريقه إلى نعوم تشومسكي في مرحلة تالية : وعلى الرغم من ذلك فيرى دي بوجراند" أن نظرية التحويلات وفق نظرية التوزيعات قد وجدت قليلا من الإهتمام في

[1]- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقه للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1988،1، ص 23.
[2] - فولفانج هاينه مان وفيهقجر، مدخل إلى لغة النص، ص16.
[3] - المرجع نفسه، ص16-17.

دراسات تحليل الخطاب ويرى أن نظرية التحويلات التي تتمخض عنها التركيبات اللغوية المماثلة لا تخبرنا شيئا عن علاقات المعاني ببعضها بعضا، ويعني ذلك بإختصار أن نظرية هاريس لا توضح الأسس التي تصبح بها الجمل مترابطة من الناحية المعنوية في داخل بيئة النص"[1]، أما تورودوف فيقول ضمن نقده للدراسة فيقول "لنسجل في البداية بأن الدراسة الشاملة للنص كما هو منظور إليها هنا لا تتقلص إلى ما يسميه بعض ممثلي اللسانيات هاريس و تلامذته بتحليل الخطاب الذي ترتكز منهجيته على تقطيع النص إلى العناصر (عادة المركب أو عدد من المركبات المعجمة) المجتمعة في فتات التوازي: فئة مكونة من العناصر التي تستطيع الظهور في سياق مطابق أو متشابه. لذلك لا تنشغل لمعرفة ما إذا كان للعناصر المتساوية المعني نفسه أم لا. بعض الجمل (تحتوي على عناصر متساوية وأخرى غير متساوية). منذئذ مستوصف كما لو أن هناك علاقة تحويلية (مفهوم التمييز التحويلات التوليدية والتحويلات الخطابية) أنجزت بحوث موازية حول عناصر حملة التي تحتوي إحالتها على الجملة السابقة : أدوات التعريف .الضمائر... إلخ[2].

ثم انطلقت الدراسات اللسانية في مختلف الأقطار لتؤسس للاعتراف بنحو النص بديلا عن نحو الجملة وتوجيه نقدا صريحا لنحو الجملة ،وأهمها جهود" بتوفي، كونو ، جندن، دريسلر، فان دايك و شميدت»[3]، وقد توالت الأعمال في هذال المجال وفان دايك الذي وضع تصورا كاملا لنحو النص 1569 متجاوزا الأراء التي كانت مطروحة ومحاولة وضع أنحاء النص في كتابه بعض مظاهر نحو النص"، وبذلك يعد من اهم رواد هذا العلم إضافة إلى الكثير من العلماء أمثال شتمبل جليسون برنكر هرفرج سميث، يقول دي بوجراند في مقدمة كتابه النص والخطاب والاجراء :عقد العزم في أواخر عام 1976 على إنتاج "مقدمة للسانيات النص" بالتعاون مع ولفجانج دريسلر الذي صادفت مقدمته 1972 استقبالا حسناً... وكان الحل الذي جاء به البروفيسور دريسلر هو أن نوسع مجال اللسانيات ليصل إلى أقليم النصوص"[4].

---

[1] – يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 15-16.

[2] – تزيفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص33.

[3] – روبرت دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1998، ص66-67.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص64.

2/ الإطار الابستيمولوجي للسانيات النصية:

1.2/ مفهوم النص/ لغة:

لغة: تدل المادة اللغوية: (نصص) في اللغة العربية على جملة من **الدلالات**: **كالرفع والاظهار والاستقصاء والاحاطة وأقصى الشئ ومنتهاه وأخيرا التحريك**.

تختلف الدلالات الواردة في لسان العرب لابن منظور ولعل أكثرها وضوحا دلالة "الظهور" "[1]:

– **أولا**: **دلالة الرفع والاظهار**: ويتجلى ذلك في قوله: والنص رفعك للشئ، نص الحديث ينصه نصا أي رفعه، يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وفي قوله نصة الظبية جيدها: أي رفعته، ووضع على المنصة أي: على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة من تظهر عليها العروس لترى، ودلالة الرفع والاظهار تعني الخروج إلى دائرة البروز والتجلي والانكشاف.

– **ثانيا: دلالة الاستقصاء والإحاطة**: نص الرجل نصا إذا سأله حتى يستقصي ما عنده ونصص الرجل غريمه إذا استقصى عليه، وفي حديث هرقل ينصهم، أي يستخرج رأيهم ويظهره.

ثالثا: دلالة أقصى الشئ ومنتهاه: في قوله النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ونص كل شئ منتهاه، وأصل النص أقصى الشئ وغايته، وفي حديث علي بن أبي طالب إذا بلغت النساء الحقائق فالعصمة أولى.

– **ثالثا: دلالة التحريك**: يقول نصصت الشئ حركته، وفي حديث أبو بكر حين دخل على عليه عمر وهو ينصنص لسانه، والنص التحريك حتى تستخرج الناقة أقصى سيرها، والنصنصة تحرك البعير عن الأرض

ولم يبتعد الزمخشري هذه المعاني فيقول في الكشاف"انتص السنان :ارتفع وانتصب ونصصت الرجل إذا اخفيته في المسألة، ورفعته إلى حد ما عنده من العلم حتى استخرجته، وبلغ الشيء نصه أي منتهاه[2].

أمّا صاحب الصحاح فيقول:" نصَّ الحديث إليه: أي رفعه، و–ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السَّير، والشيء: حرّكه. ومنه: فلان ينصُّ أنفه عضباً، وهو نصاص الأنف، والمتاع :جعل بعضه

[1] – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج6، ج55، ص4442/4441 (المادة نصص).

[2] ــ ينظر، أبو القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق مزيد نعيم شوقي العمري مكتبة ناشرون، لبنان، ط1،1998، ص832-831.

فوق بعض وفلانا استقصى مسألته عن الشيء ، والعروس: أقعدها على المنصة بالكسروهي ما ترفع عليه فانتصت، والشيء أظهره"[1].

ما يلاحظ من خلال الدلالات السابقة أن هناك انتقال من الحسي إلى الذهني وصولا إلى الدلالة الاصطلاحية، وهو ما يمثل المفهوم العام الذي وصلت إليه الدراسات اللسانية. يقول عمر أبو خرمة في هذا الصدد" ونلحظ أن مفهوم النص عند دارسي النص، من الباحثين العرب، يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الوضوح والانكشاف، ولا يسلّم البحث بهذا الرأي، إذ لو أنعمنا النظر قليلا في المعنى المعجمي الذي قدمه اللسان، لوجدنا أمارات تفيد كثيرا في الوصول إلى مراد العربية بالنص"[2].

ويضيف أيضا " إذن؛ النص في العربية لا يعني الظهور والوضوح والانكشاف، كما ذهب إلى ذلك غير واحد – دون كل تلك المعاني المحتملة للفظ (نص)، بل يدل هذا اللفظ جملة على أمور أحدها الوضوح والانكشاف، ويحمل دلالات أخرى أيضا، ليست أقل حضورا في الذهن من الوضوح والانكشاف، وكل تلك المعاني التي عرضت أعلاه كانت حاضرة في الذهن لما وضع العربي هذا اللفظ (النص) إزاء مفهومه الاصطلاحي وعليه، فإن مفهوم النص عند العرب، لا ينصرف إلى معنى الوضوح والانكشاف –كما قرروا– بل يشمل كل ما ذكر أعلاه. ويمكن تركيز ما دار حوله الحديث سابقا من مميزات النص بالنقاط التالية، هي: الظهور والثبات ، وعلو المصدر، و الاستقصاء التام، والتركيب، والترتيب، و الاقتصاد"[3].

2.2/ مفهوم النص في الدراسات الغربية[4]:

يعرف ستورك هرتمان النص بأنه" متوالية من الكلمات تكوّن ملفوظا منجزاً"[5]، يشير هرتمان إلى ضرورة البحث خارج الكلمات والجمل والبحث عن مختلف العلاقات والأحداث التي تتحكم في عملية الإتصال كما أكد على التفريق بين تحقق النص في شكله المادي (وجود ذهني) ووجوده بالفعل (إنجاز فعلي) هذه العلاقة التي تتجلى بواسطة التفاعل بين منتج النص ومتلقيه الذي بدوره

---

[1] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مادة (نص)، 2008، ص1615-1616.

[2]– عمر أبوخرمة، نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، 2004، ص25.

[3]– المرجع نفسه، ص29.

[4] – لقد آثرنا رصد واستقصاء كل التعريفات الغربية والعربية الممكنة، بغية استبانة وجوه الاتفاق والافتراق بينها، ولتسليط الضوء على كل الأبعاد المرتبطة بهذا المصطلح الشائك.

[5] – محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النّص، ص82.

يحوله إلى معاني واضحة ، تعرفه هاليداي ورقية حسن بأنه "يشير في علم اللغويات الى فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان نوعها ،شريطة أن تكون وحدة متكاملة "[1]، يؤكد الباحثان على شرط الترابط في تحقيق نصية النص بحيث يكون وحدة معنوية ذات وحدة دلالية، وأنه لا يتحقق بفعل تولي الجمل من حيث هي وحدات تركيبية بل يتحقق بمختلف العلاقات التي تحكمهاكما ركزت على دور السياق في استجلاء الدلالة، ويشبر إلى هذا الكثير من تعريفات النص فهو عند هارفج " ترابط مستمر من الاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص"[2]، حيث يشير الى التنظيم الداخلي للنص و الامتداد الأفقي داخل النص من خلال خاصية الترابط والاتساق بين الوحدات، أما فاينريش فيرى بأنه : "تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل"[3]، يؤكد فاينريش على ضرورة ترابط الاجزاء المكونة للنص، و يشير ايضا الى الوحدة الدلالية والبنية الكلية ، وحدّه برنيكر بأنه: "تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل "لا تحتضنها" تحت أي وحدة لغوية أخرى "أشمل"[4]. النص أكبر وحدة لغوية، يقتضي الترابط من الإجراءات ما يكون به ظاهر النص، مبنيًّا بعضه على بعض نحويًّا، وما يكون به "عالم النص "مبنيًّا بعضه على بعض دلاليا، ومن ثَمَّ يكون النص مسبوكًا محبوكًا، وعند شميت النص هو"كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل، يحدد من جهة الموضوع ويفي بوظيفته التواصلية، لتحقيق كفاءة انجازية يمكن التعرف عليها "[5]، فالنص عنده يتطلب الوحدة الموضوعية والتماسك النصي اضافة إلى والقصد والهدف وهو جملة من الملفوظات ذات قدرة انجازية تأثيرية في وظيفة تواصلية"، و يعرفه ترودوف يقول "يمكن للنص أن يكون جملة كما يمكن ان يكون كتابا تاما وهو يعرف بإستقلاليته وإنغلاقه" ويواصل في وصف مكوناته" أنه نظام لا يجوز أن نطابقه مع النظام اللساني ،ولكن أن نضعه في علاقة معه، إنها علاقة تجاور وتشابه في الوقت نفسه"[6]، وهو يشير إلى أن العلاقة علاقة تجاور وتشابه وليست علاقة مطابقة.

---

[1] – محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النّص، ص 83

[2] – ليندة قياس: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجا، مكتبة الآداب، ط1، 2009، ص.21

[3] – أحمدعفيفي، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، 2001، ص27.

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6] – ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002، ص122.

ويذهب هيلمسليف إلى نفس الرأي حين يقول "إن النص ملفوظ منطوقا كان او مكتوبا ،طويلا او مختصرا ،جديدا أو قديما فكلمة قف (stop) تعد نصا مثلها مثل راوية الوردة"[1]، فالنص مفهوم إحالي غير محدد شكلا من ناحية الطول أو التركيب ولا من ناحية النطق أو الكتابة، إنما ينظر إليه من زاوية انغلاقيته، من خلال كمال النص وتمام المراد فلا يكون عدّ الجملة على انها نصا وحدها دون النظر الى العلاقات السابقة واللاحقة مع غيرها داخل التسلسل الجملي وما يلاحظ في هذا لتعريف انه يتوافق مع مفهوم الجملة عند النحاة العرب عندما يرون الجملة بأنها "الكلام الذي يحسن الوقوف عنده أي ان مفهوم النص يتوافق مع مفهوم الجملة"[2]، امّا إميل بنفيست فيرى انه "كل تلفظ يفترض متكلما أو مستمعا عند الاول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما"[3] أي انه كل تفوّه أو تلفظ يفترض جدلا ومتكلما ومستمعا ،داخل الاول نيّة وقصد التأثير في الثاني.

تعرف جوليا كريستيفا النص بأنه" جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللغة وذلك بكشف العلاقة بين الكلمات من منظور تواصلي، مشيرا إلى ما يربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة، أو المتزامنة معها"[4]، فالنص عند كريستيفا إنتاجية، والعلاقة بين النص باللغة التي ينشأ فيها علاقة توزيع من قبيل التفكيك (بناء /هدم) ما يفسر معالجته عن طريق مقولات منطقية ورياضية أكثر من مقولات لسانية، "حيث تبين في مقال لها (النص وعالمه) أن للنص توجيها مزدوجا، يبرز الأول كونه يميل نحو النسق الدال الذي ينتج فيه (اللسان واللغة في عصر ومجتمع معينين) ويتجلى الثاني في ميله نحو المسار الإجتماعي الذي يساهم فيه باعتباره خطابا"[5]، فالنص ينفتح دلاليا مع كل قراءة ومع كل قارئ ،أما كونه انتاجية أي افق مفتوح للانتاج يلتقى فيه المنتج والمتلقي هذا الأخير الذي يعيد بناء من حيث قواعد نظامه الأساسية وليس انطلاقا عوامل خارجية أخرى ويظل النص يعمل باستمرار دون توقف عن الانتاجية، كما تستند إلى مفهوم التناص الذي يندرج في إشكالية الإنتاجية

---

[1] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص 20.

[2]– حسين خمري، نظرية النص من بنية النص إلى سيميائية الدال، دار العرب ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2007 ص44.

[3]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004، ص37.

[4]– ينظر: j. kristeva: recherche pour une sémanalyse, éditions du seuil, paris, 1969, p52

[5] – سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2001، ص20.

النصية التي تتبلور ك "عمل النص" وهي هيمنة تركيبية تجمع لتنظيم نصي معطى بالتعبير المتضمن فيه، أو الذي يحيل إليه وذالك يكون التناص هوالتقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى، أن التناص هونقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة، والعمل التناصي هو اقتطاع وتحويل، كلمة "نص "عند رولان بارث تعني "النسيج ولكن بينما اعتبر هذا النسيج دائما على أنه نتاج وستار جاهز يكمن خلفه المعنى (الحقيقة) ويختفي بهذا القدر أو ذاك ،فإننا الآن نشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية التي ترى إلى النص يصنع ذاته، ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم: تنفك الذات وسط هذا النسيج، ضائعة فيه ،كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة "[1]، فالنص عنده نسيج وفي ذلك احالة على التشابكفي العلاقات المؤدية بدورها الى الترابط والتماسك لتشكل النص، وهي دلالات متقاربة ومتباعدة بوصفه فضاء تتوالد فيه البنى وتتفاعل المعاني ، وتشترك في تكوينه ابعاد لغوية وأخرى غير لغوية ،كما يعوّل على دور القارئ في استجلاء بنية النص.

ومن التعاريف الجامعة التعريف الذي نقله سعد مصلوح والبحيري عن دي بوجراند ودريسلار بأنه "حدث تواصلي يلزم لكونه نصا ان تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير[2]:

1/الاتساق::cohésion وهو التماسك الشديد بين العناصر المشكلة للنص ويهتم فيه بالوسائل اللغوية "الشكلية "التي تصل بين العناصر المكونة له.

ويتبدّى في المظاهر التالية:

ا–الترابط الموضوعي: وهي أن يعالج النصّ قضّية معيّنة، يكتنفه الوضوح والترابط والتماسك بين الافكار المشكلة له، من حيث هو وحدة دلالية كلية.

ب–التدّرج: ضرورة ان يكونّ للنصّ مسارًا معيّنًا غاية محدّدة، مما يفتح أفق التوقع لمعرفة المراحل التالية.

ج–الاختتام: ضرورة للنص بمنهجية ومسار واضح، ابتدء بمقدمة أو تمهيد الى عرض منتهيا بخاتمة، ليتمكن المتلقى من أدراك هدفه ومعرفة غايته.

---

[1]– رولان بارط ، لذة النص ، ترجمة فؤاد صفا والحسين سبحان، دار توبقال للنشر،المغرب،ط1، 1998، ص63.

[2] – محمد، الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص81

د–الهوّية والانتماء: أن يكون له نوع ودليل، وذلك من خلا معرفة الحدود المعرفية كل نص، وذلك حفظ لاتساق النص وترابطه

2/الانسجام: :cohérence وهو مجموع العناصر ووسائل التي تضمن الاستمرار الدلالي في عالم النص، والتي يمكن الوصل إليها بواسطة التجربة الإنسانية (الخبرة).

3–القصديّة: intentionnality ويتضمن موقف منشئ النصّ وهدفه من بناء نصّ مترابط ومتماسك، ومعناه ايجاد الترابط والتماسك من أجل انتاج نص وتحقيق هدف معين، أي هو تخطيط مسبق لبلوغ هدف محدد سلفا.

4–المقبولية: acceptability ويتعلق بالمتلقي ومدى استجابته وقبوله للنص.

5– المقامية:situationality : يتعلق بالسياق الثقافي والاجتماعي للنص .

6–الإعلامية:informativity تختلف درجة الاعلامية من نص لآخر، من منطلق لكل نصّ درجة معينة صغرى أو كبرى من الإعلامية ، فلا يمكن أن نجد نصّا لا يحمل أدنى قدر من الإخبار.

7– التناص : intertextuality ويتضمن النص علاقات مع نصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود معرفة سابقة به ، ذلك أن أي نصّ لا ينتج من فراغ ، بل يتفاعل مع غيره من النصوص لإنتاج نص جديد.

فالمعايير المتبعة التي اقترحها "دي بوجراند و دريسلر"شملت تحديدات للنص جميعها، فلا تحديد للنص "عموما" يخرج عن إطار هذه المعايير، فهي أشبه بلائحة حاضنة للسانيات النص وهذا الرأي عند أكثر الكتاب المحدثين فإذا ذُكرت عندهم معايير النص تبادر في ذهنهم مباشرة المعايير السبعة ل"دي بوجراند و دريسلر" كما لا يعني أن هذه المعايير مجتمعة يجب أن تتحقق دائما في كل نص، وإنّما المقصود أن اكتمال النص يتحقق بوجودها، يرى دي بوجراند أن من هذه المعايير ،معياران تبدو لهما صلة بالنص وهما الاتساق والانسجام.واثنان نفسيان الموقفية والتناص، أما معيار الاعلامية فهو بحسب التقدير، ولا يمكن ان يفهم واحد من هذه المعايير دون التفكير في العوامل الاربعة:(اللغة ،المجتمع،العقل، والاجراء)، ويمكن تصنيف المعايير على الشكل التالي: ما يتصل بالنص(الاتساق والانسجام)، وما يتصل بمستعملي النص منتجًا ومتلقيًا هما معيارا (القصد والقبول)، أما ما يتعلق بظروف انتاج النص وتلقيه هما معيارا (الموقفية و التناص).

وتجدر الإشارة إلى أن دي بوجراند قد عرف النص استنادا الى معاييره مجتمعة فهذا لا يعني تحقيقها في كل نص وانما يتحقق النص بوجودها، كما يمكن أن تتشكل نصوص بأقل قدر منها ولكن بوجودها جميعا يتحقق ما يسمى بالاكتمال النصّي، ومن هنا يتأكد دور التماسك في النص من خلال المعايير المتبعة التي ذكرها الباحثان لتحقيق ما يُطلَق عليه بالنصيّة فقد جعلا السبك "الاتساق" المعيار الأول، ويمثّل الربط الرصفي الذي يتعامل مع سطح النص. وأمّا "الانسجام فإنّه ويُعنى بمضمون النص ودلالته، لذا حظي المعياران بنصيب وافر من اهتمام اللسانيين. إذ شكّلا مجالًا واسعًا في البحث، حيث أُفردت لهما مؤلفات عديدة، حتى إننا لا نكاد نجد مُؤلَّفا ينتمي إلى لسانيات النص، أو نحو النّص...يخلو من هذين المعيارين.

ونلخص إلى القول إن جميع هذه التعريفات لم تخرج عن التحديد الأكبر وهو أن النص" الوحدة اللغوية الكبرى" و أنها قد راعت البعد الاجتماعي والتواصلي للغة، و نشير ضمن هذا التحديد إلى تعريف دي بوجراند أرقاها وأقربها الى الكمال، من حيث أنه يشمل كل أطراف العملية التخاطبية، من حيث أنه يجمع بين المرسل والمرسل إليه والسياق، إضافة إلى حديثه عن أدوات الربط الشكلية والدلالية دون الميل لعنصر على حساب الآخر.

3.2/ مفهوم النص في الدراسات العربية:

يرى محمد خطابي أن "النص وحدة دلالية، وليست الجمل إلا وسيلة يتحقق بها النص، أضف الى ذلك ان كل نص يتوفر على خاصية كونه نصا يمكن ان نطلق عليه (النصية) وهذا ما يميزه عما ليس نصا، فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية، التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"[1]، يتبين مما سبق أن النص وحدة لغوية ودلالية متكاملة، وليس تراكم كمي للجمل والعبارات التي تدخل في تشكيله، فالنص في بنائه أكبر من الجملة، وتتحقق نصيته من خلال الوسائل اللغوية المختلفة التي تسهم في تماسكه كالإحالات بأنواعها، والاستبدال ...

يعرف المتوكل النص بأنه "وحدة بنيوية من وحدات الخطاب، تحتل أعلى مرتبة في سلّمية التقعيد باعتبارها مجموعة جمل، وليست كل مجموعة من الجمل نصاً، فلا يقوم النص إلا إذا ارتبطت بين

[1] – محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991، ص13.

وحداته علاقات اتساق، ولا تشكل مجموعة من الجمل نصا إلا إذا كانت تكون خطابا أي وحدة تواصلية ذات موضوع وغرض معينين"[1].

مفهوم النص عند عبد المالك مرتاض: يرى أن "النص لا ينبغي أن يحدد بمفهوم ولا الفقرة التي هي وحدة كبرى، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصا، وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال والألغاز أما دلاليا فهو شبكة المعطيات البنيوية والإيديولوجية كلها تسهم في إخراجه إلى حيز الفعل والتأثير ومن هنا فهو يستند على نظرية القراءة في تحديد مفهوم النص فالنص قاسم له التجددية بحكم مقروئيته وعلى التعددية بحكم خصوصيته شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والأيديولوجية، تتضافر فيما بينها لتكوّن خطابا، فإذا استوى مارس تأثيرا عجيبا من أجل إنتاج نصوص أخرى، فالنّص قائم على التجدّدية بحكم مقروئيته، وقائم على التعدّدية بحكم خصوصية عطائيته تبعا لكلّ حالة يتعرّض لها في مجهر القراءة، فالنّص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدّد بتعدّد تعرّضه للقراءة" [2]، ويرى محمد الصغير بناني" بأن نص الحقائق هو الاكتمال والقدرة والنّضج"[3].

مفهوم النص عند سعيد يقطين: قدم سعيد يقطين تعريفا للنص في كتابه انفتاح النص الروائي بأنه ' بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية، ضمن بنية نصية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة"[4]، فالنص عنده دليل يستدعي دال ومدلول يشكلان معا بنية دلالية، تتجلى وتتمظهر من خلال المستويات التركيبية والنحوية والصرفية، وهو في تفاعل دائم داخل نسق ثقافي واجتماعي قائم على أساس عملية الإبداع والتلقي، مما يجعل النص في اشتغال دائم مع نصوص سابقة أو معاصرة.

النص عند محمد عبد اللطيف حماسة: يشير الباحث الى أن النص "لا يمكن ان يكون نصا الا اذا كان رسالة لغوية تشغل حيزا معينا فيها جديلة محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجديلة المضفورة تؤلف سياقا خاصا بالنص ينبت في المرسلة اللغوية كلها[5]" فالنص عنده رسالة مؤلفة

---

[1] – ينظر: أحمد المتوكل، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الرباط ،2001 ص81-82.

[2] - عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة"أين ليلاي"لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دس، ص55.

[3]– محمد، الصغير بناني، مفهوم النص عند المنظرين القدماء، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع12، 1997،ص40.

[4] – سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص32.

[5]– محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص15.

من مجموعة من المفردات والوحدات المعجمية، تخضع لنظام نحوي معين ، وتنشأ في سياق خاص بها، تؤدي غرضا تواصليا، وعليه ينبغي أن يكون لكل نص هدف وبناء وسياق[1].

ويشير" الأزهر الزناد"إلى ان "النص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض ، وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة، والمتباعدة في كل واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح نص "[2]، يعود الزناد إلى الدلالة الاشتقاقية للمصطلح وهو ما تتفق معه كل التعريفات من كونه يدل في احكامه على النسيج ويذهب "نور الدين السد" إلى أنّ النص ليس "مجموعة جمل فقط، لأن النصّ يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً أو شعراً أو حواراً، ويمكن أن يكون شيئاً من مثلٍ واحدٍ"[3] ، ويوضح ما قصد بيانه في نصيّة نص ما بقوله :"اقطف قليلا من الزهور، ضعها في مزهرية قاعة الاستقبال" هنا الضمير "ها" في الجملة الثانية يحيل إحالة قبلية إلى الزهور في الجملة الأولى، وما جعل الجملتين متسقتين متماسكتين هو وظيفة الإحالة القبلية للضمير "ها". وبناءً على ذلك فإن الجملتين تشكلان نصًّا"، يقدم "محمد مفتاح" جملة من التعاريف كونه " مدونة كلامية، يعني إنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسما أو عمارة... وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل.

-حدث: أن كل نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي

تواصلي: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب ... إلى المتلقي.

تفاعلي: على أن الوظيفة التواصلية في اللغة – ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.

مغلق: ونقصد انغلاق سمته الكتابية الايقونية التي لها بداية ونهاية، ولكنه من الناحية المعنوية هو

توالدي: أن الحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له ، فالنص إذن ، مدونة حدث كلامي ذي وظائف

[1] – أحمدعفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 25.

[2] – الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي الاسلامي، ط1 ،1993، ص12.

[3] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة الجزائر ،2010، ص 69.

متعددة" [1]، واللافت أن محمد مفتاح حاول من خلال تعريفه الجمع بين كل المستويات المتعلقة بالنص من حيث هو مدونة كلامية وحدث يقع داخل فضاء ثقافي محدد و في زمان ومكان معينين تواصلي وتفاعلي، ذا سمة اجتماعية مغلق وتوالدي، والملاحظ أيضا في هذا التعريف أنه استقى كل الجوانب المنشئة للنص، والتي تمثل المنطلقات المؤسسة له، إضافة إلى أنه ربطه بالكتابة من خلال كونه مدونة لحدث تخاطبي.

يقول حسين خمري" إن النص يبدي تجليين مختلفين في الوقت ذاته، فهو بناء وتفكيك. وعملية البناء تتمثل في صياغته لبنيته الخاصة وعالمه وذلك من خلال أداة مشتركة التي هي اللغة تستلهم بنياتها ومنظوماتها من النموذج الثقافي في فترة زمنية معينة. والبناء لا يعني إعادة إنتاج السائد والمألوف والامتثال للمعايير اللغوية والشكلية التي تفرضها المؤسسة اللغوية أو الجنيرية (المولدة) Generique (المتعلقة بالجنس الأدبي)، بل إنه يبقي منها القليل وذلك ليذكر بالنوع الأدبي ويتجاوز الخصائص البنيوية الباقية ليؤسس جنسه الخاص. بهذا المفهوم تصبح عملية البناء فعلا تصحيحيا Acte correctionnel للمتن الأدبي أو لمجموع نصوص الجنس النوعي في فترة تاريخية محددة. أما العملية الثانية التي يقوم بها النص فهي عملية التفكيك Déconstruction ومن خلالها يقوم النص بتفكيك البنية النصية الموجودة ليطرح خصوصيته باعتبارها تنويعا للبنية السابقة أو تجديدا لها. وبدون هذا النشاط فإن النص يتحول إلى نسخة مشوهة من النصوص الأخرى ويذوب في كتلتها فيعجز عن فرض حضوره"[2].

3/ العلاقة بين النص والأثر الادبي:

لعل الولوج إلى مضمون هذه العلاقة يبدأ من المفاهيم الغزيرة التي تناولت مفهوم النص بوصفه المفهوم الأكثر تداولا وانتشار في أوساط الباحثين المهتمين باللسانيات الحديثة، ولعل مسألة التفريق بين المصطلحين ظلت غير محددة عند الشكلانين الروس، وما يقودنا إلى تحديد هذه العلاقة هو رؤية رولان بارت لمفهوم النص ومن ثمة تحديده لأهم الفروق المنهجية بينه وبين الأثر الأدبي، والتي

---

[1] – محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتجية التناص، المركز الثقافي العربي، ط3، 1993، ص119-120.

[2] – حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية المدلول، منشورات الاختلاف، 2007، ص56.

ضمنها في مؤلفه درس في السيميولوجيا، حيث نجده وقف على العديد من المقاربات نوجزها في النقاط التالية[1]:

1/ لا ينبغي أن يعامل النص كموضوع يُبعّض، فمن العبث أن نحاول التمييز المادي بين الآثار الأدبية والنصوص، والفارق بينهما أن الأثر قطعة من مادة، أما النص فهو حقل منهجي يبرهن عليه ويتحدث عنه وفق بعض القواعد أو ضد بعض القواعد، ويتم تناوله انطلاقا من اللغة، ولا يوجد الا داخل الخطاب، ويتميز عن الأثر بخاصيتي الحركة والاختراق.

2/ إن النص لا ينحصر في الأدب "الجيد"، ولا يدخل ضمن تراتب ولا حتى ضمن تقسيم للأجناس بل يتشكل من خلال خلخلة التصنيفات القديمة، فالنص هو ما يوجد على حدود قواعد القول ويحاول أن يضع نفسه بالضبط وراء حدود الرأي السائد وهو دوما بدعة وخروج عن الآراء السائدة.

3/ يدرك النص ذاته ويقترب من نفسه مع الدليل، أما الأثر فينحصر في مدلوله، فالنص يكرّس التراجع اللانهائي للمدلول، تمددي مجاله الدال، ولا ينبغي أن نتصور الدال على أنه " الجزء الأول من المعنى" وحامله المادي، وإنما هذا يأتي بعد حين أي (مدلول لا يمكن أن يجد التعبيرعنه)، وإنما إلى فكرة اللعب، إن التوليد الدائم للدال داخل مجال النص لا يتم وفق النمو العضوي أو حسب طريق تأويلي وإنما وفق حركة تسلسلية للتداخل والتغير وأن المنطق الذي يتحكم في النص ليس تفهميّا وإنما هو منطق كنائي، رمزي تدرك هذه الطاقة الرمزية من خلال الأثر الأدبي.

4/النص تعددي، لا يعني هذا فحسب أنه ينطوي على معان متعددة، وإنما يحقق تعدد المعنى ذاته، إنه تعدد لا يؤول إلى أية وحدة، وإنما هو مجاز، وانتقال، على ذلك لا يمكن أن يخضع لتأويل حتى ولو كان حراً، وإنما لتفجير وتشتيت، ذلك أن تعددية النص لا تعود لالتباس محتوياته وأنما يمكن أن نطلق عليه التعدد المتناغم للدلائل التي يتكون منها.

5/يقرأ النص من غير أن يسند إلى أب، وتتميز الصورة المجازية للنص، عن الصورة المجازية للأثر فهذه الصورة توحي بصورة الكائن العضوي، أما الصورة التي يوحي بها النص فهي الشبكة، فقيام التناص يلغي التراث ويقضي عليه لا يعني أن المؤلف لا يمكن أن يعود للظهور في النص، لكنه لو عاد فإنما في صورة (المدعوّ) فالأنا الذي يكتب النص ليس هو إلا (أنا) من ورق.

[1] – ينظر: رولان بارط، درس السيميولوجيا، ترجمة ع بنعبد العالي تقديم عبد الفتاح كليطو، دار توبقال للنشر، ط3، 1993 ص60-66.

6/عادة ما يكون الأثر موضوع استهلاك ، فالنص ينقذه من الاستهلاك وينظر إليه كلعب وعمل وإنتاج وممارسة، فالنص يتطلب منا أن نحاول تقريب المسافة بين الكتابة والقراءة لا بزيادة اسقاط القارئ على الأثر، وإنما بضمهما معا في نفس الممارسة الدالة ، والواقع أن القراءة بمعنى الاستهلاك تعنى ألا يلعب القارئ لعبة النص ونقصد بهذا أن القارئ محاولة استعادة النص لحسابه ولكن لكي لا يرتد عمله إلى محاكاة سلبية منفعلة فإنه يمثل النص تمثيلا مسرحيا، غير أننا لا ينبغي أن ننسى أن للفظ اللعب دلالة موسيقية ، تاريخ الموسيقى (كممارسة لا كفن) وعليه يتطلب من القارئ مساهمة فعالة في هذا التحول والناقد وحده هو الذي يحقق الأثر ويؤديه ويحاكمه.

7/النص الأدبي لا يخلو من المتعة "اللذة" التي لا تنفطم، إن النص بما هو مستوى الدال وانتظامه فهو ينتمي، على طريقته، لأتوبوبيا إجتماعية. إنه إن لم يكن يحقق، قبل التاريخ، شفافية العلاقات الاجتماعية، فعلى الأقل شفافية العلاقات اللغوية، إنه الفضاء الذي لا تتغلب فيه لغة على أخرى، والذي تروج فيه اللغات وتدور.

وأخيرا نجد أن النص عند بارت لا يقف عند حدود الأدب الجيد، ولا يدخل ضمن تراتب ولا حتى ضمن تقسيم للأجناس بل يتجاوز ذلك إلى مرحلة التمرد على التراكيب البسيطة والمألوفة، والأشكال الكلاسكية السائدة، ولا يتواجد إلأ ضمن خطاب، يتسم بالتمرد والاستمرار والحركية الدائمة، "وهو ليس عنصرا انتصاريا، ليس موجبا ولاسالبا، ليس هو مادة استهلاك تفترض وجود مستهلك، ولا تعبوية سلوكية تقترض فاعلا. إنه إنتاج مجهول المنتج الذي هو في تحول مستمر والثاني، أن اللذة في عبارة كهذه العبارة ليست قيمة جمالية، وليس المعنى هنا أن نقدّس النص، ولا أن ننعكس فيه، أو أن نشارك في صنعه، وإن كان النص مادة ففي المعنى التحليلي النفسي الخالص، إنه متضمّن في جدلية الرغبة، وإن أردنا التحديد فهو متضمّن في جدلية الانحراف"[1].

4/ العلاقة بين النص والخطاب:

أجمع كثير من الدارسين العرب أن النص مرادف للخطاب، ولكنّ هذا الإجماع لم يَحُلّ الإشكال لأنّ الترادف لا يكونُ جزئيا وهو ما يعيد صياغة الاشكالية حول البحث عن قضايا التشابه

[1] – محمد خير البقاعي، تلقي رولان بارت في الخطاب النقدي واللساني والترجمي، كتابه لذة النص نموذجا، مجلة عالم الفكر عدد1، 1998، ص29.

والاختلاف بين مفهومي النصّ والخطاب انطلاقا من مقاربات المفهوم فنجد أن فريقا يمايز بين المصطلحين وفريق آخر يرداف بينهما.

1.4/ النص مرادف للخطاب:

يذهب بول ريكور إلى وجوب ربط النص بالكتابة فالنص "هو الخطاب الذي تم تثبيته بواسطة الكتابة [1] يرادف بول ريكور بين المصطلحين في حالة الكتابة، فالكلام لا نستطيع ان نسميه نصا ما لم يقيد ويثبت ويدوّن بالكتابة من خلال كون المكتوب يحافظ على الخطاب ويجعل منه سجلا جاهزا للذاكرة الفردية والجماعية، والكلمات والحروف في حالتها الخطية تضمن شرط البقاء والاستمرار الذي يحفظ الذاكرة مما قد يعتورها من خلل أو قصور، أما مايكل ستوبس فنجده يرادف بينهما إلى درجة كبيرة حين وحين يكون هذا التطابق طفيفا ففي الاستعمالات الاخرى قد يكون النص مكتوبا ،بينما يكون الخطاب محكيا، وقد يكون النص غير متفاعل ويكون الخطاب متفاعلا،وقد يكون النص طويلا او قصيرا، في حين يتظمن الخطاب طولا معينا، ويجب ان يحوز النص على تناسق ولو كان سطحيا، في حين ينبغي أن يحوز الخطاب على تربط أعمق"[2]، ومع ذلك لاحظ غريماس "أن المفهومين يتداخلان إلى حد الاندماج بحيث إن كلمة النص غالبا ما تأتي مرادفة لكلمة خطاب خاصة أثناء التفسير المفهومي في اللغات الطبيعية التي لا تمتلك مقابلا لكلمة الخطاب (الفرنسية والإنكليزية مثلا). وفي هذه الحال، فإن السيميائيات النصية لا تفترق في الأصل مع سيميائيات الخطاب. والكلمتان – نص وخطاب – توظفان دون تمييز للإشارة إلى المحور التتابعي في السيميائيات غير اللسانية "[3] .

ونجد **أن** محمد عابد الجابري يسوّي بين الخطاب والنص ويجعل منهما مفهوما واحدة، "النص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فهو خطاب ... الخطاب باعتباره مقول الكاتب – ... – هو بناء من الأفكار (...) يحمل وجهة نظر ... فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء"[4].

[1] – منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار الإنماء الحضاري، ص129.

[2] – سارة ميلز، الخطاب، ترجمة غريب اسكندر، مجلة نزوى عدد58 ،2009، ص121.

[3] – نقلا عن: حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية المدلول، ص60.

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2.4/النص ممايز للخطاب:

أما دافيد كريستال فنجده قد مايز بين النص والخطاب حيث يقول" يسلط تحليل الخطاب الضوء على بنية اللغة المحكية الموجودة طبيعيا مثل الخطابات، المحادثات، التعليقات، والخطب...)بينما يركز تحليل النص على بنية اللغة المكتوبة التي لا توجد في النصوص مثل (أبحاث، ملاحظات، وإشارات الطرق، وفصول الكتب"[1]، يرى جيفري ليش ومايكل شورت بأن الخطاب تواصل لغوي بوصفه تعاملا أو صفقة بين المتكلم والسامع ونشاط تحدد أشكاله مقاصده الاجنماعية، بينما النص تواصل لغوي (سواء كان محكيا أو مكتوبا) يفهم على أنه رسالة مشفرة في وسائله السمعية والبصرية[2]، ويذهب نورمان فيركلو إلى أن النص نتاج وليس سيرورة، بمعنى أنه نتاج لسيرورة إنتاج النص، أما الخطاب فاستخدمه للإشارة إلى كافة التفاعل الاجتماعي، التي لا يشكل النص سوى جزء منها، فسيرورة التفاعل الاجتماعي هذه تشمل – بالإضافة إلى النص– على سيرورة الإنتاج التي يكون النص نتاجا لها، وعلى سيرورة التأويل التي يكون النص مرجعها، وهذا ما يجعل التحليل النصي جزءا واحدا فحسب من تحليل الخطاب، الذي يشتمل أيضا على سيرورتين الإنتاجية والتأويلية، فمن منظور تحليل الخطاب يمكن أن نعتبر السمات الشكلية للنص آثارا لسيرورة إنتاج النص من جهة، ومشعرات في سيرورة التأويل من جهة أخرى"[3]، ويشير محمد مفتاح إلى التفريق بينها من حيث العموم والخصوص فيقول" الخطاب والتلفظ أعم من النص"[4]، ويقول أيضا "أنّ النص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة ومتسقة والخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة ومتسقة منسجمة"[5]، يؤكد الباحث على أن المصطلحين يشتركان في العديد من الخصائص ويكمن الفرق في بينهما في الانسجام الذي خصّ به الخطاب.

يحاول محمد العبد في كتابه النص والخطاب والاتصال أن يبين أهم وجوه الاتفاق والافتراق بين النص والخطاب من عدة زوايا"، يظل التمييز بين النص والخطاب من زاوية كون النص الأساس بنية في

---

[1] – سارة ميلز، الخطاب، ص121.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – نورمان فيركلو، الخطاب بوصفه ضرورة اجتماعية، ترجمة: رشاد عبد القادر، مجلة الكرمل، فلسطين عدد64 ،2000، ص159

[4] – محمد مفتاح، بعض خصائص الخطاب، مجلة علامات، ج35، مج 09، 2000، ص9.

[5] – المرجع نفسه، ص10.

مقابل كون الخطاب هو الأساس موفقا هو التمييز السائد في أدبيات نظرية النص وتحليل الخطاب بيد أن الإلحاح على ربط النص بمقاصده ووظائفه مما يعيد هذين المصطلحين في الإستعمال إلى دوائر متشابكة ، يبدو فض الاشتباك بينهما أمرا عسيرا جدا، ومهما يكن من أمر، فإن هنالك فروقا أولية ينعقد عليها الإجماع نظرية . من أهمها ما يلي:

1/ ينظر إلى النص الأساس من حيث هو بنية مترابطة تكون وحدة دلالية، وينظر إلى الخطاب من حيث هو موقف ينبغي للغة فيه أن تعمل على مطابقته

2/يحصل من ذلك القول بأن الخطاب أوسع من النص، والخطاب بنية بالضرورة ولكنه يتسع لعرض ملابسات إنتاجها وتلقيها وتأويلها، ويدخل في تلك الملابسات ما ليس بلغة كالسلوكيات الحركية المصاحبة إيجابيا للاتصال.

3/النص في الأصل هو النص المكتوب والخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق، ولكنه يتلبس بصورة الآخر على التوسع، إذ يطلق النص على المنطوق، كما يطلق الخطاب على المكتوب، كالخطاب الروائي

4/ يتميز الخطاب عادة بالطول، وذلك أنه في جوهره حوار او مبادلة كلامية، أما النص فيقصر حتى يكون كلمة مفردة مثل (سكوت) ويطول حتى يصبح مدونة كاملة مثل: (رسالة الغفران)

5/يرتبط ميل الخطاب عادة إلى الطول والامتداد والحوارية بتمكينه من التعبير عن وجهات النظر والمواقف المختلفة. إذا اتخذنا من خطاب الرواية مثالا رأينا أن دراسة الخطاب تجري ضمن كل مظاهر الرواية التي تتصل بها مفاهيم مثل (الحوار)و(وجهة النظر) و(الموقف) و (رؤية العا لم)و(نبرة الخطاب) و (اعتقادات المؤلف)، و(انواع الأحكام)التي يصدرها، وشبكة العلاقات التواصلية بين المؤلف والشخوص والقارئ الضمني......[1]

يقترب مفهوم النص من الخطاب في كثير من الاحيان، مما يجعل التفريق بينهما أمرا صعبا، وقد يكون الخطاب أعمّ من النص[2]، أو النص أعمّ من الخطاب .

[1] – ينظر: محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،2014 ،ص10-11.

[2] – محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، ص55.

4/ مفهوم لسانيات النص (نحو النص):

يعرف دافيد كريستال علم النص في معجم اللغويات والصوتيات بأنه"هو العلم الذي يبحث في سمات النصوص، وانواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها ويهدف ال تحليلها في ادق صورة تمكننا من فهمهاوتصنيفها ووضع نحو خاص لها مما يسمح في انجاح عملية التواصل التي يسعى اليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه" وهو عند دافيد مانغومو "التخصص الذي موضوعه اللسانيات النصية اي خصائص الاتساق والانسجام التي تجعل النص عبارة عن تسلسل من الجمل، ان هذا النوع من الابحاث يمكن ان يجرى من وجهات نظر عديدة ومختلفة ولكنها متكاملة من وجهة نظر المنتج (ما السيرورات المسخرة لانتاج أي نص ذي وحدة؟) ووجهة نظر المتلفظ المشارك (كيف يتأتى لنا فهم النص، أي تمثل مختلف مكوناته؟) ووجهة نظر المحلل الذي يعالج النص كبنية تراتبية"[1].

يعرفه صبحي ابراهيم الفقي حيث يقول "إذن علم اللغة النصي – فيما نرى – هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة، أو المرجعية، وأنواعها، والسياق النصي، Textual Context، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل). وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء".[2] نذكر تعريف "سعيد حسين بحيرى" للسانيّات النصيّة أو نحو النّص :" نحو النّص يراعى في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية، ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصّية وقواعد ترابطها، وبعبارة موجزة قد حُدِّدت للنّص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة"[3]، أمّا تعريف "الأخضر الصبيحي" له فيقول بأنّه: " عبارة عن منهج يتكفل بدراسة بنيّة النّصوص وكيفيّات اشتغالها، وذلك من منطلق مسلمة منطقية تقتضي، بأنّ النّص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل، وإنّما هو وحدة لغويّة نوعيّة، ميزتها الأساسيّة الاتساق"[4].

---

[1] – دومنيك مانغومو، معجم المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد ياحتين، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر 2008ص 129.

[2] – صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ج1 ،2000، ص36

[3] – سعيد، حسن بحيري، علم لغة النص، ص 194.

[4] – محمد، الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ص59

5/ مسوغات ومبررات الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص:

– يكشف دي بوجراند وديسلار عن مهمة لا يستطيع نحو الجملة تأديتها، وهي التمييز بين أنماط النصوص، حيث منها ماهو إخباري وما هو علمي، وما هو قصيدة وغير ذلك مما يبدو معقولا أنها تتطلب علم النصوص الذي يجب أن يكون قادرا على وصف أو شرح كل الخصائص، والعلامات الفارقة بين هذه النصوص، أو انماط النص

– الجملة غير كافية لكل مسائل الوصف اللغوي[1].

– أهملت اللسانيات الجملية الجانب الدلالي[2]، يقول الشاوش "أقصت اللسانيات البنيوية الأمريكية وبالخصوص أتباع بلومفيلد – حتى أواخر العقد السادس من القرن العشرين – المعنى من الدراسة اللسانية إقصاء اتخذ مظهر الإرجاء. وهذا الإقصاء وإن كان بالأساس من متطلبات المنهج ومقتضيات الموضوعية، فإنه قد انعكس على موضوع الدراسة اللغوية وطبيعة القواعد والأصول المتعلقة بها. ولم تول المدرسة التوليدية في مرحلتها الأولى المعنى كبير عناية ولم تحفل به كبير احتفال"[3]

.

– أهملت السياق الاجتماعي وهو سياق على قدر من الاهمية في الدراسات اللغوية[4].

– إضافة مهام جديدة ليست من اهتمام الجملة.

– تغير الدرس اللساني في نظرته إلى اللغة وذلك الاحساس الطاغي بالوظيفة الاجتماعية[5]، وذلك بالإلتفات إلى الدور الاجتماعي للغة، وإلى الدور التواصلي الذي هو جوهر وظيفة اللغة في العمليات الاجتماعية[6].

– يمكن النظر إلى علاقات لم ينظر اليها في نحو الجملة وهي علاقات فيما وراء الجملة[7]

---

[1] – جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998 ص66.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص 69.

[4] – المرجع نفسه، ص67.

[5] – أحمدعفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 40.

[6] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن كتاب الاستاذ عبد السلام هارون، معلما ومحققا، تحرير وديعة طه نجم وعبده بدوي، كلية الآداب الكويت، 1990، ص 410.

[7] –ينظر: المصدر نفسه، ص408.

- عجزت عن ربط مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية[1]

- الجملة ليست الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية بل النص هو وحدة التبليغ والتبادل، ويكتسب النص انسجامه وحصافته من خلال هذا التبال والتفاعل [2].

- إن الأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل؛ فالوعي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية[3].اي تجد طريقها الى لتطبيق على النصوص اكثر من تطبيقها عل الجمل اضافة على النواحي النفسية التي تعمل على برمجة اللغة وفهمها.

العوامل النفسية أوثق بالنصوص منها بالجمل [4].

- الإفادة من نحو النص في خدمة الترجمة من لغة الى لغة اخرى، يقول دي بوجراند إن النصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل الأخرى؛ إذ يعتمد متعلمو اللغة في استعمال الجمل على معرفة القواعد من حيث هي نظام افتراضي عام، أما من أجل استعمال النصوص فإن الناس بهم حاجة إلى معرفة عملية الأحداث الجارية بمضمونها، وتنطبق هذه الحالة من التناص على الملخصات ومسودات الموضوعات والاستطرادات والإجابات[5].

ومحصول الحديث إن هذا الانتقال ضرورة دعت إليها الحاجة العلمية المتزايدة، بغية تغيير النظر إلى دراسة اللغة وقضاياها، من حيث التركيز على وسائل الترابط والتماسك، والتعامل مع النص على أنه وحدة لغوية كلية، وهو ما عجزت عنه اللسانيات الجملية بوصفها أنموذجا تحليليا يقتصر على حدود الجملة، مع التشديد على أنّ العلاقة بينهما علاقة اشتمال وتكامل من حيث أن الجملة جزء من كل مركب وهو النص، وما يجرى عليها من تحليل دلالي يدخل في تشكيل دلالة النص بتمامه وكماله.

---

[1] خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ط2، 2006، ص 167.

[2] - المرجع نفسه، ص168.

[3] - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء ترجمة تمام حسان، ص92.

[4] - المرجع نفسه، ص 93.

[5] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول

–المرجعيَّة الفكريَّة لِسَعد مَصلُوح وتجلِّياتهَا المعرفيَّة–

يُعدّ نحو النص أو لسانيات النص[1]، أحد المجالات المعرفية التي صب فيها الباحثون العرب جلّ اهتمامهم على غرار علوم كثيرة ومختلفة، وهو الأمر الذي دفع إلى ظهور الكثير من الأعمال التأسيسية لهذا العلم في صلب الدرس اللغوي العربي الحديث، كجهود محمد خطابي في كتابه المعنون ب" لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب"، وصلاح فضل في كتابه " بلاغة الخطاب وعلم النص"، والأزهر الزناد ضمن مؤلفه"نسيج النص" وغيرهم، ويشهد المتتبع الراصد لهذه الجهود اتفاقا من حيث الهدف والقيمة المعرفية، واختلافا بيّنا من حيث المنهج المتبع الذي يميز كل محاولة عن غيرها، وكيفية استثمار هذا التلقي في اللغة العربية، وهذا الاختلاف والتباين المنهجي إنما يختلف تبعا للمرجعيات الفكرية والمنطلقات العلمية لكل باحث، وارتباطها بمدى تحقيق بصمة وخصوصية في هذا المجال، والقصد بالمرجعية هو القاعدة الصلبة التي يرجع إليها الباحث في كل آرائه ومعتقداته وأفكاره ومواقفه إزاء الظروف الطارئة، كما تتميز بالثبات والديمومة والسلطة، حيث لا يمكن إقامة معرفة أو رؤية دون الرجوع إليها سواء كان ذلك بوعي أو دون وعي، إذ "لا يمكن لأي باحث أو ناقد أن ينطلق من العدم أو من الفراغ، بل لا بد من تراكم معرفي وأصول فكرية يستند إليها وهي التي توجّه خطاباته بعد ذلك في ممارساته"[2]، وهي حمولات دلالية لا يمكن تجاهلها للإحاطة بأي منتوج فكري، وضمن هذا الإطار نتناول في دراساتنا، جهود " **سعد مصلوح**" وتجلياتها المتباينة في هذا المجال المعرفي، الذي يعدّ واحداً من أهم رواده ومنظريه، الأمر الذي يكسب سؤال المرجعيات الفكرية والمنهجية عنده قيمة علمية ومعرفية مضافة، حيث ينطلق هذا السؤال عبر محورين أساسيين

---

[1] – تعددت المقابلات للمقابل الاجنبي الوافد Text linguistics، ومن أبرزها " اللسانيات النصية، ونحو النص، نظرية النص، علم النص ،علم اللغة النصي ، نسيج النص.... ولقد آثرنا ان نأخذ بمصطلح " لسانيات النص " بوصفه المصطلح الاكثر شيوعا في الدراسات اللسانية المعاصرة، وأن لا نأخذ بغيره إلا ماورد عرضا عند الباحث (صاحب المدونة)، كما يعتبر الباحث بشير إبرير أنها مصطلحات تحمل نفس الدلالة إذ يقول" نحو النص مصطلح يقابل المصطلح الأجنبي gramaire de texte استعمله الباحثون النحاة بهدف الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية وتوضيح صور ترابطها النصي وهو لا يختلف – في نظري – عن لسانيات النص Linguistque textuelle سوى أن المصطلح الأول استعمله النحاة على غرار نحو الجملة لأنهم رأوها هي وحدة التحليل النحوي، والمصطلح الثاني استعمله اللسانيون على غرار لسانيات الجملة لأنهم رأوها هي وحدة التحليل اللساني، والأمر نفسه بالنسبة لعلم لغة النص فهذا أيضا استعمال خصوصا عند المشارقة الذين يترجمون Linguistque بعلم اللغة بدل اللسانيات"، بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة تواصل،جامعة باجي مختار عنابة، عدد14، جوان 2005، ص94.

[2]– بشير إبرير، مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، علامات في النقد، ج49، م13، 2003 ص598.

هما الإحاطة بمرجعياته الفكرية من جهة، وكشف فاعليتها على مستوى الإنجاز من جهة ثانية، وما نتج عنها من انعكاسات وذلك عبر بحث أنماط التفكير والإنتاج المعرفي، وهو أمر لا يتأت إلا من خلال دراسة مختلف الأصول الفكرية والمنهجية التي ينطلق منها، فيما يعالجه من موضوعات، والمنطلقات التي تتحكم به كلما شرع في عمله التأليفي، لما تكتنفه هذه المنطلقات من تأثير مباشر وفعال على قدرته الإنتاجية والإبداعية ومواقفه المختلفة، حيث يمكننا التعرف عن تجاربه الحياتية ومستواه الفكري والمعرفي الذي يمكنه من معرفة الحقائق العلمية والإحاطة بحدودها، وإدراك صائب لمتغيراتها، وقدرته الفذة في استشراف المستقبل انطلاقا من تحليل متميز لمعطيات الماضي، ويكون بحث هذه الأطر ذا أهمية كبيرة حين يرتبط بثراء معرفي يمتد إلى سنوات طويلة من البذل والعطاء، سعى من خلالها الباحث[1] إلى التأسيس للسانيات النصية في الثقافة العربية، إضافة إلى دوره الفعال في "تقديم رؤية استشرافية لمستقبل الدرس اللساني، غير واقفة عند حدود الحرفة اللسانية بل متجاوزة ذلك إلى تقديم صورة لسهمة اللسانيات في تشكيل السياق الثقافي الأكبر، والتماس الوسائل المعينة على معالجة الكوابح المقيدة لدورها المرتقب "[2]، وهو ما نجده ماثلا في مباحث دراستنا هذه، حيث سعى إلى تقديم رؤية استشرافية من خلال تبنيه لثقافة تساؤلية مرصعة بالرؤى المستقبلية لعلوم كثيرة كالنحو العربي والبلاغة العربية، وهي بلا شك نظرة علمية تهدف إلى إعادة بعث العربية في الحياة العامة، من خلال العلاقات والتفاعلات بين عناصرها بغية الإفادة أكثر من امكانات اللغة وتفجير عبقريتها وهو أمر لم يتأتَّ إلا بعد أن تعمق في دراستها وحدد معيقات تطورها، وقدم أهم العوامل التي تضمن الانتقال السليم من واقع الحال إلى الوضع المرتقب، مدعماً جهوده بترسانة مفاهيمية كبيرة، وحشدا كبيرا للمصطلحات والإشكاليات، لتنطلق دراستنا في مساءلة المرجعيات والمنطلقات الأساسية لمشروع سعد مصلوح الفكري[3]، من صياغة لعدة إشكاليات أبرزها:

---

[1] – لم نلتزم بذكر إسم " سعد مصلوح" بطريقة مطردة في كل أطور هذه الدرسة، وإنما اكتفينا باطلاق صفة "الباحث" عليه، إلا ما ورد عرضا، دون أن ننتهك مبدأ أمن اللبس في ذلك.

[2] – في اللسانيات العربية المعاصرة– دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004، ص 19.

[3] ولقد درجنا منذ بداية هذه الدراسة على تسمية جهود ب" المشروح الفكري" وهو أمر يدفع القارئ إلى التساؤل عن سرّ استعمالنا لهذا المصطلح، وخاصة وأنه مفهوم اشكالي عائم متعدد وكثيف، ومتسع اتساع حدوده في ذهن المتلقي، ان ما يسوغ استعمالنا له هو الترابط المنهجي والتكامل بين مؤلفات سعد مصلوح في هذا المجال، حيث نجد أن أعماله تمثل سلسلة مترابطة ومتضافرة رغم الهوة الزمنية الفاصلة بينها، حيث يسلّم كل عمل للعمل الذي يليه وهكذا، إضافة إلى أنها وردت متسقة ومنسجمة

- مَا أهمُّ العناصر المميَّزة لِلْمرْجعيَّة الفكريَّة والْمنْهجيَّة لِسَعد مَصلُوح؟

- مَا مدى مُساهمتهَا فِي إِنتاجه اَلفكْرِي؟

- مَا مدى مشْروعيَّتهَا بِالنَّظر إِلى مُقاربات مَرجعِية أُخرَى؟

- ومَا هِي اِنْعكاساتهَا على مَشرُوعه اَلفكرِي مِن حَيْث اَلعُمق والْقيمة؟

2/ سؤال المرجعية الفكرية عند سعد مصلوح:

يعد الدكتور سعد مصلوح- حفظه الله- "أحد ألمع اللسانيين العرب المعاصرين على الإطلاق، إن لم يكن من أعظم المفكرين العرب المعاصرين "[1]، وذلك من خلال مسيرته العلمية المتميزة، حيث شكلت مؤلفاته مرجعا مطلوباً وفريضة علمية لكل دارس في كل الأقطار العربية، لما تحويه من ثروة فكرية ولسانية هامة جمعت بين طياتها عبق التاريخ وعنفوان الحداثة، ، وإلى أنه ما من سبيل إلى " (تأصيل الكيان) والتعمق في فهم التراث، وتعيين ما يقوم فيه من ناصع المعالم ومشرق الأنحاء إلا بالانغماس في العصر والتوسل بلغته والاهتداء بمفاهيمه، على أن يكون ذلك معرفة عميقة لا تستسهل صعبا، ولا تستعجل نفعاً، معرفة تجلو الخفايا، وتبرز الخصائص، وتحيط بالموارد والمصادر"[2]،وهي مزاوجة نتجت عن سعة الاطلاع على العلوم قديمها وحاضرها، ومعرفته بأصولها وتفاصيلها وحدودها المعرفية، رصيد معرفي أهّله ليوظف روافده المعرفية والفكرية في تطوير الفكر اللساني العربي على مستوى التنظير والتطبيق والمراجعات النقدية، وفي دعم تقنيات وآليات تحليلية جديدة والدفع بها في مجال اللسانيات النصية في صورتها العربية، لتشكل بذلك هذه النظرة النواة

مع الخطوط العريضة التي انتدبت لأجل لبحث فيها، وتحمل في طياتها كثير الاسئلة التي ينبغي أن تجتهد في الإجابة عنها جهود لسانية أخرى، ومن الآفاق المستقبلية ما يُستعصى الوصول إليه إلا بالأعمال الجماعية المشتركة، إذ لا يمكن لمثل هذه المشاريع أن يقوم بها باحث واحد، مهما بلغ من العلم وذلك لشموليتها ولما تتطلبه من إلمام بالعلوم والمعارف وبالقضايا البينية المختلفة، وذلك وجب أن تكون هما معرفيا واسع النطاق.

[1] - خالد فهمي، أبو الحسن الجمال، مآذن من بشر: أعلام معاصرون، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2015، ص69.

[2] - حمادي صمود، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية للنشر، 1988، ص6.

الرئيسة والصورة الكبرى التي توشك أن تكون مرآة مشروعه الضخم وهي "محاولة رسم قسمات لمشروع أسلوبي لساني عربي، يستمد روافد زكائه ونمائه من جذوره الضاربة في تربة التراب"[1].

1.2/ أصالة المرجعية التراثية:

يتخذ مفهوم التراث مكانة مركزية في نسق المفاهيم المشكلة لفكر سعد مصلوح، كما يحتل موقعه الدائم من جغرافية الكتابة والتأليف عنده، وذلك لما يكتنفه من دلالة الانتماء والاتصال ، المتقد بشحنة وجدانية يستمدها من تاريخ أمته العريق، ومن بيئته الجغرافية والاجتماعية وأسرته التي ينتمي إليها، وحتى الانتماء الأكاديمي المتوجه أساسا إلى الدراسات التراثية إلى وقت قريب، وبوصفه أيضا نتاجاً عقلياً يحتوي على عناصر إيجابية يمكن الاعتناء بها والحفاظ عليها من الفقد والتلاشي، وتطويعها بغية الاستفادة منها وفق ما يستجد في حاضر الأمر وقابله، والمتتبع لكتاباته المتنوعة يلاحظ ثقافته الغزيرة التي تمتح من روافد متنوعة كالقرآن الكريم، والتراث اللغوي والنقدي والشعر العربي، والمثل...، وقد تجلى ذلك كله في لغته الرصينة وأسلوبه الراقي، انطلاقا من هذه المؤثرات والبواعث تشكلت شخصية سعد مصلوح ابن البيئة المصرية بكل تمظهراتها، وانعكست على لغته التي تميزت بالقوة والوضوح والدقة المتناهية، وحسن البيان والأسلوب الراقي الذي يعتمده في كل كتاباته، وهو ما يبين تأثير المرجعية التراثية فيها، ولعل الملمح الأبرز في كتاباته المختلفة هو الحضور القوي لتعالقات تناصية واضحة وخفية، تتمثل ذاكرة النص ومرجعيته الأساسية المتحكمة فيه، وتشكل سمات اللغة الواصفة لمنتوجه الفكري، وتأخذ بعداً أعمق من اتصالها بالتراث و بالقرآن الكريم الذي يشكل رافداً مهما وعونا مفيداً من خلال استنطاق طاقته الإيحائية، تُستدعى من وقت لآخر، وقد تجلى ذلك في استعمال عديد التعابير والصياغات التي تجعل المتلقي يستحضر في كل لفتة أو تركيب معاني قرآنية، وما كان ذلك إلا من صميم ذخيرته اللغوية الحية التي نمت وزكت بفعل الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم، ومثال ذلك قوله " رأينا هذه الأرض الطيبة وقد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج"[2]، وهو تناص مع الآية الكريمة " وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا

[1]- سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلة النشر العلمي،جامعة الكويت 2003، ص82.

[2] - المصدر نفسه، ص17.

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[1]، إضافة إلى التعالقات المستمدة من الأمثال والحكم العربية، كقوله " شنشنة نعرفها من أخزم"[2] وهذا التناص والتعالق جاء من المثال والحكمة التي أوردها العرب، والشنشنة هي العادة الغالبة أو الطبيعة، والمراد بالمثل أنها عادة أو طبيعة متوارثة، أو موجودة بالفعل، وقد استعملها الباحث استعمالا في غاية الروعة ليصف بها المتحمسين من النقاد، حديثي العهد به، الذين يطلقون سهام النقد دون تمثّل العمل وتمحيصه.

يعد التراث عند سعد مصلوح " من أعظم منجزات الحضارة العربية الإسلامية، بل من أعظم العقل في تاريخه الممتد عبر الزمان والمكان"[3]، لذلك كان ينظر إلى التراث على أنه رهان مفتوح على المستقبل، ومن هذا المنطلق يتصدر التراث مكانة مرموقة حين يصفه بأنه" فاعلية مستمرة تتصل بالماضي بأوثق الأسباب، وتسهم في تشكيل ملامح الحاضر، بل إن طائفة لا يستهان بها من بني قومنا تريد له أن يكون المرجعية المعتبرة في صياغة المستقبل"[4]، هذه الصياغة التي تنبني من خلال إعادة إنتاج التراث في حقول مختلفة، لأن التحيين المستمر يفتح أبعاداً فكرية جديدة كانت غائبة، لتكون لنا عوناً في صياغة واقعنا اللساني العربي الحديث، داعيا إلى "إعادة النظر أيضا في معطيات تراثنا في ضوء ما يتحقق للبشرية من انجازات علمية خطيرة"[5]، كما يشرك الباحث التراث كعنصر فاعل في تشكيل معالم الحداثة والعصرنة، وهي نظرة انبنت على معرفته بالقيمة العلمية والمعرفية لعلمائنا الأوائل وهو اعتراف تجسد فيما بعد في محاولته التطبيقية التي عمد من خلالها على إعادة قراءة كتاب "مفتاح العلوم "للسكاكي قراءة حداثية ليبرز قيمتها ومكانتها كأنموذج صالح لعقد الصلة بين التراث والمعاصرة.

---

[1] الآية 7 من سورة ق.

[2] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ص86.

[3] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، ص28.

[4]– المصدر نفسه، ص29.

[5] – المصدر نفسه، ص46.

2.2/ حضور المرجعية اللسانية الغربية:

تحتل المرجعية الفكرية الغربية فضاء مهماً في تشكيل الفكر اللساني والنقدي لسعد مصلوح، وتحتل مساحة كبيرة في كتاباته المختلفة، من حيث هي نسق معرفي يبين عمق معرفة الباحث بالمنجزات الغربية ومتابعته لها وإدراكه لقيمتها المعرفية في تطور الفكر الإنساني، ولم تكن الدراسات اللغوية شاغله الأكبر في بداية الأمر بحكم حداثاتها وصعوبتها وبحكم انتمائه الاجتماعي والجغرافي إلى البيئة العربية المعروفة بحب الأدب والشغف بالشعر العربي، فيقول" في أمد فات نصف القرن كنت منعطفاً في حينها بالطّبع إلى اللأدب عامة ، وفن الشعر خاصة، ممارسة وقراءة ونقداً، ولا أكاد أجد في نفسي حماسة إلى الدرس اللغوي الحديث على الوجه الذي كانت تتلى علينا مزاميره في دار العلوم، غير أن الأمور جرت بما لم أكن أشتهى، وانتهت بي الأمور إلى معيد في قسم علم اللغة "[1]، وكان انتماؤه إلى قسم اللغة الذي كان يرأسه الأستاذ إبراهيم أنيس أنذاك في يناير 1964، ليعينه الاستاذ " عبد الرحمن ايوب" أستاذا معيدا في" قسم الاصوات" في مكان الأستاذ "صلاح فضل" الذي منّ الله عليه بالبعثة الإسبانية. وبذلك يكون قد قد وضعه على صراط اللسانيات الحديثة، وفي قصة طريفة للدكتور سعد مصلوح عن استاذه محمد غنيمي هلال- رحمه الله- الذي لاحظ فيه آيات النبوغ في مجال النقد، وكان لا يحب أن يراه في تخصص غيره فلما علم بمجاله التخصصي الجديد قال"ما لك ولتخصص اللغة،كنت أتوقع لك مستقبلا طيبا في مجال النقد"[2]، ولم يكن الأستاذ غنيمي مخطئا في تقديره، فالدكتور سعد مصلوح قد نبغ في كل العلوم، وبرع في كل المعارف التي تناولها بدءا بالأدب بعمومه، والشعر العربي وفنونه، وفُتِّحت له أبواب النقد، وشُرِّعت له نوافذ أحدث ما افرزته اللسانيات الحديثة من نظريات ومناهج، وهذا التخصص الجديد الذي فرض عليه فرضا ولم يكن يلائم طموحاته المعرفية، أصبح فيما بعد يراه "خَيْرٌ بَحْتٌ" فيقول بعد أن تبيّن له الأمر" أن المعرفة اللسانية والمعرفة اللسانية الصوتية المختبرية خاصة، هما السبيل المفضية بالنقد إلى التّنعّم بفردوس العلم الإنساني المنتج والمنضبط"، وفي دعوته إلى الاستفادة من علوم اللسان في الحقول المعرفية الأخرى وبخاصة النقد " إن الباحث الذي يعمد إلى نص أدبي بالمعالجة النقدية ولم يجمع الى الموهبة والثقافة معرفة صحيحة بعلوم اللسان وبتقنيات البحث الأسلوبي إنما هو —كما قلت ذات

[1] – سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2017، ص15.

[2] – المصدر نفسه، ص16.

بحث- كالذي يحجّ إلى عالم النص وليس له من آلة الحج إلا التلبية"[1]، وفي إشارة صريحة لخلفيته اللسانية يقول "إنني واقف حيث اختارت لي الأقدار-وما أحبه إلى نفسي من اختيار-على أرض التحليل اللغوي الدقيق، معتزا بانتمائي إلى المدرسة اللغوية المعاصرة، وأوثر دائما أن أ حسب في عداد اللغويين المختصين، على أن أعد من هواة النقد"[2]، كما يحاول توصيف هذا العلم وطرق طلبه فيقول " بيد ان هذا العلم العزيز الجانب لا ينيل نفسه لمن أراغ بعد الصيت، وحسن الاحدوثة بأقل الجهد وأيسر المئونة" [3]، وهو ما استحال فيما بعد إلى طريق علمي آخر يراد به البحث في آفاق العلوم الممكنة، المبني أساسا على مخرجات الدرسات البينية، من تكامل العلوم وتضافر المعارف، تحت غطاء اللسانيات الحديثة للوصول إلى دراسات وقراءات" منتجة في سياقات مغايرة، كثيرا ما يهب المحاولة مذاقا معرفيا فاذًّا، يستعيد به القديم عافيته وقدرته على اخراج ماهو كامن وخبئ فيه بالقوة إلى حيز الفعل"[4].

كما أكد على ضرورة تعلم اللغات والتحكم في أبجدياتها لما تسفر عليه من تيسير لطلب العلم وأخذه من مصادره دون تكلفة.

وتأسيسا على ذلك يمكننا القول إن هذه الازدواجية المرجعية المستمدة من أساسين هامين في حياتنا المعرفية دون الوقوع في شرك التنافس والتعارض القائم بينهما، والوقوف على نفس المسافة بينهما، بما يضمن الإحاطة بكل تفصيلاتهما الدقيقة ما يمنح مساحة للنضج المعرفي للباحث والبعد عن مظاهر الإسقاط والاستلاب أو التبعية والتحرر، وهي ازدواجية شكلت أهم ملامح نشأته الأولى التي أرجعها إلى نشأة أولى: تعود إلى والده " السيد عبد العزيز مصلوح" الذي ساهم مساهمة كبيرة في تكوينه الأولي، فقد كان حافظا للقرآن الكريم ، ملما بتراث العربية بكل مناحيه، إضافة إلى إتقانه اللغة الإنجليزية ومترجما للكثير من الأعمال الشعرية ، وهي بداية مشرقة ساهمت في بناء شخصية سعد مصلوح وجعلت منه الشاعر والناقد والأديب والمترجم، والثانية :تعود إلى أستاذه "عبد الرحمن أيوب" الذي ربط الصلة به من خلال دراسته في دار العلوم، والذي يصفه بالصرامة والجدية والإلمام بعلوم كثيرة كالفلسفة والموسيقى والآداب العالمية، اذ يبدو الباحث شديد التأثر بهذين الرافدين

[1] -سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، ص 16.

[2]- سعد مصلوح، في النقد اللساني، دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب، 2004، ص207.

[3] - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة-دراسات ومثاقفات ص31.

[4] -سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، ص158.

الذين كان لهما الأثر الأكبر في بناء التكوين الشخصي الأولي له، حيث استمد حب التراث والولع به من الشخصية المؤثرة الأولى المتمثلة في الوالد عبد العزيز مصلوح، واستلهم التطلع إلى المعاصرة من أستاذه عبد الرحمان أيوب، الذي عرف بحرصه الشديد على تشجيع كل محاولة ترتقي بعلوم العربية إلى مواكبة التطورات العلمية الحاصلة.

كما يشير إلى أن تلك المرجعيات الفكرية الأساسية قد ألقت بظلالها على ما تلاها من أبحاث علمية، كان لهما عميق الأثر في منحه التوفيق أثناء تناوله القضايا التي واجهته في حياته العلمية مثل قضية التراث والمعاصرة، ومعضلة التعارض المتوهم بين الدراسات اللغوية والأدبية.

3.2/ المرجعية التكاملية:

يتخذ مفهوم التكامل المعرفي بكل حمولته العلمية والمعرفية، شكلاً من أشكال التعامل الجاد من طرف الباحث، ومنهجا عاما في إطار ممارساته العلمية العامة، وسمة من السمات الغالبة على مشروعه الفكري، وآلية يستند عليها في كل ما يصادفه من إشكالات معرفية، والذي يسعى من خلاله إلى إيجاد خيوط الوصل والتعالقات البينية بين العلوم المتقاربة بغية تطوير المعرفة اللسانية، حيث يعتبر " من أكثر العلماء اللغويين المعاصرين الذين التفتوا إلى قيمة البحوث اللغوية البينية، التي تدرس مشكل الظواهر اللغوية، في تشابكاتها مع العلوم المختلفة، ليبشر بمناطق بكر، لم يكتب فيها أحد من الدارسين العرب شيئا من مثل "الجغرافيا الأسلوبية[1]"، وهو منهج درج عليه العرب الأوائل وشاهدا من شواهد العصر على وعيهم بتعالق العلوم ومعرفتهم بأهمية مخرجاتها، ولذك نجد أن العلوم التراثية يميزها التداخل والتكامل والتأثير والتأثر، فلا عجب أن نجد علماء النحو هم علماء البلاغة أو التفسير، وهذا ما يفسر إشكالية " الاقتراض المصطلحي"بين هذه العلوم.

يستمد الباحث منهجه التكاملي من وعيه بمنهج علماء التراث، ليبّن من خلاله أن من أهم معوّقات البحث في علوم العربية هو الالتزام بالتخصص ولذلك وجب على الدارس لهذه العلوم ان يوسع مدركاته إلى خارج هذا الأوعية المعرفية الضيقة التي لا تفضى إلى معرفة ترجى، والتوجه نحو التكامل المعرفي لما يفضيه من سعة في البحث وطموح علمي ليس له حدود، ويقول في ذلك "أن الإفلات من كبول المهنية المحدودة إلى آفاق العلوم المتداخلة على جهة التضافر والتآزر هو الوعد

[1] -خالد فهمي ، أبو الحسن الجمال، مآذن من بشر، أعلام معاصرون، ص 71.

الحق المأتيِّ لا محالة"[1]، والمراد هنا ليس هو البعد عن التخصص بقدر ما هو دعوى إلى التواصل المعرفي البيني وذلك تبعا لما تمليه فلسفة العصر الحديث لأنّ الانغلاق على التخصص وعدم الانفتاح على تقاطعاته يجعل من الإلمام بالتخصص أمرا صعباً ومعقداً ومنقوصاً.

اختار سعد مصلوح المرجعية التكاملية بين العلوم والكشف عن التطورات الحاصلة من خلالها، فيقول "إن النزوع إلى تداخل الاختصاص، لا يعني إهدار الاختصاص، ولكنه يعني مزيداً من تعقل الظواهر، والإحاطة بموجبات فقاهتها وانفهام ما يتعلق بها ويداخلها مؤثرا فيها ومتأثرا بها"[2]، ومن هذا المنظور يتبين أنّ علاقات التأثر والتأثير بين العلوم المعارف يمكن أن تشكل آفاقا جديدة ومتصوّرات، لم تكن لتحقق الغاية الكاملة والمنشودة منها إلا بها، المقصود بالتكامل بالنظر إلى مشروعه، هو "التكامل الخارجي" الذي يحصل بين العلوم التراثية من نحو عربي وبلاغة وبين العلوم اللسانية الوافدة إلينا، ولذلك أمكننا القول بأنه ليس بدعاً من التواشج والتّرافد بين العلوم، ومراعاة نقاط التقاطع المفصلية من أجل النهوض بالمجالات المعرفية المختلفة، وإبراز مواطن القوة والضعف فيها، ومدّها بالآليات والتقنيات الاجرائية التي تحويها اللسانيات الحديثة ولا سيما لسانيات النص لجعلها أكثر حيوية وديناميكية، وتهيئة أسباب التلاقح المفيد، لتمكين خَلق جديد من المعرفة قابل للتأقلم والعيش في كنف المعاصرة، ومثل ذلك منجزه في الصوتيات الذي يقول في صدده "ثم إني استيقنت ذلك حين حملني العمل في الصوتيات المختبرية على انتجاع قول من المعارف التشريحية والفيزيائية والإحصائية، ما كانت لتمتد لها عيناي لو أني أويت إلى كهف الاختصاص المحدود بجدرانه وأسواره الصم الصلاب، وزادني يقينا على يقين ما وجدته من النجعة المعكوسة"[3]، إضافة إلى منجزه التكاملي المعرفي بين البلاغة والأسلوبيات اللسانية ونحو النص والذي ضمنه في مبحثه "مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية "، وهو بلا شك من العلماء "الذين يجمعون بين المعارف العلمية والجمالية ويستخدمون نتائج علم لإثراء الآخر، دون أن يصيبهم التخصص بضيق

[1]- سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد أوراق بينية ،ص 17.

[2] - المصدر نفسه ،ص158.

[3]- المصدر نفسه، ص 17.

الأفق والقصور، أو ان يفقدوا قدراتهم في التصورات النظرية الفلسفية الخلاقة فيقعون في مستنقع الجزئيات الآسن الخالي من الحركة كما انتهى إليه أمرنا في الدراسات البلاغية التقليدية"[1]

4.2/ تأتيرات الخلفية المهنية والأكاديمية:

الملمح الآخر أن انتاجات سعد مصلوح الفكرية ظهرت إلى الوجود بفعل التأثيرات المهنية والأكاديمية، وما تمنحه من سمات للباحث كالدقة والامانة العلمية والتتبع والملاحظة والجرأة في الطرح والقدرة على التحليل المنهجي، ومن هذا المنطلق نجد أن الباحث كثيرا ما دائما ما كان يعقد صلة اسهاماته وبحوثه العلمية بوازع أكاديمي جامعي، بالنظر الى تدريسه تخصصا معينا، أو بغية الإفادة في استكتاب جامعي، أو بطلب من شيوخه أو بتأثير منهم ، ومن أمثلة ذلك ما نجده في فاتحة كتابه في اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص حيث يقولك:" ثم كان أن استكتبتني جامعة الكويت عام 1989، بحثا لينتشر في كتاب تحيي به ذكري شيخنا المغفور له –بإذن الله –عبدالسلام هارون فكانت سهمتي فيه دراسة جعلت عنوانها العربية من نحو الجملة إلى نحو النص. وهكذا اتصلت أسبابي بكتاب شيخنا تمام حسان من جديد"[2]،كما يلحق أوراقه البينية وسهمته في تداخلية العلوم إلى أستاذه بدار العلوم " محمد غنيمي هلال" ويقول في ذلك " ومن هنا كانت الأوراق البينية التي ضنتها هذا الكتاب– ولا تزال– من توابع ذلكم السؤال الذي سألني إياه ذلك الشيخ العظيم محمد غنيمي هلال ذات حوار عام 1964م"[3]، ويقول في موضع آخر عن السبب الذي دفعه إلى بحثه عن آفاق الأسلوبيات المعاصرة حيث يقول في مقدمة كتابه البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، "وتعود بي الذكرى في هذا المقام إلى سنة أربع وتسعين وتسع مئة وألف، حين استضافني الأخ الفاضل والعالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الله المهنا؛ لأكون محررا لعدد من أعداد مجلة رصينة في عالم الفكر؛ وكان إذ ذاك مضطلعا بمسؤولية رئاسة تحريرها، وقد استشعر الدكتور المهنا خطر القضية؛ فاقترح لذلك العدد عنوانا جادا مرهقا هو: آفاق الأسلوبية المعاصرة. كما استشعرت من جانبي خطر اقتراحه، فجعلت تقدمتي

[1] – صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، 1998، ص117.

[2] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات ص104.

[3] – سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، ص17–18.

لأبحاث العدد جوابا عن ذلكم السؤال الذي يتلجلج في صدور بعض طلاب العلم"[1]، تثبت التجارب تأثير هذه الخلفية على كثير من الكتاب عبر التاريخ وحتى في وقتنا الحالي، لأن الكاتب لا يكتب من فراغ إلا في النادر القليل، وإنما يكتب استجابة لمؤثر خارجي يرتبط غالباً بالدوافع والدواعي العلمية كالملتقيات والندوات أو استجابة لقضايا راهنة، يطرح فيها آراءه ويبيّن مواقفه إزاءها.

وضمن دراستنا في هذا الإطار نلحظ أن هذا التنوع والثراء الذي شكل المعالم الكبرى للمرجعية الفكرية للباحث إنما هو نتيجة مباشرة لسعة أفقه وانفتاحه على الكثير من العلوم والمعارف، وتمكنه من إتقان العديد من اللغات، والتي صاغها في وجهة محددة وهي الانطلاق بهذه العلوم إلى رحاب "نحو النص" لما يكفله من وسائل منهجية وتحمل الثراء والتنوع وتمنح الحيوية والديناميكية لهذه العلوم التي شخصت تحت وطأة نحو الجملة ردحاً من الزمن، ولا أدل على ذلك من فضل السبق واستحقاق الريادة في هذا الموضوع، إذ يعود بحسب الكثير من الباحثين صاحب الفضل الأول في نقله إلى العربية وتطبيقه على نصوصها.

5.2/ الخطاب المقدماتي عند سعد مصلوح:

للمقدمة أهمية بالغة في الفعل العلمي، من حيث كونها نصا افتتاحياً موازياً، شأنها في ذلك شأن نصوص موازية أخرى كالعنوان والفواتيح وغيرها، والمعروف أن خطاب المقدمات اختص في أول الأمر بالكتابة الأدبية، ولكنه بفعل التقارب بين العلوم وسياسة التعميم جرّ إلى أنواع أخرى من الكتابات ولا سيما الكتابة اللسانية منها، كما تتميز المقدمة "بأنها الصورة المثالية التي يتطلع الكاتب إلى إنجازها، إذ عليها يترتب نجاح التلقي أو فشله، واليها توكل مهمة توجيه القراءة وتنظيمها"[2]، حيث تعمل على التعريف بالتّوجّه العام للدراسة، وبيان المقاصد الخفية والمعلنة لصاحب النص، والمنهجية المتبعة في التأليف، إضافة إلى طرح الإشكاليات العامة التي يتوجب الإجابة عنها في متن هذه الدراسة، ومكمن الاختلاف بينها وبين المتن، أنّ الباحث يكون فيها أكثر حرية وانعتاقا من الأغلال المنهجية والأكاديمية وأكثر انفتاحا على التعبير والشرح والتعليق، إضافة إلى اتساعها لتوجيه النظر نحو القضايا الشائكة المراد حلها، والتذكير بكميّة الأعباء والمصاعب التي يمكن أن تواجه البحث، كما تتميز بالاقتصاد في اللغة، والتركيز على المنطلقات والأهداف المرجّو صيدها،

[1] – سعد مصلوح، فى البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص9– 10.

[2]– حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009، ص 101.

ويمكن أن يطرح الباحث في صلبها أهم النقاط العرضية التي يسير حولها النص، كما أنها تكفل قدرا يسيرا من الحمولة الدلالية على المضمون العام لتهيئة المتلقي قصد الدخول في صلب الموضوع، وتختلف المقدمة من مؤلف إلى آخر بحسب الموضوع والمنهج المتبع.

يشكل الخطاب المقدماتي عند "الدكتور سعد مصلوح" مساحة مهمة في كل مؤلفاته، لما يوليه لها من أهمية كبيرة، وتكون في أغلبها على شكل مقدمة موسعة، جامعة لكل مكوناتها المنهجية، حيث يفتتحها بالحمد والدعاء والاستعانة بالله عزوجل، ليلج إلى مهاد بغرض تهيئة المتلقى وتوجيهه صوب القضايا التي يعرضها، مبتدئا بتحليل بنية العنوان وشرح اهم المصطلحات المفاتيح الواردة فيه مبينا السبب من اختيارها دون غيرها، ثم يعمد على تقديم ما يعين المتلقي على استطلاع المنطلقات والأهداف المنشودة من هذا المؤلف، كما يحاول تحديد الاهداف المتوخاة من العمل، لينتهى إلى طرح ما ينطوي عليه من قضايا وإشكالات وتصورات عامة ، وبهذا الفحص السريع يمكن أن نقول أن الخطاب المقدماتي يتميز عن غيره، بعديد المزايا وهي:

– الوعي بالمنهجية الأكاديمية: تتميز بقيامها على ضابط منهجي محكم، يحيل إلى المرجعية الاكاديمية التي يتميز بها من خلال مزاولته للتدريس الجامعي واشرافه على عديد الأطروحات

–التلاؤم مع منطلقات ومقاصد البحث العامة: يتبين من خلال حرصه الشديد على عقد الصلة بين ما يرد في المقدمة من خيوط وربطها بالمتن، فلا يجد المتلقي انفصاما بين المجالين الخطابين الموسع (المقدمة) والمحدد (المتن).

– الإفصاح عن موقفه من القضايا الشائكة (التراث والحداثة، التجديد...، بشكل صريح.

– التحكم في المصطلحات العلمية ومعرفة حدودها وتصوراتها بشكل دقيق.

–التحكم في القضايا والطروحات الابستيمولوجية وخاصة فيما يتعلق بأصول النظرية، والدراسات البينية، والتقاطعات الممكنة وما ينتج عنها من نتائج علمية.

وهي بلا شك محددات علمية وأكاديمية تثبت مدى التحكم المنهجي في الكتابة

6.2/ التوثيق العلمي في كتابات سعد مصلوح:

ترجع أهمية الاطلاع على المصادر والمراجع التي يعتمدها الباحثون في مختلف انتاجاتهم المعرفية، من خلال كونها "عتبة نقدية تعريفية من موقع مغاير للعنوان، فهي تحيل القارئ إلى مدى اطلاع الناقد على الكتب المجدية في المنهج الذي استند إليه، وفي التعرف على الثقافة العلمية التي جعلها مرجعيته في إجراءاته"[1]، وأيضا بهدف الكشف عما يعين على معرفة الأصول الفكرية والمرجعيات التأليفية والمبادئ المنهجية ومدى امتلاك الباحث لناصية اللغات الأجنبية، وكذا دورها في التوجيه إلى مواطن الإبداع والأصالة والأمانة العلمية، وبالنظر إلى هذه الزاوية التي لا تعد قطعاً جانبا شكليّا تفرضه المنهجيات الأكاديمية، وإنما من خلاله يمكن الاطلاع على قبسات الإبداع عند الباحث وتمنحه التبرير العلمي والمعرفي، أو الحكم عليه بالتقليد والتكرار والاجترار للمعلومة، لذلك نجد أن لكل كتاب "مراجع ومصادر يمتاح منها ويستند إليها ويحاورها – وكانت جمهرة كبيرة من نصوص الكتاب منقولة عن عدد غير قليل من المراجع والمصادر بدرجات متفوتة من الخفاء والظهور- كان تمام الوفاء بتعيين مصادرها وموارداها حقا واجبا ومظهرا كاشفا عن حقيقة الجهد"[2] ، إضافة إلى دورها في إضفاء نوع من المصداقية للعمل والمراد بالمصادر والمراجع ما يمكن أن يعتمد عليه الدارس"في دراسة موضوع محدد، وتحدد هذه المصادر الأبحاث التي انطلق منها الباحث، أو استند إليها للوصول إلى نتائج معينة، ويندرج في هذا السياق إحالات الباحث إلى غيره من الباحثين المشتغلين بنفس القضية أو العاملين معه في نفس الحقل أو في حقول معرفية أخرى يكون في حاجة إليها"[3].

من خلال تتبع الجانب التوثيقي في كتابات سعد مصلوح المتعلقة:"نحو النص"أو "لسانيات النص"، نلحظ تنوع المراجع التي تفرقت بين مراجع لسانية، وأخرى حداثية وأخرى تراثية ويظهر هذا التنوع طبقا للمسارات والقضايا التي تناولها الباحث صعودا ونزولا في كتبه كما يمكن الإشارة إلى مميزات عدة منها:

---

[1]- آراء عابد الجرماني، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات الضفاف الاختلاف، ط1، 2012، ص98.

[2] - سعد مصلوح، عن دقائق التلبيس بين التأليف والترجمة، مجلة اللساني عدد1، مج1، 2021، ص171.

[3]- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشق ، رسائل وأطروحات ، رقم4، 1991 ص65.

– أولا: قلة المصادر والمراجع المعتمدة من الباحث، بالمقارنة مع حجم العمل المطروح في مشروعه الضخم الذي أدمج فيه مختلف التوجهات المعرفية الاخرى، والذي يدعو من خلاله إلى التأسيس للسانيات النصية وبعثها في الثقافة العربية، والتي غلب عليها إحالات إلى مؤلفاته الأخرى بغرض التأكيد أو الاستزادة، أو توسع في بعض المفاهيم التي تحتاج إلى مزيد من التوضيح والشرح وتتضح مرجعيته الغربية في كونه اعتمد بصورة كبيرة على مصدرين رئيسيين من الكتب اللسانية الغربية، وهما: كتاب **فان دايك**، وكتاب **دي بوجراند** حيث يعتبران من أهم الكتب المؤلفة في هذا التوجه المعرفي وهما[1]:

1/ Teuon, A. Van Dijk, "Some Aspects of Text Grammar A Study in the oritical Linguistics and Poetics, Mouton, The Hegue – Paris, 1972

2/Robert Allin de Beaugrand and Wlrich Dresslar "Intr aduction to text Linguistics". Longman, London, New York

أما الكتب التراثية فقد اعتمد على كتاب "الخصائص" لابن جني ، و"المزهر" للسيوطي، وشرح ابن عقيل، والإيضاح للخطيب القزويني، والكتاب لسبويه، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني، أما المؤلف الذي أخذ الحصة الكبرى في كتابات سعد مصلوح اللسانية النصية، هو كتاب "مفتاح العلوم للسكاكي" لما يتضمنه في نظر الباحث من بذور يمكن ان تشكل آفاقا لدراسات أسلوبية ونصية حديثة.

كما اعتمد على بعض الكتب والمؤلفات العربية الحديثة، بغرض الاستعانة بها في تقديم أفكاره أو توضيحها أو تدعيمها، مثل كتاب: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، وكتاب عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية الشعرية ....

[1] – إن سعة اطلاع الباحث على الكتب المهمة بلغتها الأصلية المحررة بها، مكنه من الإحاطة بهذا الفرع المعرفي في بلده الأم، ليتجاوز هذه النظرة العامة إلى نظرة أخرى ممثلة في محاولة تحديد إطاره العام المنسجم مع خصوصية اللغة العربية وعلومها وفنونها، وهو ما سنراه ماثلا في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ثانيا: التركيز على "التعليقات والشروح على الهامش" من زاوية توضيح ما يراه مبهما، أو الاستزادة في ما هو جدير بالشرح، أو التعريف ببعض الأعلام أو المدارس اللسانية، وبيان أهم مرتكزاتها وأسسها والكشف عن أهم الفروق التي تميزها عن غيرها، وجرى الاعتماد على هذا الجانب لأهميته في الشق التوثيقي، من خلال ما يمكن أن تحمل هذه التعليقات والشروح من توضيح للافكار باعتبارها حمولات دلالية قابلة للتأويل وإعادة القراءة، والتوسع إلى جوانب أخرى يمكن من خلالها أثراء الموضوع وتوسيع نطاقه.

ويرجع السبب الرئيسي إلى قلة وجود المصادر والمراجع في أعماله، كونها مؤلفات تحمل مشروعا ذا طابع تأسيسي للعلم، وذلك طبقا لما تفرضه السنن العلمية والمعرفية في نقل العلوم من بيئة إلى بيئة مغايرة، أن تنقلها من مصادرها، ومن الرواد الحقيقين الذي كان لهم شرف الإسهام بشكل مباشر تشكليها، وبناء أنظمتها الفكرية، وتمكين مقوماتها النظرية والإجرائية، ورسم حدودها المعرفية.

7.2/ سؤال الترجمة والمثاقفة عند سعد مصلوح:

يهتم الباحثون بالترجمة في العصر الحديث باعتبارها " فعلا حضاريا يعكس تلاقحا ثقافيا بين نمطين من المستويات الفكرية للنشاط الإنساني، ويعكس رغبة أكيدة للاستفادة من التجارب الإنسانية ومحاولة نقلها إلى اللغة الأم للمجتمع من دون المساس بروح النص، وفي الوقت نفسه مراعاة خصوصية اللغة المنقول إليها النص، وتعد الترجمة أيضا عملية نقل المدلولات من لغة إلى أخرى، إنها عملية عبور للمفاهيم والأفكار بوساطة الدوال الخاصة باللغة المنقول إليها، ويكشف هذا الفعل عن عوامل تحفيزية تنبع من عدم الاستقلالية الثقافية والتي تقوم على التفاعل وتبادل التأثير لإثراء التجربة الإنسانية "[1]، وبهذا تشكل الترجمة أهم روافد المعرفة الإنسانية، ووسيلة أقدر على منح التقارب الحضاري بين الثقافات، لما تمثله من فضاء بينيّ تتمازج فيه الثقافات وتتلاقح بغية توسيع المدركات العلمية، واستكشاف عناصر مشتركة كثيرا ما تمثل آفاقا مفضية إلى إذابة الحواجز بين العلوم الإنسانية، إضافة إلى دورها الكبير في تأصيل الكثير ومن العلوم والمعارف، ولا شك أن المتتبع لمسارب الفكر اللغوي العربي الحديث، يلاحظ أن فعل الترجمة يمثل حجر الزاوية في مشروع

[1]- محمد تحريشي، الترجمة: النص والحمولة المعرفية، كتابات معاصرة، ع32، 1998، ص 133.

سعد مصلوح لما يوليه لها من أهمية بالغة، وذلك لمحاولاته الجادة والمثمرة في الترجمة وفتح أطر المثاقفة[1] مع المنجز الغربي في ميدان اللسانيات، وبذلك لم تكن الترجمة عنده موضوعا هامشيا بل كانت وإلى يومنا هذا ميدان المعركة الأول الذي يثري من خلاله أبحاثه القيمة وتستنير بها آراؤه المستفيظة، والممثلة في ترجمته للكثير من الأعمال بطريقة فردية أو بالإشتراك، معتبرا إياها " مجال من مجالات المعرفة الانسانية هو أجلّ من أن يكون محض اعلام بأمر كان أو سرداً مُجردا يُساق إلى قارئه للتفاكُه والمتاع، ولكن الأخلق به أن يكون تصويراً لرحلة العقل مع الظاهرة المدروسة منذ تَفَتَّحت عليها الحواس البشرية ورعتها الأذهان وعالجها العقل بالفحص والاختبار، يُعملان فيها ملكاته بالملاحظة والتجريب، والتعميم والتجريد كشفاً لمخبَّاتها وصياغةً للقوانين الحاكمة عليها"[2]، يشير الباحث ضمن هذا التقديم إلى ضرورة إضفاء الطابع العلمي التجريدي في كل تعامل مع الترجمة باعتبارها ظاهرة علمية بحتة وليست نشاطا ثانويا أو ترفيهيا، وذلك بدراستها دراسة علمية مبنية على الضبط والتجريب والعقلنة ، كما دعا إلى ضرورة صياغة إطار نظري يكفل ممارساتها ممارسة سليمة،

ترجمة فردية:

1/ منجزه الترجمي الهائل لكتاب إدوين غنتسلر "**في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة**"[3] Gentzler Edwin, Contemporary Translation Theoriesorary, 2001، وتمت ترجمته الى العربية من طرف الباحث ،صدر عن المنظمة العربية للترجمة، سنة 2007

وهو منجز علمي تصدر مكانة كبيرة في الدراسات الغربية، لما" يحويه من وجوه المزية ما يعز اجتماعه في كثير الكتب"[4]، هذه المزايا التي يمكن الانتفاع بها في الثقافة العربية .

[1] – المثاقفة مفهوم حديث يقوم على مدى إمكانية اكتساب ثقافة مغايرة للثقافة الرائجة في البيئة الأصلية.

[2] – ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص1.

[3] – منجز ترجمي هام قام به الباحث لكتاب"نظرية الترجمة اتجاهات معاصرة" إدوين غنتسلر" وهو كتاب يحضى بمكانة كبيرة بين أوساط المنشغلين بالترجمة، لما يحيله من صياغة جديدة للفعل الترجمي وتحويله من مجرد آلية" نقل" إلى إطار التثاقف، ويتضمَّن خمس مقاربات جديدة هي: ورشة الترجمة، علم الترجمة، الدراسات الترجمية، نظرية النسق المتعدِّد، والتقويضية، حصل من خلالها على جائزة الشيخ زايد للكتاب في فرع الترجمة سنة 2009

[4] – إدوين غنتسلر، في نظرية الترجمة اتجاهات معاصرة، ترجمة سعد مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص8

ثانيا: ترجمات بالاشتراك:

2 ترجمة لكتاب ميلكا افيتش"اتجاهات البحث اللساني" ,milka trends in liguistics ivic، بالاشتراك مع وفاء كامل فايد، الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة سنة2000.

إضافة إلى ترجمته العديد من البحوث في مجلات مختلفة، الخاصة بموضوع محدد: اللغة والمهن: اللغات الخاصة ودورها في الاتصال بالاشتراك مع هـ .فيلبر، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب – الرباط 1989،

إضافة نظرته الفاحصة لعلاقة الترجمة بالممارسات اللسانية العربية تحديدا، وأهم المشكلات والتحديات التي تواجهها، ومنها محاولته الجريئة في توصيف واقع العمل الترجمي في اللسانيات المعاصرة الذي يراه في أغلبه عبارة عن نمط خطير وهجين من حيث هو "تأليف أشبه بالترجمة أو ترجمة أشبه بالتأليف" ، ولكشف هذا الواقع المأزوم يميز بين ثلاثة ضروب :[1]

1/ **تراجم خالصة:** وهي تراجم لأعمال لسانية عمد أصحابها إلى نقل الأصل دون تفاعل يذكر، وهذا من منطلق الأمانة العلمية والحرفية، يجرى فيه الاهتمام بالشكل دون الاعتبارات السياقية والمعنوية المصاحبة للعمل، وهو نوع من الترجمة يكون ب"الانتقال من اللغة المتن إلى اللغة المستهدفة للحصول على نص صحيح من جهة التركيب والصرف أو المعنى، و ذلك بتقييد المترجم بالإطار اللساني فقط"[2]، وهو ما غلّب عليها قلة الإفادة وانعدام التواصل بين النص المترجم والمتلقي، وقد مثّل هذا التوجه كتاب فندرييس"اللغة" وقد ترجمه عن اللغة الفرنسية كل من محمد القصاص وعبد الرحمان الدوخلي.

2/ **تراجم اجترأت على النص المترجم:** والتي عمد أصحابها إلى الإقدام على النص الأصلي والنقل عليه بهدف توطين المعرفة، ويرى أصحابها أن المعنى يكون من المتلقى وليس من النص، إلى درجة يكون فيها نسب النص الى صاحبه أمر فيه ظلم كليهما، وهي حسبه ترجمة أوفى من الأولى

[1] – ينظر: سعد مصلوح، عن دقائق التلبيس بين التأليف والترجمة، ص168.

[2] –ينظر: .Camille I. Hechaimé, La Traduction par les Textes Dar El- Machrek Beyrouth .2002.p61

ويضيف إلى أن ادراجها ضمن حيز التراجم أمر مبالغ فيه، وأما مثاله حسب الباحث فهو كتاب جسبرسن"اللغة بين الفرد والمجتمع" المترجم إلى الإنجليزية من طرف عبد الرحمان أيوب

3/ **ترجمة جمعت بين الرأيين:** حيث أضفت عن النص الأصلي هامشا للتوضيح والاستزادة حمل كل ما هو ضروري وغير ضروري ومثاله: ترجمة كمال بشر لكتاب لكتاب أولمان" دور الكلمة في اللغة ".

حاول الباحث من خلال التمييز بين هذه الصنوف الشائعة في اللسانيات أن يبين حدود بين النقل الحرفي في الترجمة ومستوى الإبداع، فالترجمة حسبه عمل إبداعي يعمد فيه إلى إعادة بناء وصياغة العمل الأصلي صياغة جديدة قائمة على توظيف المكتسبات المعرفية، وتفعيل المهارات اللغوية، مع الحرص على الأمانة العلمية التي تضمن المعنى والقصد، فالنقل الحرفي يفقد النص حيويته وديمومته، فحيوية النص ودوامه وانعاشه ينتج عن ممارسة التفكير الدائم في خضم عملية الكتابة والترجمة، وكما ان تعدد التأويلات تخرج النص المترجم عن نطاقه وتجعل منه عملا أشبه بالتأليف، ولا ضير من ممارسة الحرية الابداعية ضمن حدود اطار النص العام دون ان تفقد النص المترجم هويته وامتداده، وليس له من الحرية ان يدخل به ما ليس له صلة بالموضوع في صلب النص المترجم من ثناء أوذم أو التعرض الى أوجه من المطابقة أو الخلاف وقد عبر الباحث عن هذا في مقدمة كتابه المترجم "نظرية الترجمة" بقوله :" ولقد صفحت الكتاب صفحا، ثم قرأته على مكث، فوجدته كتابا يحوي من وجوه المزية ما يعز اجتماعه في كثير من الكتب، ولست أريد في هذه المقدمة – أن أنزع إلى ثناء أو إطراء ؛ فما أبعد ذلك من الأعراف العلمية ومما أريد"[1]، فليست الترجمة من هذا المنظور الشامل الغاء للذات المترجمة للنص، ووقوعها تحت هاجس الأمانة العلمية وجعل عملية الترجمة مرادفا لتقنية النسخ، ومجرد استبدل سلبي للغة عن طريق إيجاد المكافئات اللغوية، في إثراء النص بما هو قابل للإضافة في حدود الإطار الإبستمولوجي لدرجة التماهي أو تفوّق النص المترجم على النص الأصلي، ليكون بمثابة خلق جديد للنص قادر على التأقلم والتلاؤم مع البيئة الجديدة وسياقها المعرفي والحضاري.

[1] – إدوين غنتسلر، في نظرية الترجمة إتجاهات معاصرة، ص 07.

ومن أهم مميزات العمل الترجمي عند الباحث تمكنه من المادة العلمية محل الترجمة ومعرفته بسياقاتها وقضاياها، وتمكنه من التحكم في اللغة المترجم منها ولغته الأصلية على حد سواء، إضافة إلى تحكمه في الجانب المصطلحي.

3/ سؤال الفاعلية في مشروع سعد مصلوح الفكري:

بعد مساءلة المرجعيات الفكرية والثقافية لمشروع سعد مصلوح اللساني نصل إلى مساءلة أخرى لا تقل أهمية عن الأولى وهي مساءلة ترتفع إلى مستوى التقييم والتقويم، بغية التعرف على مواطن القوة والضعف، وإظهار الإيجابيات وتشخيص العوائق، وصولا إلى جدواها ومدى فاعليتها في تحقيق ما يناط بها من أهداف أو حل ما تندب لحله من اعتراضات و إشكالات، وبيان مستوى الإبداع في كل ذلك، بيد أننا نعترف بعدم امتلاك الأدوات الإجرائية لإصدار أحكام قيمية نهائية، ولكننا نسعى إلى الإسهام في تحديد مدى فاعلية أسس هذا المشروع في الوصول إلى المبتغى العلمي، من منطلق أن لكل تجربة أو مشروعا هدفا محددا، والجدير بالذكر أن سؤال الفاعلية يستدعي بالضرورة النظر في مدى سلامة هذه المقاربة من حيث التنظير والإجراء لهذا المشروع الفكري بكل تنوعاته، وذلك بالرجوع أصلا الى تحديد العلاقة بين المرجعيات والمنطلقات الفكرية ومدى ارتباطها بالبنية المعرفية وتأثيراتها على العملية الإبداعية، إضافة إلى مدى توفيق الباحث فيما ذهب إليه وما انعكس عنها من تجليات مميزة وفارقة جعلت جهوده ذات قيمة علمية كبيرة، كالريادة العلمية، ومسألة اختيار المفاهيم والمصطلحات، والمنهج المتبع في أعماله، ومدى ملاءمة آرائه للواقع العلمي وموقف العلماء منها، ومدى إمكانية الاستفادة منها في تطوير اللسانيات العربية المعاصرة.

1.3/ خصوصية التجربة اللسانية النصية عند سعد مصلوح:

استطاع سعد مصلوح نحت اسمه في سجل أعلام البحث اللساني النصي العربي، ولم ترتبط هذه الأهمية بكمية النتاج المعرفي في هذا المجال المعرفي بقدر ما نتجت عن اجتهاداته وآرائه وأفكاره المغايرة التي لم تقتصر في حدود التلقي المجرد للنظرية، بل عمد على إيجاد نوع من التثاقف ينتهي إلى بناء أفكار جديدة متسقة مع فكرنا وتراثنا العربي الأصيل، وهي مثاقفة تستقصي كل الرؤى المنهجية في صياغتها لنحو نص يجري تأصيله لجعله جزءا من بنيتنا الثقافية، مع ضبط جزئياته ومكوناته بما يوافق خصوصية اللغة العربية وعلومها، "من خلال تقييم الموازين القسط بين التنظير والتطبيق، وتسوق من

البراهين ما يصحح القول بحاجة العربية ونتاجها من القديم والحديث"[1] هذه الخصوصية التي انبنت عن طابع نقدي تحليلي وظفه الباحث في فحص وتمحيص النظريات اللسانية النصية ومفاهيمها الإجرائية واستكشاف خباياها وحدودها المعرفية، مع الحرص على توفر عوامل الاستنبات الصحيح في البيئة الجديدة، ليصل إلى جملة من الاستنتاجات التي مكنته من تطويع هذه النظريات وضبط آلياتها الإجرائية، وذلك من منطلق أن" اللسانيات هي نظرية غربية ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب، وإنما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر على نطاق الجنس والهوية والعرق، إن الاختلاف بين الأمم يكمن في كيفية استخدام نتائج علم من العلوم وتوظيفها في ناحية معينة، وهكذا فإن اختلاف الاستخدامات لنتائج العلم تتبع اختلافات الإيديولوجيات في العالم، أما قضية استخدام الوسائل والأساليب والتقنيات العلمية والتوصل إلى هدف أو غاية علمية معينة، فإنها مسألة مشتركة بين جميع الحضارات الحديثة"[2]، وتتأتى هذه الإمكانية من خلال أن العلوم في حركة تطورها تبدأ بالانفصال شيئا فشيئا عن المحددات الاساسية المنشئة لها متجهة صوب الشمول والتعميم، وهو ما يمكّن من تحقيق إعادة تأصيلها في بيئات أخرى بطرق جديدة وبآليات مغايرة، وعليه يمكن للمتلقي لهذه النظريات والمناهج أن يعمل النظر في إستراتجيات هذا الانتقال وتأطيره وفق أهداف مسطرة موجهة إلى إغناء اللسانيات العربية، متكئاً في ذلك على مرجعيته التراثية التي استلهمها من دروس العرب القدامى الذين" أفادوا من غيرهم لثقافتهم ما طوروا به أعرق العلوم العربية والإسلامية كالنحو والنقد والبلاغة وأصول الفقه وعلم الكلام، بله الفلسفة والطب والرياضيات والبصريات وغيرها من العلوم الحادثة . وكان لهم من دينهم وثقافتهم ضابط يحدد للعقل المسلم المتطلع للمعرفة ما يأخذ وما يدع، وحاولوا التوفيق بين العقل والنقل، وبين الشريعة والحكمة. وهذه هي سنة الله في التطور ، فلا نعرف ثقافة تطورت وتجددت من داخلها فحسب دون أن تتلاقح أفكارها وعلومها مع الأفكار والعلوم الناشئة في ثقافات غيرها"[3]، هذا الضابط المعرفي او ما سما البحث " بالإدراك الواعي" الذي يحكم عملية التلقي والتثاقف، وتقوم عليه مساءلة الأخذ والترك، وتستقيم عليه" شروط يأتي على رأسها الوفاء بطبيعة الثقافة العربية، ورعاية خصوصها

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 14.

[2] – مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1989، ص39.

[3] – سعد مصلوح، قراءة نقدية في كتاب رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للاستاذ محمود شاكر، مجلة العربي، عدد353، 1988، ص47.

ونصوصها"[1]، وأن لا يكون تلقيا عشوائيا مسلطا عليها وهو أمر لم يدركه إلا قليل من العلماء الاجلاء أمثال تمام حسان في دراسات القيمة بين نحو الجملة ونحو النص، ومحمد حماسة ...

إنّ تبني الباحث لهذا الأنموذج الذي بدا غير مسبوق في مجالات تلقي واستقبال النظريات اللسانية الغربية، يرجع بالأساس إلى إدراكه للقيمة المعرفية والمنهجية للمناهج الغربية وجاهزية أدواتها وآلياتها الإجرائية، وإلى ضرورة الإفادة منها في ترقية اللغة العربية في حدود الملاءمة أو القيمة العلمية المنهجية المضافة، ومدى كفايتها في معالجة اللغة وقضاياها، واستثمار كل ذلك في تحديث التراث البلاغي والنقدي بغية استجلاء أبعاده النظرية والدفع بها في سبيل تطوير ثقافتنا العربية ،" المطالبة بتجديد نفسها، وبمواجهة عاقلة رصينة لمتغيرات كثيرة لم تكن من قبل، وبدفاع رشيد عن كينونتها وشخصيتها المتميزة، وبدور فاعل في تشكيل الحضارة الإنسانية المعاصرة، ولكن صلاح آخر هذا الأمر لا يكون إلا كما صلح به أوله، ألا هو الحوار الذكي والانفتاح المنضبط على ثقافات البشر من موقع الثقة بالنفس، والوعي بالخصوصية وتحديد المعيار الضابط لما نأخذ وما ندع، وبالتمثل الصحيح لأي زاد ثقافي غريب حتى يستحيل في جسد الأمة ذكاء وماء وعنفوانا، وأحسب أنَّ هذا هو الدرس الذي لقننا إياه أسلافنا العظام ليجعلوه لنا تذكرة، وتعيه أذن واعية"[2]، وهي بلا شك استراتيجية نفعية استثمارية معرفية تفرضها مقتضيات لغتنا وثقافتنا وحاجاتها المتزايدة لبلوغ ركب العلوم واللغات المتقدمة، هذه النظرة العميقة التي استطاع الباحث من خلالها أن يقدم لنا منجزا بهيا ناصعا تضمن" ملامح رئيسة لنظرية نصية عربية، قوامها الجمع بين معطيات علم النص الحديث واستثمار نحو الجملة العربي في صيغته الرصينة، مع ما أماط اللثام عنه من صحيح فهم مُراد السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم " الذي أدى إلى استنباط ثلاثية كبرى تضم النحو والصرف وعلوم البلاغة، وقد جعلها سعد مصلوح ممثلة لأسلوبيات اللغة التي ينبغي أن توظّف في أسلوبيات النص الأدبي ونحو النص .وبهذا نستطيع أن نقول إن استثمار الخبرة العلمية والعملية في البلاغة والأسلوبية –بشكل واضح –من أهم سمات نظرية نحو النص عنده"[3].هذه بلا شك محاولة شكلت صيغة جديدة ونمطا لم يكن معروفا في الثقافة العربية، ورسمت طريقا يحدد معالم التعامل المثالي مع المنجز الغربي، يقوم

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص14.

[2] – سعد مصلوح، قراءة نقدية في كتاب رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للاستاذ محمود شاكر، ص48.

[3] عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، جامعة السلطان قابوس،2015، ص 550.

على رؤية ترتكز على تحديد مدى صلاحية هذه المنجزات ومدى توافقها بالنسبة للثقافة العربية وبالنسبة للقارئ العربي، وما تنجر عليه من تبعات تتمثل في أعمال النقد والتمحيص لاستجلاء عناصر جديدة داعمة للغة العربية وتثبيت خصوصياتها.

2.3/ سعد مصلوح وجدلية الريادة في لسانيات النص –التبشير باللسانيات النصية:

تأخذ أعمال سعد مصلوح موقعا ريادیا في تشكيل قسمات اللسانيات النصية في الثقافة العربية، بالنظر إلى حضورها الباكر، "حيث يعد من أوائل من بشروا بعلم لغة النص"[1]، وقد أسهمت هذه الجهود وغيرها ممن كان لهم فضل السبق في صياغة أهم المنطلقات النظرية والمنهجية لهذا العلم، بيد أن مسألة حسم الريادة تستوجب مسحا تاريخيا نستطيع من خلاله الاهتداء إلى هذا الأمر

وفي إشارة عن أسبقيته وريادته في الدعوة إلى نحو النص، وآفاقه في دراسة اللغة العربية، فقد أرجعها إلى عملين سابقين، هما:

كتاب"الأسلوب دراسة لغوية إحصائية"والذي رأى من خلاله بُعد العربية عن هذا النوع من التحليل "النصي"، وذلك لعدم التفات جمهور الباحثين إلى هذا النوع من التحليل، بدعوى عدم جدواه، وانبهارهم بالوافد الجديد، وهو ما يمكن التأكيد به على هذه الريادة ،أما الثانية فقد ضمنها في بحثه المعنون بمشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، المنشور سنة 1988، حين استظهر أهم الفروق بين البلاغة العربية والأسلوبيات، وأكد أنّ البلاغة تعتمد على نحو الجملة، أما الأسلوبيات فلها آفاق ترتبط بتقدم وسائل البحث في اللسانيات النصية، أي النظر إلى مستوى ما وراء الجملة، وبالإشارة إلى تاريخ طبع الكتاب 1980 يمكن التأكيد على هذه الريادة والأسبقية في حضور علم النص في السياق العربي، وهذه الإشارة لها ما يسبقها،كما لم يفته الإشارة في موضع آخر إلى السبق العربي في هذا المجال لكل من الخولي وأحمد الشايب حيث يقول "على أنه يبقى من صيغة "الخولي" تلك اللفتة الرائعة الداعية إلى مجاوزة البحث البلاغي مستوى الجملة إلى مستوى ما وراء الجملة في الفقرة والنص، ويزيد عجبا منها وإعجاباً بها ان ذلك كان منه في تاريخ متقادم يعود الى 1931، وعجب كيف مرت هذه الدعوة ولم تجد لها صدى على صعيد النظر الا في ماكتبه أحمد الشايب، في كتابه الاسلوب الذي صدرت طبعته سنة1939"[2]، ومن المؤسف أن هذه اللفتة

[1] خالد فهمي، أبو الحسن الجمال، مآذن من بشر اعلام معاصرون، ص70.

[2] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص44-45.

اقتصرت على الجانب النظري ولم تنتقل إلى الجانب الإجرائي، والذي كان من الممكن أن تحدث ضجة علمية كبيرة بالنظر الى تقدم التاريخ المذكور، لتسهم في الانتقال المبكر للعربية من نحو الجملة الى نحو النص، غير أن بعض الدارسين لم يوفقوا في تصنيف الأعمال والبحوث المنجزة في هذا الحقل، مثل حافظ إسماعيلي علوي في بحثه: عندما تسافر النظرية لسانيات النص أنموذجا، يُلفت الدكتور عبد السلام السيد حامد النظر إلى إشارتين مهمتين أولهما أن ما صدر عن محمد خطابي بشأن ريادة المتوكل في البحث العربي للسانيات النص عندما استخدم لفظ خطاب" في تسمية الحقول المعرفية، إنما " تعكس تاريخه مع تطور فكرة لسانيات الخطاب (النص) لديه أكثر مما تعكس رصد بزوغ الفكرة بشكل عام في فضاء الدرس العربي اللساني كله، وهي أيضا-في أحسن تقدير – تدل على إيماءة مبهمة عامة للسانيات النص أو الخطاب، متزامنة مع إشارة صريحة واضحة عند سعد مصلوح"[1]، والثانية حول" ما ذكره حافظ علوي من سجل تاريخي وتصنيفي لتطور البحث والتأليف والترجمة في لسانيات النص لدى العرب، وأدرج فيه اثنين من الأبحاث الثلاثة لسعد مصلوح"[2].

كما نشير إلى مدى دقة التصنيف السابق ذكره، من خلال الملاحظات التي أوضحها الدكتور عبد السلام السيد حامد"[3].

– **الملحظ الأول**: أن حافظ اسماعيلي فاته أن يشير إلى بحث سعد مصلوح" المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص"، وكان الأليق به أن يوضع في المقالات والأبحاث أولا على أساس أنه نشر أولا في صورة بحث في مجلة– ثم يدرج ثانياً في الكتابات النقدية، لأن فكرته قائمة على المراجعة والتقويم.

– **الملحظ الثاني** :أنه ذكر بحث"نحو آجرومية للنص الشعري" وصنفه في"الكتابات التطبيقية"، وهذا صحيح ومقبول، لكنه بالنسبة إلى بحث"العربية من نحو الجملة إلى نحو النص"أشار إليه في المقالات، وفاته أن يدرجه بعد ذلك في الأقسام التحليلية التصنيفية الستة الأخرى .وفي ظني أنه كان ينبغي أن يوضع في"الكتابات التنظيرية"مع العمل المفرد الذي ذكره لأحمد المتوكل في هذا المجال

[1] – عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ص 532.

[2] – المرجع نفسه، ص533.

[3] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها،

وهو" قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية :بنية الخطاب من الجملة إلى النص لأن هذا البحث يتوجه بالكلية إلى التنظير بعدّه مدخلا مهما له.

بالنظر إلى ما سبق نستطيع القول بريادة سعد مصلوح في التأسيس لنحو النص في الثقافة العربية، خاصة إلى لفتته الأولى 1980، وهو ما تجسد في أعماله المولية التي ظهرت مع أعمال أخرى مقاربة في تواريخ التأليف، هذه الأعمال التي كانت ولاتزال نبراسا للقارئ العربي في التعريف بلسانيات النص.

3.3/ أزمة اللسانيات من منظور سعد مصلوح:

بعد مسيرة امتدت إلى خمسين عاما من البحث والتقصي في رحاب اللسانيات بحثا وتدريسا، يحاول الباحث تسليط الضوء على واقع الدرس اللساني العربي المعاصر، وإشكالية عدم مواكبته المعرفية والمنهجية لمنجزات اللسانيات الغربية الرائدة، متخذاً من الأنموذج المصري الرائد في هذا المجال مثالا نمطيا صالحا للتعميم، وضمن هذا الإطار قدم الباحث لمحة عامة في شكل سرد تاريخي يصف فيه حدود العلاقة بين اللسانيات العربية ونظيرتها الغربية، والتي أرجع بداياتها إلى الأربعينيات من القرن المنصرم أين انعقدت أوليات الصلة بين الجامعات المصرية والدرس اللساني الغربي، وإلى الشخصية المفتاح" فيرث" j.r.firth الذي كان له كل الفضل، وتلاميذه من بعده في وصول التيار اللساني إلى مصر ومنها إلى سائر الأقطار العربية، هذه العلاقة التي بدت مركبة إلى حد كبير، من حيث اشتمالها على إيجابيات عدة كالانفتاح على المنجزات الغربية، إلا أنها احتوت على سلبيات كثيرة، إذ يفرق في ذلك بين فريقين كان لها نصيباكبيرا في تحديد ملامح هذا المشهد، حيث أقر أن هناك فريقا يتمثل فيما أسماه "الرواد اللسانيون الأوائل"أو"اللسانيون الخلص" الذين عملوا على" وضع النحو التقليدي، موضع المساءلة الجادة، ونفض الغبار عن كنوز من الملاحظ والمقولات التحليلية في كتب التراث القديم عالجت اللغة صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة وبيانا، وأتى ذلك كله أكله عند بعضهم في صورة مشروعات علمية متكاملة تشكلت سماتها بالمزاوجة بين العلم الأصيل والعلم الوافد"[1]، يشير الباحث في هذا الصدد إلى الأعمال التجديدية لعلوم العربية التراثية ليخصص الجهود التي كانت تحتل موقع الصدارة في التجديد والتسيير والإصلاح لما تتمتع به من الأصالة والدقة والتكامل والتزام الموضوعية في الطرح مثل: العقاد والرافعي وطه حسين وأحمد أمين وأمين الخولي وأحمد الشايب،

[1] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة–دراسات ومثاقفات، ص28.

أو من جاء بعدهم ممن مثلت أبحاثهم مشاريع علمية ومعرفية متكاملة تميزت بالمقاربة بين التراث والمعاصرة ومثل ذلك جهود الدكتور تمام حسان ضمن أعماله المقدمة في هذا المجال ومنها مقاله الموسوم ب "المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، ومحاضرته في وصف العلاقة بين النحو العربي ونحو النص في الموسم الثقافي لمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، وشكري عياد ضمن أعماله: اتجاهات البحث الأسلوبي، مدخل إلى علم الأسلوب، واللغة والإبداع، بلاغة السكاكي ومصطفى ناصف ومحاضرته"بين بلاغتين" في نادي جدة الأدبي، وعبد الحكيم راضي، ومحمد عبد المطلب...، وبين فريق ثان شكلت أعماله "صورة متداخلة الخطوط والألوان، لا تكاد تستبين ملامحها للمتأمل واستعلنت مظاهر السلب التي بسطنا القول فيها لتدخل ضروبا من الخلط والفساد على إيجابيات التلاقح والمثاقفة بين اللسانيات والتراث"[1]، ولعله يقصد المنسوبين إلى اللسانيات من جمهرة المثقفين المتأخرين الذين دأبوا في أعمالهم المشوهة الموصوفة بالخواء المعرفي وخلط الذاتي بالموضوعي، وانتفت فيها مميزات الجدة والجودة والتفرد فجاءت أعمالهم مستنسخة هزيلة، لا تفي بالمبتغى العلمي المنشود، وكان غرضهم كسب الشهرة دون مشقة.

ومن جملة المؤشرات الدالة على سلبية هذا الواقع:

- انصراف جهد كبير لقضايا النحو وفقه اللغة على حساب اللسانيات وقد أدى هذا الأمر إلى معالجات لسانيات هزيلة غير موفقة.
- الفهم المشوش للمفاهيم اللسانية الحديثة.
- استباحة التخصصات اللسانية من غير أهلها وما انجر عنها من اضطراب للمصطلح، وأخطاء كثيرة على مستوى فهم النظريات والآراء اللسانية
- ضعف التأطير والإعداد للطلاب والأساتذة في هذه التخصصات.
- غياب الأعمال والبحوث الأكاديمية والأطروحات الجامعية القيمة، ومرده إلى التقليد والاستنساخ، وعدم اختيار مواضيع بحثية جادة يمكن من خلالها المساهمة في تطوير البحث اللساني العربي.
- سعي اللسانيات العربية اللاهث وراء المنجز الغربي، على الرغم من إمكاناتها التراثية الضخمة التي يمكن، أن تتيح لها مكانة أفضل في الفكر الإنساني لو استثمرت بشكل صائب.

[1]- سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة–دراسات ومثاقفات، ص 29.

– من الثمرات المرة للواقع اللساني العربي المعاصر: " غياب الحسبة العلمية، وأمن النقد، وتوقع المجاملة، وخلط الذاتي بالموضوعي، واستثمار تقنيات صناعة النجوم، كل أولئك أدواء قلما يسلم منها مجتمع أكاديمي في ثقافتنا العربية المعاصرة، وليس مجتمع اللسانيين بدعا من المجتمعات في هذا المقام.

– ضعف العمل الترجمي الذي غلب عليه طابع الاصطفاء أو المصادقة.

– ضعف الصلة بين المتلقي العربي واللسانيات، رغم وجود الكثير من الكتابات أو المقدمات والمداخل التي من شأنها تيسيير اللسانيات وتبسيطها، وسببه ما يصادف القارئ من صعوبات نتيجة الخواء المعرفي لهذه الكتابات.

4/ التراث وسؤال الحداثة في فكر سعد مصلوح:

يعتبر الدكتور سعد مصلوح من بين أهم الأعلام الذين كان لهم الأثر الأكبر في بلورة مسار الفكر العربي، وذلك من خلال الجهود المقدمة في مشروعه الفكري المتكامل، بشقيه النظري والتطبيقي، هذا الجهد الذي يغطى مساحات وحقول معرفية كثيرة، أكسبه وعيا منهجيا وحضاريا ورؤية شاملة، استطاع من خلالها مواجهة إشكالية التراث والمعاصرة، هذه الثنائية التي شكلت مظهرا من مظاهر الصراع الفكري والحضاري، ولعل السبب الرئيسي في احتدام الصراع هو توقف آلة الفكر العربي في أغلبها عن الإنتاج الراقي قبل قرون خلت، مقابل تقدم الآلة الفكرية الغربية التي أتت على الأخضر واليابس، وهو الأمر الذي عمّق من اتساع الهوة بين هذين القطبين، وبناء على هذا المشهد الفكري المأزوم انقسم المفكرون الى قسمين كبيرين، يختلفان بحسب المنطلقات والمرجعيات الفكرية، فريق أول نصب نفسه مدافعا عن التراث العربي رافضا لأي جديد وقد مثله الرافعي وغيره كثيرون، وفريق ثان راح يتطلع إلى الحداثة حد التطرف وقد مثله طه حسين وسلامة موسى، وأمام هذه الثنائية القطبية التي مثلت أكبر الإشكاليات الفكرية في بيئتنا العربية على وجه الخصوص، بيّن الباحث موقفه المعلن ومنهجه البائن في معالجتها، هذا الموقف الذي لم يستقم تحت تأثير شحنة عاطفية أو انتماء متحمّس أو عن نظرة انبهارية بالغرب، وإنما استند في تحديد ذلك إلى مرجعياته الفكرية المختلفة والمتنوعة، لينتبذ لنفسه مكانا قصيا مجسدا لقراءة مخالفة لما سبق ممثلة في عقد مصالحة مع التراث مبنية على أساس التفاعل والمحاورة معه، ومن الأسانيد التي مثلت منهجه هذا

هي معرفته الدقيقة بالتراث العربي، وتشبعه بروح القراءات الغربية المعاصرة، هي الأسانيد نفسها التي مكنته من تشخيص واقع العلاقة بين التراث واللسانيات المعاصرة.

والسؤال الذي يفرض نفسه فرضا في هذا المقام هو: كيف نربط بين التراث العربي والعلم الوافد؟ وما الجدوى من هذا الربط؟ ما مساحة كل من التوجهات الأربعة في الخريطة المعرفية؟ هذه الأسئلة وغيرها ممن شغلت اهتمام سعد مصلوح، ويبين من خلالها أربعة أنواع من القراءات للتراث وهي:

1.4/ قراءة الإسقاط:

يمثل هذه النظرة التبجيلية للتراث نموذج عريض من القراء والباحثين، الذين أصبح هاجسهم التأصيلي يرغمهم على البحث عن الجذور التراثية لكل مستحدث غربي دون قراءة متأنية وتتبع دقيق فانساقوا وراء التشابهات العارضة، والمقارنات السطحية، غير الصائبة من إجل إثبات دعواهم، من خلال اعتبار التراث مضمون قداسي غير قابل للمناقشة، هذه القراءة السلفية " التقليدية" كما يسميها بعض الباحثين، تنجر عنها الكثير من المخاطر، كتعطيل التراث، وجمود الفكر، والحد من الاجتهاد، وارتكاس مسار التطور المعرفي، وهي قراءة اعتزالية تدعوا إلى الاتكال والعجز، وهو قول فيه الكثير من المبالغة، ومخالفة الواقع، وإجحاف بحق العلم، وتغييب العقل والتوقف عن الإنتاج التجدد لمواكبة التطورات الحاصلة، ويقول الباحث في أصحاب هذا التصور إلى أنه "ليس حقيقا بالريادة من ينقطع عن قضايا لغته وتراثه، حتى لكأنه يحرق من ورائه سفائن "طارق"[1].

2.4/قراءة القطيعة المعرفية:

وهي قراءة احتقارية للتراث ولقيمته الحضارية، وعدمية له، لا تعتد بالمرجعية التراثية، ، مولعة بالمنجز الغربي، متعلقة بتجربة الآخر، جاحدة لتراثها الفكري والثقافي، تعمل على تكريس الاستلاب الحضاري، والانسلاخ عن الموروث حتى أن منهم من يتمادى في هذا الى التطرف الشديد حيث يربط العودة إلى التراث بالموت حيث يقول سلامة موسى "عندما تخمد الحياة أو تهمد في الشعب يهفو إلى الماضي وتثير ذكرياته فيه اشتياقا كما لو كان يشتاق إلى الموت لأن في الماضي كثيرا من سمات الموت بل هو الموت وهذا الماضي يشيع في نفوس أبنائه عقائد في حين أن المستقبل يطالب بالمنطق والعقل والتزام الحقائق"[2]، وهو بلا شك قول ينم عن نظرة تشاؤمية للماضي (التراث) كما

[1]- سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 13.

[2]- سلامة موسى، الأدب والشعب، دار جيل للطباعة، القاهرة د ت، ص11.

يحمل نكرانا وحجودا له ، ويقول الباحث في وصف هذا الأمر:" إنها لقالة تكاد تنشق لها الأرض، وتخر الجبال هدا، وإنه ليس وراءها إلا خصلتان، فإمّا جهل بتراث جهل العوائد، تظّاهر على إنجازه قوم من أعلم قوم العربية بالعربية، وإما عبودية خاشعة تستنزل أتباعها ببعض ما كسبوا من قشور الحداثة دون اللبوب"[1].

3.4/ – القراءة التوفيقية:

يدرك أصحاب هذا الاتجاه مواطن الاشتراك والمباينة بين التراث وما تطرحه اللسانيات المعاصرة ويقفون بذلك عند حدود الرصف والتقويم والتعاطف ولا يزيدون، مسلّمين بنقاط المباينة والاختلاف التي لا تجد حلا ولا تسوية، من خلال إعادة النظر إلى التراث نظرة إيجابية، ومحاولة إيجاد خيوط الصلة بينها وبين المنجزات اللسانية المعاصرة، وهو في نظر الباحث توجه قابل للتعديل ومدار التعديل يكمن في :[2]

– تكامل الأدوار بينهما من جهة التفاعل والتكامل.

–دراسة التراث دراسة معمقة تستوجب إظهار البنى الكامنة وراء السطح.

– الاعتناء بالمصطلح وتوظيفه توظيفا صحيحا وملائما.

– الابتكار في تقنيات المعالجة لما تضمنه هذه التقنيات من نتائج حاسمة.

– توسيع النظرة للوصول إلى استكشافات جديدة كانت مغيبة.

– تفعيل الآليات ووسائل البحث وتطويرها بما يستجد في الساحة العلمية.

_ الاستبصار لإيجاد حلول للمشكلات الطارئة.

3.4/ قراءة السيرورة المعرفية[3]:

يغلب هذا التيار على المحاولات الجادة في بناء مشروع علمي فعال قادر على تبني القيم الحداثية من جهة ، والحفاظ على الهوية التراثية من جهة أخرى، وهو المشروع الذي ندين به الى فكر سعد

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 8.

[2] – ينظر: سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، ص31

[3] –وهو مفهوم معرفي جديد اعتمده سعد مصلوح ليكون نقيضا مباشرا لمفهوم القطيعة المعرفية الذي جاء به غاستون باشلار وقد اعتمده الغرب في اعادة بعث تراثهم الاغريقي وحل مشكلاته إذا من خلال تحينه في كل مرة دون اللجوء الى اعادة بناء شامل وجذري.

مصلوح ، حيث يسعى ضمن قراءته الاستثمارية إلى مراجعة المضامين التراثية وتحيينها[1]، من وقت إلى آخر قصد اختيار ما فيها من نماذج اختيارا يقوم على الفهم والتبصر، ومحاكمتها على ضوء ما تورده المعاصرة، بغية جعل التراث بمثابة قوة دافعة في فكرنا المعاصر، من خلال توظيف مختلف الآليات الإجرائية، وتحويلها إلى أداة منهجية لقراءة التراث وفهمه من منظور حداثي معاصر، وهو ما يحقق التواصل الدائم بين حلقات التاريخ، وهو طريق ثالث" لا يدين فيه الباحث للقديم، ولا يعنو للجديد، فلا يدفعه احترام الأسلاف إلى تقديسهم، ولا الإعجاب بالمعاصرين إلى تقليدهم"[2].

ضمن هذا الفضاء القرائي القائم على السيرورة المعرفية، أخذ الباحث على عاتقه نظرة شمولية تكاملية تقتضي قراءة معمقة للتراث، وبصرا نافذا إلى المقدرات الكامنة فيه، وهو عنده ليس تركة جامدة وإنما موضوع للمعرفة ورأسمال ورافد من رافد الثقافة، وهو عبارة عن جملة من المعارف الأساسية التي تحتاج إلى إعادة قراءتها قراءة دقيقة ومستوفية لشروط البحث العلمي، لجعلها عنصرا فاعلا وشريكا أساسيا في الدرس اللغوي المعاصر، منبثقة عن عناصر حيوية تمنحه السيرورة والتجدد وتضمن له البقاء والدوام، بغية إيجاد حلقة التقارب بين بعض جوانبه وبين المفاهيم اللسانية الحديثة وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين معطياته وبين القواعد التي توصل إليها العلم الحديث، وقد شخص الباحث الداء في مشكل التعامل مع ثنائية التراث والحداثة ،وفي صورتها عند السكاكي إلى توجهات الباحثين الى فريقين فيقول "وحين رأى بعض المجتهدين أن الداء قد أعضل، والشفاء قد عز، وجدنا من بينهم فريقا قد أخلد إلى الأرض واستمسك بالحطام والهشيم، وفريقا قد نال منه اليأس فراح يدعو إلى قتل المريض وتغييبه تحت أطباق الثرى، بين عبرات الرحمة وزفرات الإشفاق"[3]،ليصل إلى تحديد موقفه الثابت الداعي إلى تبني مفهوم "السيرورة المعرفية" الذي يصفه بأنه" أجداها لا جدال، إنما ينتدب من هذه الخريطة مكانا قصيا، ذلك أنه توجه كثير التكاليف، يقتضي معرفة جيدة بالجديد، وذائقة حسنة بالقديم، وبصرا نافذا إلى ما وراء السطح الظاهر، وهو لا يسلم نفسه إلا لمن أراد بعد الصيت، وحسن الأحدوثة بلا كلفة ولا مؤونة"[4] ، وقد مثل هذا

[1] يحضى مفهوم " التحيين" بأهمية بالغة ضمن إطار قراءة " السيرورة المعرفية "لما يضمنه من منح التراث صفة الإستمرارية والحيوية والتجدد من خلال فتح مجال لا نهائي للقراءات المتعددة بغية استجلاء الجديد في كل مرة.

[2] على أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2007، ص 13-14.

[3] -سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص8.

[4]- سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة–دراسات ومثاقفات ص31.

الإتجاه الكثير من الدارسين أمثال الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح في النظرية الخليلية، والمتوكل في النحو الوظيفي ومحمدحماسة .....

إنّ الناظر لأعماله يلحظ مدى أهمية التراث في فكره الثاقب، هذا الأساس المعرفي والمنطلق الرئيس الذي تشكل ونما ضمن رؤيته العلمية المنبثقة من إيمانه المسبق بأن لكل جديد روافد قديمة تمتد فيه، يجب مواجهتها بجهد مكثف معتمدين على مناهج البحث وأدواتها الإجرائية التي لا تكف عن التجدد، لإبراز تجلياتها ومكنوناتها، ومعالجة قضاياها، وبحثها مرة أخرى في ضوء متغيرات العصر، من خلال أنها تضع يدا على التراث ويدا ثانية على أحدث ما توصلت إليه العلوم الحديثة، وفي لفتة خاصة ووحيدة منه لتحديد ورسم العلاقة بينها يقول" والحق أني على يقين من أن دراسة التراث من الصعوبة والأهمية، بحيث ينبغى على الباحث أن يختم بها حياته لا أن يبدأ بها، لأن الرجوع إلى التراث بعد تسمّع لغة العصر وتفهمها يمكن أن يؤدي إلى نتائج أفضل بكثير مما لو كان المنطلق من التراث نفسه"[1]، هذه اللفتة التي تفيد بأن المنشغل بالتراث لا يستطيع مواكبة التطور الكبير الذي تحدثه الآلة الفكرية الغربية على كل الأصعدة إضافة إلى صعوبة البحث فيه، ولذلك لا بد أن يكون التراث محطة الرجوع من المعاصرة وتفاعلاتها وتحولاتها لكي تتضح له الرؤيا أكثر حيث يكون مدججا بالوسائل الإجرائية الفاعلة والأساليب والتقنيات الحاسمة لاستبانة الكنوز الخبيئة فيه،

ولإثبات ذلك يمكن أن نبين منطلقات سعد مصلوح في رسم مشروعه عبر التحرك على مستويات عديدة وهي:

-نقد التوجهات التأصيلية والتغريبية، وإبانة ما تكتنفه من خطر على قراءة التراث.

-اعتماد قراءة جديدة التراث تنبني على الفهم السليم والمنتج والغوص في إمكانياته الضخمة القابعة وراء الصياغات.

-اعتبار القرآن الكريم سنداً ومرجعية أساسية لكل محاولة لقراءة التراث.

- ضرورة الرجوع إلى التراث بعد التمكن من تفهم لغة العصر، وليس الانطلاق منه لابتغاء نتائج فارقة.

- الابتعاد عن الأحكام المسبقة والقبلية للتراث على أنه معطى نهائي، ووجوب التعامل معه كمادة نقدية وموضوع خصب للمعرفة.

[1] -سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، ص46.

-المعرفة الدقيقة بالتراث والانفتاح على آخر تطورات المناهج الغربية، والتحكم في أدواتها الإجرائية، والقدرة على رصد حركتها وتحولاتها.

-التعامل الواعي والمنهجي في التعامل مع التراث أو المعاصرة، وذلك بتجريد الذات من هيمنة أحد السياقين المعرفيين.

-البحث والتقصي عن الآفاق الجديدة التي يمكن أن تكون منطلقا لمد الجسور.

-الاستفادة من النماذج الراقية التي تبنت الانفتاح السليم والمعتدل، واستفرغت جهدها في الوصول إلى نتائج جديدة.

6/ المنهج ومكامن الإبداع:

إن دراسة المنهج المتبع في كتابات سعد مصلوح من الأهمية بما كان، بحيث تبيّن لنا أسس طريقة التعامل أو (الخطة) التنظيمية التي ينتهجها في مساره الفكري ، التي بواسطتها يمكن الوصول إلى غاياته المعرفية، وهي الأسس التي تخضع في طبيعة نشأتها إلى تلك المؤثرات المرجعية والمنطلقات الفكرية، ومن المفاهيم والأسس النظرية المشكلة لمنهجه نجد (الأصالة والانفتاح والمرونة)، التي وضفها من خلال تأصيله للسانيات النص في الثقافة العربية، معتمدا على إجراءات وآليات عربية بحتة، والانفتاح على أحدث ما وصلت إليه التطورات اللسانية الحديثة، مع مراعاة خصوصية الواقع العربي والمرونة في عملية المواءمة بين السياقين المعرفيين، هذه المزاوجة التي نمت بين حقلين متباعدين زمنيا حقل انتماء الذات من خلال تاريخ ثقافي طويل (معتقدات، بيئة ثقافية مهيمنة ،انتماء اجتماعي وجغرافي، توجهات انتماء أكاديمي تغلب عليه الرؤية التراثية)، ومن جهة أخرى الحضارة الغربية وسيرورتها وسرعتها المواكبة للتطورات الحداثة، وأدواتها الإجرائية المغرية، وتتجلى مكامن الإبداع في تبنيه للمفهوم الثالث (المرونة) وتوظيفه السليم له، ومن الملاحظ أيضا تردد المنهج الوصفي في أغلب أعماله ، فقد تبناه لوصف لسانيات النص والعلاقات التي تربطها بعلوم العربية المختلفة، غير أنه أحيانا يكون منهج ذا طابع إشكالي وذلك من خلال تعدد الإشكالات في كتاباته والتي يريد من خلالها الولوج إلى مختلف القضايا وإيجاد الحلول الممكنة ولعل هذا الطابع هو ما ساهم الوصول الى

غايات جديدة ، معتمدا في كل ذلك على مرتكزين أساسين في تحقيق مراميه العلمية وأهدافه المعرفية وهما[1]:

– النسقية: مفهوم علمي يراد به مجموعة العلاقات والتفاعلات التي تقوم بين الأجزاء لائتلاف الكل، بغية توسيع الرؤية البحثية وتوضيحها، والانتقال من العشوائية إلى نظام جامع وهو أشبه بتغيير القبلة البحثية إلى نحو شامل ومنتج.

–البينية: رصدٌ واعٍ للظاهرة في تعالقها مع غيرها من الظواهر والعلاقة الجامعة بين النسقية والبينية ثابتة بيقين؛ إذ إن البينية لا يتحقق إتاؤها إلا إذا نهضت على أساس من استصحاب النسقية واعتمادها منظوراً تأسيسياً في تلقي المعرفة وإنتاجها.

يعمل هذان الضابطان بشكل تكاملي فالأول يقوم على نظام داخلي من تفاعلات بين البنى الجزئية تضفي الى تحديد البناء الكلي المتكامل، أما الضابط الثاني الذي أصبح سمة من سمات العصر من حيث الدعوة إلى كسر الحدود المنهجية التي يفرضها التخصص على الباحثين، والتوجه إلى المقاربات العابرة للتخصصات Transdisciplinary approache لنجاعتها في إيجاد حلول للمشاكل المعرفية، وقدرتها في خلق أدوات آليات جديدة تساهم في تطور المعرفة.

7/ سعد مصلوح تحت طائلة النقد:

لم تسلم آراء سعد مصلوح من نقد لاذع وبشكل مباشر من بعض الباحثين جراء موقفه من النحو العربي بأنه ظل حبيس أطوار الجملة ولم يفارقها إلى عوالم النص، ، وإلى إعراضه عن نحو الجملة تماما والاستخفاف بمفهومها، وما جاء في قوله تحديدا " بأن النحو العربي استنفذ أغراضه واستهلك نفسه أو استهلكه اصحابه، درسا وتدريسا بعد أن أنضجه أسلافنا حتى احترق وولجنا به في طريق مظلم"، منطلقين في تأسيس نقدهم على الشواهد التناصية التي يزخر بها التراث البلاغي والنقدي، لكل من الجاحظ وابن جني والجرجاني وغيرهم، يقول أحمد محمد عبد الرضي"ومن الإنصاف أن نبرئ النحاة مما صوره سعد مصلوح من كيفية تحليل الجملة واقصائها من عالم النص، وعدم مراعاة العلاقة بينها وبين جاراتها، فليس هذا منطبقا على تحليلهم للجملة، – ان صح وصفهم بأنهم نحاة جملة–فقد

[1] ينظر: سعد مصلوح موقع الأستاذ محمد حماسة، تاريخ الدخول 2022/08/17، https://2u.pw/xvE1N

كانوا يراعون علاقة الجملة بما قبلها أو بما بعدها في السياق .....فلا بد أن نفرق عندهم بين تحليل الجملة في مقام تواصلي وبين وبين تحليلها عند مواجهتهم للنصوص مثل تفسير القرآن وشرح الحديث وشرح الشعر"[1]،يوضح صاحب هذه الرؤيا أن الغرض التعليمي ودافع تقعيد اللغة هو السبب فيما ذهب إليه الباحث، وكان له مد النظر إلى التمييز بين مقامات الدرس النحوي الأخرى كالمقام التنظيري والمقام التواصلي.....، وان الضرورة العلمية تشترط الجمع بين المنهجين (نحو الجملة ونحو النص)، ويقول آخر" أما مع الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح ، فإن النظرة الاختزالية تجاه النحو العربي كانت قد بلغت أشدها ,فموقفه من النحو العربي موقف اختزالي يدرج ضمن التصورات الواقعة تحت مغبة الإعمام ,إذ ينفي الدكتور مصلوح أن يكون للنحو العربي القديم، وكذا الحديث الذي ندرسه في مدارسنا، أيةُ صلة بالتحليل النصي"[2]، كما لا يخفي الناقد قوة العبارات التي استعملها الباحث وقدراتها الإيحائية المضاعفة إلى حد الذي يشبهها بحرارة (بول روبرتس)وهو يعلن عن تشييع جثمان النحاة، ليختم كلامه" فهذه مغالطة محملة بمواقف تأثيرية انفعالية مستمدة من فعالية الاستعارة في جذب الانتباه والإقناع، على الرغم من أننا إزاء نص علمي رائد من بين النصوص التي تؤسس لنظرية لسانيات النص في الثقافة العربية المعاصرة"[3]، غير أن القصد من مفهوم "التخلي" الذي بدر من الباحث في أولى خصائصه، الأمر الذي اعتبره أحمد محمد عبد الرضي[4]وغيره، مطية لتوجيه سهام النقد إلى الباحث مما اعتبروه دعوة صريحة منه إلى التخلي التام عن النحو (الإعراب) الذي تعصم مراعاته الخطأ والزلل في كلام العرب واستبداله بنحو النص، ولعل تأويله الصحيح هو قوله بعدم اعتبار هذه الغاية القريبة منتهى النظر ومبلغ العلم، بل ضرورة التجاوز إلى الغايات الأخرى، ودليلنا ما عبر عنه الباحث في البعد الثالث حين يصف منظومته التحليلية التي لا تلغي الجملة من الوصف والتحليل، واعتبارها جزء أساسياً يمكن بواسطته الانتقال إلى الوحدة الكبرى، ولذلك نعتبره فيما نعلم أنه من دعاة اعتبار نحو الجملة جزءا لا يتجزء من نحو النص، وحلقة من حلقات تحليله النصي، من خلال أن تحليل النص يستدعي تضافرا لعدد من العلوم يتجاوز بعضها حدود اللغة .

---

[1]– أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2008، ص45-46.

[2]– سعد رفعت سرحت، هل كان النحو العربِي حبيس الجملة؟ أثر المغالطة فِي ترسيخ هذه الفكرة مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، ع26، م7، 2019، ص120.

[3] – سعد رفعت سرحت، هل كان النحو العربِي حبيس الجملة؟ أثر المغالطة فِي ترسيخ هذه الفكرة، ص 121.

[4] – أحمد على عبد الراضى، نحو النص بين الحداثة والمعاصرة، ص52.

وفي تقديرينا أن هذا النقد، إنما يقع من خلال نظرة إسقاطية تقديسية للتراث، وذلك مردّه الى القناعة الراسخة لديهم بأن كل ما أفرزته الحضارة الغربية انما هو موجود في التراث العربي، وهي نظرة قاصرة عن النظرة العلمية والموضوعية فاقدة للتمعن الجاد والمثمر، ومن جهة ثانية سوء التأويل إذ ان قول سعد مصلوح بأن النحو العربي استهلك و نضج حتى احترق، إنما كان القصد ان استهلكته الصيغ التعليمية المدرسية والصحة النحوية، وانحسر في طور الجملة، وينبغي أن نعيد النظر إليه من زوايا لسانية، تكون أكثر شمولا في دراسة الظاهرة اللغوية، ولذلك كان " التمرد على نحو الجملة والاتجاه نحو النص أمرا متوقعاً، واتجاها أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث، إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة"[1]، ولعله نفس مصير الذي تلاقيه كل محاولات نقد النحو العربي، وهذا ما يؤكده عبد الرحمان أيوب في مقدمة كتابه"دراسات نقدية في النحو العربي" حين يجيب عن قيمة كتابه في أوساط القراء "أما كيف يتلقى الناس هذا الكتاب فإني أعلم مقدما أن منهم من سيعتبره كفرانا بثقافتنا التقليدية، وتجريحا لسلفنا اللغوي الصالح" [2].

رغم ما قدمه الباحث للغة العربية وعلومها من خدمة جليلة على كل الأصعدة، إلا أنها جهود قوبلت في كثير الأحيان بالنقد والاستنكار من بعض الباحثين حتى أيامنا هذه، وهذا في منظورنا أمر متوقعا بالنظر إلى صيغة مشروعه التي كانت بمثابة "ثورة فكرية" رافضة لنموذج لغوي علمي ظل سائداً لفترة طويلة من الزمن والدعوة إلى نموذج بديل، هو نقد غير مؤسس بالنظر إلى الأدلة المعتمدة من طرفهم، والقائلة في مجملها برفض سعد مصلوح للتراث برمته والارتماء في أحضان الثقافة الغربية، إلا أن المتتبع يلحظ غير ذلك، ولعل صبغة مشروعه التجديدية للعلوم هي من أدت إلى تلقيه لسهام النقد والقدح، ويشهد الكثيرون بفضائل الرجل الذي ظل حريصا على التراث مدافعا عنه، وأن هذا النقد صادر عن قصور في الفهم أو بعد في التأويل.

5/ قراءة في المفهوم والمصطلح:

يهتم سعد مصلوح بالمصطلح لإدراكه الأهمية الكبرى التي يعتريها في الفعل العلمي والمعرفي، من حيث هو " عقد اتفاق بين الكاتب والقارئ، وشفرة مشتركة يتمكنان بها من إقامة اتصال بينهما

[1] سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص 413.

[2] عبد الرحمان أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1957، ص22.

لا يكتنفه غموض أو لبس"[1]، وهو عقد يؤدي وظيفته المعرفية طالما كانت صياغته صياغة ملائمة، كما يؤدي سوء توظيفه إلى إحلال الفوضى والتشتت المصطلحي على الصعيد المعرفي والمنهجي، مما يفضي إلى ولوج بالمعرفة نحو طريق مظلم، كما يعتبر الكثيرون أن دراسته الموسومة: نحو أجرومية للنص الشعري"هي أول دراسة عربية تهتم بترجمة مصطلحي Coherence Cohesion وتعمل على تأصيلهما، وطبقهما في محاولته الإجرائية على نص جاهلي" كمحاولة أولى لامتحان جانب من الفروض والإجراءات التي تشكل ملامح أجرومية النص Text نحوالنص،، لسانيات النص text linguistics على النص العربي في الشعر خاصة"[2]، وقد بدا الباحث واضحا في توظيفه للمصطلحات عكس معاصريه من المؤسسين أمثال الخطابي وصلاح فضل، حيث كان اهتمامه منصبا على توحيده مستندا في صياغته على التراث البلاغي والنقدي ، ليكون أكثر توافقا مع الثقافة العربية، وملاءمة للسياق المعرفي القرائي ، إذ يقول " وقد توصلنا بعد طول تفكر وإنعام نظر إلى السبك مقابلا لمصطلح Cohesion والحبك مقابلا لمصطلح Coherence ونحسب أنهما مقابلان عربيان يتسمان بالإفصاح والإبانة والتساوق، كما انهما أقرب شيء إلى المفهوم المراد وأكثر شيوعا في أدبيات النقد القديم"[3]، ولا أدل على ذلك من نص الجاحظ في حديثه عن الشعر "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم إنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان "[4]، وفي هذا القول إشارة إلى ضرورة الترابط والتماسك بين الكلمات والعبارات، في سبيل إبانة الكلام وإيضاحه وانفهامه، وما أورده أسامة ابن المنقذ بأن" السبك هو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله لآخره"[5]، وقوله بأن "خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"[6]، إضافة إلى اعتماده مصطلح "أجرومية

[1] –سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، ط3، 1992، ص 30.

[2] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، العدد 1-2، 1991، ص153.

[3] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية آفاق لسانية، ص270-271.

[4] – أبو عثمان، عمر بن حجر الجاحظ البيان والتبين تحقيق عبد السلام محمد هارون ط7، ج1 مكتبة خانجي –مصر 1998م، ص88.

[5] – أسامة، ابن المنقذ، البديع في نقد الشعر تحقيق عبد الإله علي مهنا، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1987، ص232.

[6] – المرجع نفسه، ص163.

النص"أو"نحو النص" بديلا عن المصطلح الأجنبي الوافد Text linguistics "ولعل في ذلك احالة إلى أبي عبد الله بن محمد بن داود الصنهاجي، الشهير بابن آجروم صاحب أجرومية النحو" [1] ومصطلح " الأسلوبيات اللسانية " الذي يقدمة بمقابل للمصطلح الوافد " linguistics stylistice بوصفه أطوع للتصريف، وأقرب إلى المصطلحات التي صكها السلف في وضع المصطلحات "كالرياضيات" و"الطبيعيات"وأكثر اتساقا مع مصطلحات مقاربة كاللسانيات والصوتيات"[2]، وقد يكون لهذه النصوص المستمدة من التراث وأشباهها كبير الأثر في صياغة رؤيته المصطلحية التي تتميز بالدقة المفهومية

إنّ دراسة الجانب المصطلحي عند الباحث ومحاولة التعرف على نوع المصطلحات المعتمدة في كتاباته لها ما يسوغها في هذا الصدد من حيث وجوب التعرف على رؤيته اللسانية وبيان مصادره التي أخذ منها وبيان مدى صلاحيتها في هذا المجال ومدى إمكانية الإفادة منها، إذ يقدم الباحث التراث العربي القديم كمرجعية يعيد في ضوئها تقويم المصطلحات وصياغتها، ويتضح ذلك في تعامله الطويل مع التراث العربي عرضا وتأويلا واستثمارا، في مجالات متعددة ولا سيما المصطلح اللساني النصي، وهي تجربة كفيلة بتوظيف المصطلح التراثي توظيفا قائما على الشروط العلمية والموضوعية، إضافة إلى انطلاقه من مسلمة مفادها "أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز"[3]، وهو جهد ضخم لا يمكن إلغاؤه، ما يفسر اعتماده على الكثير من المصطلحات التراثية التي استقاها من القدامى وأعاد توظيفها توضيفا سليما في مشروعه الفكري رغم صعوبة المهمة، ليبيّن مدى نجاعتها وصلاحيتها وقيمتها المعرفية، إضافة إلى إيمانه القاطع بالمساهمة الفعالة للمصطلح التراثي في مد الجسور بين التراث والمعاصرة، وتلافي القطيعة المعرفية في هذا المجال، فضلا عن مساهمته في توحيد المصطلح اللساني بالنظر إلى المرجعية الثقافية للباحثين العرب، وتسيير عملية الفهم والإنتاج عند المتلقي العربي تحديدا.

وفي رأينا أن سعد مصلوح قد إلتزم صراحة بالاعتماد على المصلح التراثي بوجه عام، وهو تقيد نتج انطلاقا من مرجعيات ونماذج مهيمنة مستقاة من التراث، وقد جرى اعتماده في سبيل مد

[1] – سامية بن ادريس، أجرومية النص لدى سعد مصلوح، قراءة في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، عدد1، مج 34، 2020، ص 636.

[2] – ينظر: البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص21.

[3] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة الى نحو النص، ص423.

جسور بين السياقين التراثي والمعاصر، أمّا عن مدى توافق المصطلح التراثي مع المعطيات الحضارية الحالية، فهو أمر يثير الكثير من الإشكاليات اذا لم يتم توظيفه بطريقة ملاءمة، من منطلق اعتبارات عديدة كخلط المفاهيم السابقة واللاحقة بعضها ببعض، يقول"عبد السلام المسدي في قضية إحياء الألفاظ التراثية وبعثها على متصوّر مستحدث "وكثيرا ما يتجاذب الميراث الاصطلاحي ذوي النظر فينزعون إلى إحياء اللفظ واستخدامه في غير معناه المدقَّق، فإذا بالمفهوم اللساني يتوارى حينا خلف المفهوم النحوي، ويتسلل أحيانا أخرى، وعليه مسحة من الضباب تعتّم صورته الإصطلاحية، فتتلابس القضايا ويعسر حسم الجدل بين المختصين"[1]، هذه الضبابية التي من شأنها ان تضفي الكثير من الغموض عند المتلقي ، وقد ذهب"عبد القاهر الفاسي الفهري إلى " التحذير من استعمال المقابلات العربية التراثية؛ لأن ذلك يخلق توهّما بصدق المصطلح العربي على ما يصدق عليه المصطلح الغربي، نتيجة إسقاطات ظرفية أو ذاتية يقوم بها المترجم، وينتهي إلى إيجاد مناسبات غير قائمة"[2]، ليوضح الأمر حين يتكلم عن منهجه "تجنبنا – قدر الإمكان –استعمال المصطلح المتوفر في القديم للتعبير عن المصطلح الداخل، لأنّ توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة قد يفسد تمثّل المفهوم الجديد والقديم على السواء ولا يمكن إعادة توظيف المصطلح القديم وتخصيصه إذا كان موظفا، لأن هذا يؤدي إلى مشترك لفظي غير مرغوب فيه إضافة الى سوء الفهم"[3]، لذلك نجد أن "استعمال المصطلح التّراثي أو إعماله للتّعبير عن المعطيات الحضارية الحديثة عملية محفوفة بالمخاطر إذا ما تمّت على وجه الاستعجال وتحت ضغط الظروف، فالمصطلح التراثي في هذه الحالة مشدود إلى مرجعية خاصة، تختلف تماما عن مرجعية المعطيات الحضارية الحديثة قد يُفْقِد هذه المعطيات حداثتها ويفرغها عن مضامينها الجديدة ليشدّها إلى مضامين مغايرة"[4]، غير أن تجربة الباحث في التعامل مع المصطلح اللساني النصي قد كانت ناجحة إلى حد كبير، وذلك من خلال إعمال المصطلح الترثي وضبطه مع مراعات التناسب بين المفهوم والمصطلح، والأخذ بالشروط التي تؤمن

[1] – عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، 1984، ص55-56.

[2] – ينظر: أحمد، مختار عمر: المصطلح الالسني العربي وضبط منهجيته، المجلد20 العدد03، مجلة عام الفكر 1989م.ص583.

[3] – أحمد، مختار عمر: المصطلح الألسني العربي وضبط منهجيته، ص154.

[4] عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، دار عبد الكريم للنشر والتوزيع، تونس، د ط،1994م.

سلامة هذا التوظيف مستعينا بمعرفته العميقة باللغة العربية وتاريخها الطويل، ومتسلحا بأحدث ما توصلت إليه أحدث المناهج اللسانية الحديثة.

وخلاصة القول إنّ سعة أفق سعد مصلوح واطلاعه الغزير على التراث بكل تجلياته وانفتاحه على أحدث النظريات والمناهج الغربية، وامتلاكه ناصية اللغات الأجنبية، أمر أهّله إلى فرض أنموذجه المعرفي القائم أساسا على تثمين التراث وإعادة قراءته قراءة وازنة وفاعلة ذات صبغة إشكالية قائمة على الحوار والجدل بعيدة عن مفهومي التقديس أو التغريب، وانفتاحه على النظريات الغربية بكل توجهاتها، للإفادة من آلياتها الإجرائية الفاعلة، ومحاولة صياغتها بما يخدم اللغة العربية وعلومها، إلى فحص المنجز العربي الحداثي ونقد مقولاته نقدا صارما، ليخرج بنتيجة معرفية مفادها ضرورة مواجهة النص العربي بمناهج عربية خاصة عوض تطويع المناهج الغربية وتسليطها عليه إذا ما أردنا للعربية دوام الاتصال مع تراثها الزاخر، هذا الامتداد المعرفي الذي تضاعف حلقاته وتنمو بفعل تفعيل مفهوم" السيرورة المعرفية" الذي يعتبر المناص الوحيد لوصل حلقات الماضي مع الحاضر ولاستحكام العلاقة بينهما، وهي بلا شك مرجعيات مثلت الأساس المتين والمنطلق الرصين لإعادة بعث الأفكار التراثية في ثوب قشيب، ومنحت صاحبها الإبداع والتفرد في مشروعه المتكامل الذي يشكل مرجعية في حد ذاته، وفضل السبق في علوم كثيرة كالأسلوبيات ونحو النص والبلاغة المقارنة ، وجعلت جهوده مرجعا قيما لكل باحث في علوم العربية، لما تشكله من قيمة معرفية رائدة، ومنهجية محكمة في استحضار القضايا وآثارها واستبصار آفاقها العلمية والدفاع عنها بالأدلة والبراهين ، وبذلك فقد استطاع تحقيق خطوات عملاقة في مجال البحث اللساني العربي.

الفصل الثاني

–مُقومَات المشروع اللِّسانيِّ النَّصِّيِّ عِنْد الدُّكْتور سَعْد مَصلُوح "

1/ تمهيد:

لقد آثرت البدء بمسألة الافتتاح التنظيري لجهود سعد مصلوح في نحو النص بصفة خاصة، وتحديد مقوماته النظرية كمرحلة أولى، وسعيت إلى مكاشفة واقعه الفكري، وأهم منطلقاته في هذا الصدد (نحو النص)، والتي ضمنها بشكل مكثف في بحثه "العربية من نحو الجملة إلى نحو النص"، المنشور ضمن الكتاب التذكاري لشيخ المحققين عبد السلام هارون بجامعة الكويت، "العام 1991"، وهو بحث معدود الصفحات استطاع صاحبه أن يطرح من خلاله أمهات القضايا التي تعد اللبنات التأسيسية لنحو النص، إضافة إلى بعض اللفتات المتناثرة في بحوثه الأخرى، والتنصيص المشار إليه على سنة النشر يمثل اللحظة التأسيسية لعقد الصلة بين اللسانيات النصية والثقافة العربية، وهي اللحظة نفسها التي شكلت بداية الصلة بين سعد مصلوح ومشروعه اللساني النصي الضخم، وذلك لإعطاء الكاتب والكتاب حقهما في هذا المضمون، إضافة إلى وجوب مراعاة الظروف والخصوصيات التي صاحبت تشكل لسانيات النص في الوطن العربي آنذاك، ولذلك كان الإلمام بمحتويات هذا الكتاب فريضة مطلوبة لكل دارس للسانيات النصية، من حيث كونه البؤرة التي تنطلق منها بقية الدراسات العربية، حيث شكلت مرحلة ظهوره بداية التعامل الحقيقي مع المنجز اللساني النصي العربي، ولو بصورة محتشمة، ولهذا يمكن اعتبار هذه المحاولة من الإرهصات الأولى في رسم طريق لسانيات النص في الساحة العربية، إضافة إلى منجزه التطبيقي الإجرائي المعنون ب "نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية "المنشور سنة 1991، الذي ينحو من خلاله مدارسة المفاهيم المتعلقة بنحو النص وإخضاعها للإختبار لبيان قيمتها في ترابط النص وتماسكه، وإبراز عدة قضايا كاستظهار مكانة البديع المتميزة في لسانيات النص من خلال فحص معياري السبك والحبك في تحليل القصيدة الجاهلية وبيان قيمته بينهما، والذي نجده قد همّش في النحو التقليدي ، واكتفى بطابع التحسن وتم استثماره في ما لايليق بقيمته، إضافة إلى تأسيس لسانيات النص في بعدها الإجرائي، وكشف قدرة الأجهزة والآليات الإجرائية القديمة والحديثة والمستمدة رأسا من اللغة العربية في تماسك النص وترابطه، و تجسيد الوحدة العضوية للنص الجاهلي.

2/ خطاب التنظير وسؤال الغاية المعرفية

يبدأ الباحث منجزه العلمي بفاتحة تضع البحث في نطاقه العلمي وغايته المعرفية، مشيرا في مستهلها إلى عنوان الدراسة بالنظر لما يكتسيه من أهمية بالغة في تحديد هوية البحث، وبوصفه "مواز دلالي وعتبة قرائية له، توجه المتلقى نحو فحوى الرسالة ومضمونها، وهو حامل معنى من حيث أنه يوجه إلى مقصد بذاته"[1]، وقد جاء العنوان على الشكل التالي: **العربية من نحو "الجملة إلى نحو النص"** ببند عريض نسبيا ذي لون أسود غامق، وقد بدا واضحا دقيقا لا يحتاج إلى تأويل أو شرح، حاملا الهدف الرئيسي المرجو من الدراسة، كما تحتل كلمة "**العربية** " موقعا مركزيا ضمن تشكيله وبؤرة تتحرك حولها بقية المفاهيم الأخرى، و مرجعية أساسية للبحث بكامله، وأن اجتماع الكلمات المشكلة للعنوان على هذه الشاكلة، يثبت أن العربية تقف على خط التماس بين نحو قديم استنفذ أغراضه وبين نحو جديد تشرئب له الأعناق و" المفضي إلى ضرورة الانتقال بالنحو العربي من نحو الجملة إلى نحو النص" لما يضمنه من آليات تساعد في فهم اللغة بأشكالها المختلفة ومستوياتها المتنوعة ، وقد سعى إلى إبراز آرائه عبر ثلاثة خطوط عريضة :

أولها: نقد النحو العربي.

الثاني: تقديم الإطار النظري والإجرائي لنحو نص.

الثالث: محاولة صياغته بما يتوافق والثقافة العربية.

كما نشير إلى أن اعتماد الباحث لمصطلح "نحو النص" في عنوان بحثه، دون غيره من المسميّات الأخرى المستعملة عند جمهور الباحثين كعلم النص، علم لغة النص، اللسانيات النصية... والمصطلح المذكور يعود الى اعتبارات تراثية مستخدمة في اللغة العربية عبر تاريخها الطويل مثل: نحو اللغة العربية، النحو الأساسي، النحو التعليمي...

يحاول الباحث الإجابة عن عدة تساؤلات: ماهية نحو الجملة ونحو النص؟ وما موقع النحو العربي من هذا التشكيل؟

يشير الباحث في مستهل بحثه إلى أنّ:" النمط التقليدي السائد في دراسة النحو العربي وتدريسه في مدارسنا وجامعاتنا ليس هو الممكن الوحيد، على ما يعتقده الكثيرون بادى النظر، بل إنه – فيما

[1]– محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسائل التأويل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2012، ص19

نرى – ليس إلا واقعا علميا يمكننا، بل إن علينا، أن نتجاوزه إلى واقع علمي جديد، لقد استنفد هذا النحو أغراضه، واستهلك نفسه – أو استهلكه أصحابه – درساً وتدريساً بعد أن أنضجه أسلافنا حتى احترق، وولجنا به نحن إلى نفق مظلم يستحيل معه أن نضيف إليه جديدا إلا بإدراك هذه الحقيقة"[1]، استأثر الباحث أن يكون كلامه منصبا على النحو العربي، وذلك لأهميته الكبرى بوصفه أساس الدراسات اللغوية وعمود نظامها، والذي يرى بأنه لم يعد الممكن الوحيد داعيا إلى صوغه صياغة جديدة في ضوء اللسانيات المعاصرة، وهي نظرة تبناها الكثير من الباحثين المعاصرين الذين اتسمت مؤلفاتهم بسمة نقد النحو العربي في صورته الحالية، "فقد كاد يجمع ناقدو التراث على أن بالنحو العربي عيوبا تجعل إصلاحه وإعادة النظر فيه ضرورة ملحة ومهمة أساسية من مقتضيات عصرنا ومستلزمات نهضتنا، وذهبوا في هذا النقد مذاهب شتى وتباينوا في تشخيص هذه العيوب وتعيين طرق الإصلاح تبايناً يجعل الباحث يتساءل عن قيمة الأسس التي اعتمدوها ومدى سلامتها "[2]، ومما يجب التنبيه إليه في هذا الشأن هو أن هذه الدعوة الإصلاحية لإعادة النظر في النحو العربي ليست من منطلق التنكر والجحود لما قدمه النحاة القدامى أو إنقاصا من جهودهم القيمة، وإنما هو أمر طبيعي تفرضه سنن النشوء والتطور لمختلف العلوم بغرض محاولة صياغته صياغة جديدة تتماشى وروح العصر، وقد لخص الدكتور عبد الرحمان العارف أهم مظاهر هذا النقد في أربعة جوانب هي[3]:

- أولا: جانب منهجي: يتعلق بطبيعة التفكير النحوي عند النحاة القدامى.
- ثانيا: جانب تقعيدي: وتتعلق بالقواعد النحوية المستنبطة والمصطلحات المستخدمة.
- ثالثا: جانب تربوي (تعليمي): وهو طريقة تعليم النحو في المدارس والجامعات.
- رابعا: جانب تأليفي: إصلاح طرائق التأليف

[1] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة الى نحو النص، ص406.

[2] – عز الدين المجدوب: المنوال النحوي العربي، الطبعة الأولى، تونس: دار محمد الحامي،1998، ص12-11.

[3] – عبد الرحمان العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية في مصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013، ص 202/201

ولعل من نافلة القول التذكير بأن التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي شهدته اللسانيات في عمومها واللسانيات النصية بصورة أخص، قد سرّع في بلورة أنساق نظرية علمية جديدة، وأثر بشكل كبير في إعادة النظر في الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة، و عجزت عن مواكبة هذا التطور العلمي والاستجابة لمتطلباته، وذلك لاتساع أطر البحث، وهو ما أطلق عليه الباحث مصطلح "التجاوز"، والقصد منه هو الانتقال من نحو الجملة (النحو العربي) الذي ما انفك يمثل طيلة القرون السابقة محل دراسة وتدريس ونقد وتمحيص، حتى نضج واحترق وستنفذ أغراضه، إلى نحو النص (لسانيات النص)، الذي أصبح يشكل أهم المفاهيم اللسانية والنقدية في الدرس اللغوي العربي الحديث والمعاصر، وهو الأمر الذي يصدق على كل الأنحاء التقليدية بحسب تقدير دي بوجراند حيث يقول" أخذ النحو التقليدي من عدد من المنابع التي لا يمكن بصفة دائمة أن ينسجم بعضها مع بعض، فالمنطق والفلسفة والبلاغة والأدب والاتجاهات العامة والنظرات الفردية لكل من النحويين، بل النظم النحوية للنحاة (وبخاصة اللاتينية) كان ذلك من مصادر الأخذ، فكانت النتيجة اختلافا كبيرا بين المبادئ من حيث طبقت بصور متناثرة أو لأغراض مختلفة"[1]، والمعروف أن النحو العربي أكثر الأنحاء التقليدية، عمقا ودقة، وذلك لما أولاه به النحاة الاوائل من عناية واهتمام، لأنه كان بمثابة المفتاح الذي يفتح آفاقا عريضة لفهم النص الديني، ومرشدا للأعاجم وغيرهم في الولوج إلى مختلف علوم العربية، لمن أراد منهم أن ينأى بنفسه من الوقوع في الخطأ، ومع كل ذلك لا زال يعاني أزمة خانقة كابحة لتطور مسيرته، أولها اتصاله بما ارتبط بنشأته وعوامل تكوينه وتأثيرها عليه، وثانيها ارتباطه بنحو الجملة، لذلك كان لزاما أن ننطلق ضمن الاتجاه النصي، الذي أفاد من علوم كثيرة كعلم الاجتماع وعلم النفس والذكاء الصناعي وهو ما أقره ديبوجراند حيث يقول إنّ هذه " المطالب العلمية المتبادلة بين النظريات والنماذج كانت المجال الدافع في مجال لسانيات النص، ومن الواضح أن هذه العلوم تسعى إلى تحقيق ما هو أكثر من وصف بنيات الجمل فهي تهتم بالعمليات التي بواسطتها يتحقق استعمال اللغة الإنسانية"[2]، وهو ما يفسر النظرة الشمولية لنحو النص التي تتسع إلى كل النصوص بمختلف أنماطها وتوجهاتها ومستوياتها المختلفة، يذهب الباحث إلى نفس المذهب في كون " دراسة الخطاب أو النص واقعة منذ أمد طويل في نطاق علوم أخرى، تتجاذبها ، كعلم

[1] – روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص560

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 66.

الاجتماع والأنثروبولوجيا والدراسات الأدبية ، ولكن النصوص مادة لغوية بالضرورة، ولذلك أحس المشتغلون بهذه التخصصات بحاجة ماسة إلى خدمة المعالجة المنضبطة التي تؤديها اللسانيات الحديثة على خير وجه، أما اللسانيون فقد تيقنوا أهمية هذه الأنواع المتميزة من النصوص ذات الصلة الوثيقة بالكينونة الإنسانية ، ورأوا أن خروجها من دائرة معالجتهم إنما يعزلهم عن طائفة من أظهر تجليات الفعل اللغوي ، هم في أمس الحاجة إليها لفهم نظرية اللغة"[1]، هذه الشمولية التي يتميز بها نحو النص عن غيره تجعله يتسم بسمة "تداخل الاختصاصات" على حد تعبير فان دايك.

يصرح الباحث إلى أن هناك نمطين يتجاذبان الفكر اللساني وهما نحو الجملة وإليه ينتمى(النحو العربي)، حيث يرى أصحاب هذا التصور أن الجملة أكبر وحدة لغوية خاضعة للوصف وللتحليل وبذلك لايمكن أن تكون جزءا من مركب أكبر، و أهملت دراسة النص كوحدة كلية دلالية مترابطة الأجزاء، فالنص من هذا المنظور لا يعدو أن يكون متوالية من الجمل وهو حاصل جمع الجمل المشكلة له، منطلقا من دعوة صريحة إلى مخالفة التصور التقليدي والانتقال إلى نحو النص الذي هو عنده " نمط آخر من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل ثم الفقرة ثم النص "[2]، وعليه فنحو النص يبحث في تحليله عناصر أخرى لم تُراع في نحو الجملة، كعلاقات التماسك النحوي والدلالي وغيرها، وهي وسائل تحليلية غاية في الدقة والشمول، لا يمكن تفسيرها تفسيرا شاملا ومقنعا في إطار نحو الجملة، لذلك كان من الجدير الإنتقال إلى وحدة لغوية أوسع وأكبر وهي الوحدة الكلية للنص.

كما يُرجع الباحث رضوخ الدراسات اللغوية تحت وطأة الجملة لعقود من الزمن، بالتأثر النحو بالمنطق اليوناني حين يقول "سيطرة نحو الجملة على القواعد في جميع لغات العالم المعروفة، في القديم والحديث إلى يومنا هذا بتأثير من التقاليد الراسخة التي أساها النحو اليوناني، حيث ارتبطت الجملة في النحو بالحكم المنطقي"[3]، يركز الباحث في قوله على نقطتين هامتين الأولى تتمثل في اعتمادهم

[1] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة الى نحو النص، ص403.

[2] – المصدر نفسه، ص407.

[3]– المصدر نفسه الصفحة نفسها.

على التقعيد النحوي (القاعدة النحوية)، أما الثانية تأثر النحو بالمنطق والفلسفة لا نكاد نجد مؤلفا من مؤلفات النحو العربي إلا وجدناه يتطرق إلى هذا التأثر وان كان الأمر فيه اختلاف بين الباحثين من حيث شدة التأثر إلى انعدامه، بل وإنّ هناك من الباحثين من يذهب إلى العكس من ذلك تماما[1]، ويكاد يجمع العلماء بأن هذا التأثير قد نما ذلك بفعل الانفتاح الثقافي على الحضارات والاختلاط مع الأمم المختلفة، ولعل السبب الرئيسي في جعل نحو الجملة يحتل موقع الصدارة هو أولوية الغرض التعليمي على الدرس اللغوي، لأن وظيفة النحو لاتخرج عن التعليم الذى بدوره يحتاج إلى الضبط والتقعيد لحفظ اللسان العربي، إضافة إلى ظاهرة التأثر والتأثير بين العلوم أمر طبيعي خاصة فيما يتعلق بالمقاييس الأساسية لكل علم، ومن ثمة "جرت العادة في معظم النظريات اللسانية أن تعتبر الجملة كما لو كانت الوحدة الكبرى من نحو التركيب الصرفي، والتركيب النحوي، ومن نوع مراتب الدلالة، والمستويات السيمانطيقية على حد واحد"[2]، هذه النظرة التي قوبلت بمواقف وآراء متباينة في وصفها بالقصور والضيق، وبضرورة تجاوزها والخروج عليها، حيث" لم يكن هناك ما يدعو إلى الوقوف بمجال التحليل النحوي عند حدود الجملة، ولا ما يقتضيه اقتضاء، بل كان ذلك من قبيل العادة التي دأب عليها الدارسون، لأنهم وجدوا فيما دون الجملة ما يفي بوصف جميع الظاهرة اللغوية "[3].

وإن الفضل في الاهتمام بنحو النص يعود إلى دراستي زبليج هاريسZellig Harris 1952 تحت عنوان تحليل الخطاب "Discourse Analysis هذه الدراسات التي اكتسبت أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة، إذ إنه بهاتين الدراستين «لم يكن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني فحسب ، بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه التي ضمنها برامجه بتقديم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها" مضيفا إلى أن هذه الجهود وغيرها مثل كينيث لي بايك K Pike وتيون .أ. فان دايك Teyon A. Van Dijk، قد خرجت بذلك على النظريات اللسانية التي ظلت حبيسة الجملة ردحا من الزمن، والتي كان النحو العربي بصورته المعرفة ينتمى إليها، لتنطلق في رحاب النص لتؤسس ما سمي نحو النص أو اللسانيات النصية.

---

[1] -ينظر عبد الرحمان العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية في مصر، ص205-206.

[2]- فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،تر/عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق ،2000، ص19.

[3]- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص38.

وهذا في حد ذاته أوثق شهادة على تبرئة اللغة العربية مما ينسب إليها من تخلف عن ركب التقدم الحضاري، لذلك أبدى الباحث موقفه الواضح الذي دعا إليه في أكثر من مناسبة، وهو ضرورة تجسيد هذه النقلة المنهجية في الدرس اللغوي العربي، والانتقال من التراث العربي باعتباره أرضية صلبة قادرة على احتواء هذا المطلب العلمي الجليل، بكل ما يحمله من جوانب نصية تأصيلية نظرية وتطبيقية كبيرة تعكس الثروة العلمية الضخمة التي خلفها الأوائل، حيث يقول الباحث "وجدير بالذكر أنك وجدت هذه الظاهرات بعضها أو جلها في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أشتاتا وفرادى لانصرافها إلى متابعة الشاهد والمثال والجملة، ولعل في التراث البديعي من الثراء والخصوبة ما يحفز الجادين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذ العلم من منظور نصي"[1]، وهي دعوة صريحة لإرتياد هذه الآفاق وخاصة البديع الذي يعول عليه الباحث كثيرا ضمن هذه التصورات الجديدة، ولعله ما ذهب إليه سعيد بحيري حين يقول " وإن التراث النحوي بكل ما يضمه من تصورات ومفاهيم وقواعد، وأشكال وصف وتحليل وغير ذلك الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصية بكل ما تتسم به من تشعيب أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها"[2]، وعليه فلا بد من أن يتم تغيير النظر إلى النحو العربي من زاوية أخرى نستطيع من خلالها تحريره من هذه الغايات الهزيلة المتمثلة في ارتباطه بالمنطق والفلسفة، وقصر وظيفته ضمن المستوى الصوابي للحفاظ على اللغة العربية من الزلل واللحن ، والاتجاه إلى رصد الظواهر النصية المتناثرة فيه، بهذه الفاتحة المطوّلة التي استقصى من خلالها الباحث الآراء المتباينة بين نحو الجملة ونحو النص، وموقع النحو العربي ضمن هذا التصور، ليبين الغاية الرئيسية من هذه دراسة وهي محاولة "**صياغة إطار نظري للسانيات نص عربية تستمد أصولها من الثقافة العربية** ".

يشير الباحث إلى أن حداثة تأسيس نحو النص في اللسانيات الغربية دلالة كفيلة برفع اللوم عن التراث العربي، في بقائه طويلا تحت وطأة نحو الجملة، ليتحول إلى مصدر فخر واعتزاز، واعتراف بقيمة الأوائل في كل المجالات العرفية، مع الدعوة إلى مواصلة الجهود بنفس الجدية بغية الخروج بالنحو العربي من أزمته التي قصرت على العصمة من الوقوع في الخطأ، والإنتقال إلى غايات أسمى، وأكثر انسجاما مع التطورات العلمية الحاصلة. إذ يقول "مع اننا ننيط بهذه النقلة تحقيق المرجو من الخروج

[1] – محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص 237.

[2] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص 54.

بالنحو العربي مما نحسبه أزمة آخذة بخناقه، كابحة لدوره الفعال في دراسة العربية ونتاجها وابداعاتها الأدبية حيث ارتبط بغاية ضئيلة نحيفة لا تليق بجلاله وثرائه، "[1] ،

يلخص الباحث الأسباب التي عجلت بهذا الانتقال وهي:

– الدور الرائد الذي تلعبه اللسانيات الحديثة بالنسبة لبقية العلوم.

– المعالجة الفيلولوجية للغة النصوص القديمة.

– الالتفات إلى البعد الاجتماعي للغة، وتثمين الدور التواصلي الذي هو جوهر اللغة وأساسها يقول الباحث " أدرك علماء اللسان أن اجتزاء الجمل يحيل اللغة الحية فتاتا وتفاريق من الجمل المصنوعة والمجففة أو المصنوعة"[2]

– إمكانية إعادة النظر في الكثير من الظواهر اللغوية، وتغيير بعض الأفكار السائدة التي ظلت مسيطرة على المناخ الفكري.

– الإفادة من نحو النص في خدمة الترجمة،

كما يشير الباحث إلى أن الغاية من نحو النص عنده هي "الانتقال بالنحو العربي (واللسانيات العربية عامة) من طور ظل فيه حبيس أسوار الجملة، أي الكلام المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، إلى طور يكون فيه النحو (بالمفهوم الواسع للمصطلح) قادرا بوسائله على محاصرة النص ووصفه والكشف عن علاقاته التي تتحقق بها نصية النص، بما هو حدث تواصلي مركب، ذو بنية مكتفية بنفسها، قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل"[3]،يدرك الباحث أنه ليس بمقدور النحو العربي متوقفا عند حدود الجملة تقديم الإضافة المرجوة، ولذلك وجب الانتقال به إلى ما ورء الجملة، وذلك من خلال استثمار معطيات نحو الجملة المعني بتحديد أنماط الجمل والتراكيب في اللغة، وبين نحو النص كمفهوم إجرائي من حيث هو بنية لغوية متكاملة ذات دلالة.

يبرز الباحث الغاية المرجوة من دراسته التي تفتتح القول في نمط جديد على اللغة العربية متخذاً في سبيل تحقيق ذلك خطة للولوج في هذا الموضوع، وتشتمل على ثلاثة مباحث هي:

أولا: العلة الغائية من نحو النص.

---

[1] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، 409.

[2] – المصدر نفسه، ص410.

[3] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص153.

ثانيا: ماهيته.

ثالثا: تقويم نحو النص من الوجهة النصية.

1.2/ العلة الغائية من نحو النص:

يفتتح الباحث مبحثه بالتساؤل عن الغاية من الدرس النحوي: لبيّن أنه سؤال تختلف عليه الإجابة بين النحو التقليدي والدرس اللساني الحديث، حيث يقول "لقد وضعت الأنحاء التقليدية الغاية المعيارية نصب عينها ، فدارت أكثر تعريفاتها – ومن بينها النحو العربي – على أنه علم يعرف به الصواب والخطأ، وتتحقق به السلامة للكلام كتابة وقراءة"[1]، والمقصود من وصف الأنحاء التقليدية بالمعيارية، هو العمل على وصف الظاهرة اللغوية وفق معايير مستنبطة من عصور الاحتجاج، وإصدار أحكام عليها، لبيان الصواب أو الخطأ، وهذا ما يعني أسبقية القاعدة على الأداء اللغوي، وهو مصطلح مقابل للوضعية أو الوصفية، ما يؤكد تاريخية نشوء النحو العربي على تقويم اللسان العربي وحفظه من الوقوع في الزلل واللحن، والعمل على فهم النص القرآني وتأويله، والمراد بالاحتجاج هو صحة القاعدة مقابل دليل نقلي صحيح وسليم، ولهذا نصّ ابن جني على أنه بالنحو: " يلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها"[2]، يتبين لنا من خلال ما سبق تركيز ابن جني على أن النحو وسيلة لسلامة استخدام الكلام، والغاية منه تلقين الفصاحة للمتكلم أعجميا يتعلم اللغة، أو عربيا ضعفت محصلته اللغوية بدافع الاختلاط أو البعد عن البيئة العربية، وهذا ما يفسر خضوع النحو الجانب التعليمي.

وإن العلاقة التي تجمع بين نحو الجملة والنحو التقليدي علاقة حتمية تفرضها طبيعة نشأة الدرس النحوي من خلال دواعيه التعليمية، ما جعل الجملة تحتل الصدارة، بفضل أدواتها البحثية التي تمثل الحد الأدنى من حصانة القاعدة والضبط المطلوب في الشأن التعليمي، وهو الأمر الذي ترفضه اللسانيات المعاصرة من خلال أنها "تمسك عن إصدار الأحكام وعن التقييم، سواء ما كان منه في ذلك تنويها أو تهجينا، لأنها لا تستند إلى تصنيفات الخطأ و الصواب ولا إلى مقولة الحسن والقبح"[3]، بيد أن اللسانيات الحديثة تورطت في أول أمرها في مفارقة منطقية كادت أن تبلغ مبلغ التناقض المنهجي مما حذا بها أن تفارق الغاية المبتغاة في الأنحاء التقليدية من وجوه كثيرة أهمها: "الاتجاه إلى

---

[1] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة الى نحو النص، ص412.

[2] – ابن حني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ،2003. ص 88.

[3] – عبد السلام المسدي، الفكر العربي والألسنية، اللسانيات واللغة العربية، ع4 ،1984 ،ص 13.

التنظيمية والتعميم واستكشاف الجوهر الثابت في كل ظاهرة من خلال معالجة التفصيلات والمتغيرات"[1]، وهو ما يعني التوجه إلى نحو النص من خلال التمسك بنحو الجملة، والاستفادة من إمكاناتها، وتعزيز الدور التواصلي والالتفات إلى البعد الاجتماعي للغة، وذلك من خلال إدراكهم " أن الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية، وليس اجتزاء للجمل والبحث عن نماذجها ، وتهميش دراسة المعنى كما ظهرت في اللسانيات البلومفيلدية أول أمرها"[2]، هذا الدور التبليغي الذي جرى تهميشه في نحو الجملة وتم إبعاد العوامل الاجتماعية ، انكبوا في المقابل على الوصف دون النظر إلى السياقات اللغوية، وذلك بدعوى أنه ليس من صميم دراستهم وخارج مجال اختصاصهم، وغفلوا عن البعد الحقيقي للغة الذي يتجلى من خلال الاستعمال اليومي بغرض التعبير عن المقاصد والحاجات، وهو ما أكده الباحث من وجوب إعادة الاعتبار إلى هذه الأبعاد التواصلية ومراعاة مختلف القرائن الحالية والمقالية بما أن ظاهرة اللغة ظاهرة إنسانية، ووسيلة للتفاعل إذ إنّ " الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب —جملاً أو تتابعاً من الجمل، ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين ويكثر في هذه الحال تصادم الاستراتيجيات والمصالح وتعقّد المقامات ومثل ذلك نراه في حدث الكتابة حيث تتعقد بين مكونات الصياغة اللغوية وترتد أعجازها على صدورها وتتشابك العلاقات في نسيج معقد بين الشكل والمضمون على نحو يصبح فيه رد الأمر كله إلى الجمل أو نماذج الجمل تجاهلا للظاهرة المدروسة، وردا لها إلى بساطة مصطنعة تخل بجوهرها، وتفضي إلى عزل السياقات المقالية والمقامية والأطر الثقافية باعتبارها أمرا قائما خارج النحو طارئ عليه".

تكمن أهمية نحو النص في وصف أبنية النصوص "واستخدام أشكالها في التواصل، وتحليلها داخل إطار متكامل (عبر تخصصي) هذا التكامل يمكن أن يتم بتحليل الخواص العامة التي يجب أن تتوفر في أي نص لغوي ليقوم بوظيفته كنص، وهي خواص ترتبط بالأبنية النحوية والدلالية والأسلوبية والهيكلية، كما تتصل بالروابط المتبادلة فيما بينها، ومن الناحية الوظيفية فإن هذا العلم يعنى بشرح كيفية قيام النص بوظائفه ، أي بتحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصية المعقدة في مرحلة الأداء ، وإعادة إنتاجها بالقيم في مرحلة التلقي[3]، إن مهمة علم النص

[1] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص413.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] –سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص142-143.

الأساسية من خلال كل ذلك تكمن في قدرته على حل جميع المشكلات التي تتعلق بالنصوص مهما كان نوعها، وذلك من خلال خصوصيته التي لا تقبل حدا ، كما تضمن الانتقال عبر المستويات بصورة سلسة، وفي إطار كل مكتمل ووحدة لغوية كلية، إضافة إلى اعتبارات أخرى تكون خارج النص، تتعلق بدور المنتج للنص والمتلقي معا ، وذلك يمكنا القول "إن نحو النص – باختصار شديد – يتناول كل أشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة، ودرجات الربط النحوي والتماسك الدلالي والنماذج الهيكلية المتنوعة، النظرية والتطبيقية، كما أنه يمكن أن يكون معينا على تفسير ما عجزت عنه الأنحاء الأخرى، ان كثيرا مما وصف بالشذوذ في قواعد اللغة يمكن أن نجد له تفسيرا في نحو النص كما يؤكد فان دايك وكذلك فإن كثيرا من الظواهر تستعصي على الوصف في اللسانيات المعاصرة، يمكن أن تعالج أو تصاغ بطريقة أفضل إذا ما وصفت من جهة العلاقات القائمة بين الجمل في نص يتصف بالتماسك، لذلك كله أصبح نحو النص عند كثير من اللسانيين المعاصرين ضرورة لا اختيارا "[1]، لما يحويه من وسائل وآليات إجرائية موسعة تهتم بدراسة الظاهرة اللغوية المختلفة "وذلك نحسبه واجبا على من يريد تأثيل "نحو النص" في العربية أن يولي وجهه شطر صيغ النحو المقامي في البلاغة العربية، فهي أوثق صور النحو القديم عروة بنحو النص "ولذا فمن المحتم على العربية ونحوها اقتحام عقبة نحو النص؛ لأن ذلك سيكون له أثر كبير في دراسة تجليات الإبداع كافة في العربية"[2].

2.2 / ماهية نحو النص:

يشير الباحث في معرض حديثه عن ماهية نحو النص إلى عدم وجود أي تصور له في الثقافة العربية رغم ثرائها المعرفي وأنه يتجه في تحديد هذا التصور الذي يتخد طابعا برامجيا يمتد إلى المنجز الغربي الذي استفرغ جهده في دراسته هذه الظاهرة اللغوية، رغم الاختلافات في المنطلقات والتصورات، "فمنهم من يعتمد نصية النص مثل دي بوجراند وديسلار، وتجزئة النص مثل فاينرش وهناك من يقترح نحوية النص كفان دايك، أما بتوفي فيذهب الى توليدية النص"[3]، إضافة إلى الإتجاه النفسي، وهي على أهميتها تصورات تبدو متقاربة حينا ومتباعدة أحيانا كثيرة، أسهمت بوضوح في

[1] – أحمدعفيفي، نحو النص اتجاه جديد في النحو النصي، ص 57.

[2] – عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ص 534.

[3] – أشرف، عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي في كتب الإعجاز القرآني، مكتبة الآداب القاهرة، ط1 ،2008 ص75

إغناء نحو النص بفعل هذه الأسس والتصورات التي عمل على دمجها بغرض الاستفادة منها، وإذا ما أردنا تصنيفا واحدا محددا للسانيات النص عند سعد مصلوح فيمكننا الأخذ بتصور نصية النص لدي بوجراند وديسلار هو الاتجاه الأقرب، وإن كان للدكتور عبد السلام السيد حامد رأي آخر حين يقول ان تصنيفه " أقرب إلى اتجاه فان دايك المعني كثيرا بنحوية النص(بالمعنى العام للنحوية) من خلال عنايته المتكاملة بدراسة تراكيب النص وأبنيته وعناصره الدلالية والتداولية[1]،وهو الحكم الذي يراه الأستاذ يوسف وغليسي بأنه"لا يزال بحاجة الى مزيد من المراجعة والتمحيص والمقارنة"[2]، وكما هو جلي للبحث في النص مستويات ثلاثة أساسية هي: المستوى النحوي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي (بمفهومه الواسع) ويرتبط ببحث هذه الجوانب ضرورة الإجابة عن الأسئلة المحورية التي ذكرها الباحث ،هذه المستويات التي تمثل مقترحات غربية لبناء نموذج لنظام النص، وكل مقترح يمثله جملة من الباحثين تبعا لتوجهاتهم، وإذا رجعنا إلى الباحثين العرب وجدنا أن انتماءاتهم لم تحدد بطابع خاص، ولعل فيما سبق يتبين أن سعد مصلوح يندرج ضمن التوجه الذي حدد غاية نظامه الخاص بإتلاف كل الاعتبارات النحوية والدلالية والتداولية وحدّه بالمعايير النصية الثابتة والمعروفة والتي تميزه عن غيره، ونجد أن الكثير من الباحثين العرب من يشاركه هذا التوجه مثل:محمد خطابي والأزهر الزناد، أما النص عنده فليس إلا سلسلة من الجمل ،كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عنها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل الداخلة في تشكيله"[3] ،ويردف تعريفا آخر في كتابه البلاغة والأسلوبيات اللسانية بأنه" حدث تواصلي ذو بنية مركبة قادرة على الإفصاح والتأثير بالفعل"،[4] يؤكد سعد مصلوح من خلال التعريفين أن النص قد يكون جملة أو أكثر، وكل جملة مكتفية بذاتها أي تامة ذات معنى، مع أن "نحو النص" المراد الذي يُدعى إليه ليس كذلك؛ لأنه نمط مركب من التحليل يشمل فحص علاقات متدرجة تمتد من داخل الجملة إلى النص والخطاب[5]، ويجدر بالذكر أنه بعد الانفتاح اللساني والتطورات التي لحقت به جعلته يعتمد التعريف الشامل لدي بوجراند وذلك عند تحليله لقصيدة هند بنت عجلان للمرقش فيقول آثرنا أن نعتمد

[1]– عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ص 549.

[2] – سامية بن ادريس، أجرومية النص لدى سعد مصلوح، قراءة في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان ص294.

[3] – سعد مصلوح، نحو اجرومية النص الشعري درسة في قصيدة جاهلية، ص154.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ص 534.

تعريف ديبوجراند ودريسلار من حيث أنه " حدث تواصلي يلزم لكونه نصا ان تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي السبك ،الحبك ،القصد ،القبول، الإعلام،المقامية والتناص"[1].

غير أنه يُرجع الطابع البرامجي إلى امتحان بطريقتين هما:

أولا: عرض تراث النحو العربي على نحو النص بغية تقويمه، وتشخيص العوائق التي تمنع مسايرته وتأصيل إطاره النظري بما يتناسب معه، وتحديد وجوه الاتفاق والافتراق بينهما.

ثانيا: ممارسة تطبيقه على عدد صالح من النصوص العربية التي استنبطت منها قواعده، في سبيل تجديده وتقويمه، وتأكيد نجاعته.

وقد حاول الباحث تحرير مصطلح نحو النص من خلال ثلاثة تصورات منهجية تتجاذب مصطلح النحو في الدراسات اللسانية التقليدية والحديثة:

التصور الأول: يراد فيه بالنحو أصالة علم تراكيب الجمل، والذي يعنى ببيان القواعد والأحكام التي تعمد إلى ترتيب الكلمات داخل الجملة أو العبارة أو التركيب، وقد يتسع ليشمل مسائل صرفية وصوتية ذات علاقة ببيان تراكيب الجمل.

التصور الثاني: يعنى بمصطلح النحو مفهوما أعم من سابقه، إذ يراد به كل ما يتصل باللغة ومستوياتها، بدراسة صوتيات اللغة والمعجم والصرف والتراكيب والدلالة العامة

التصور الثالث: ارتباطه (بمفهومه الشامل) بالمقاميات pragmatise، فبالإضافة إلى وصف المباني والمعاني الوظيفية للغة، يُعنى الباحث بتشخيص المقام وربطه بالإستعمال اللغوي. وقد أنتج اعتضاد المقام بالمقال ما سمي في التراث العربي "بعلم المعاني" خاصة وعلوم البلاغة عامة، وتضرب جذور هذا النوع من النحو بجذورها في كتاب سيبويه. وصارت قسماته أكثر تحديدا لدى عبدالقاهر الجرجاني والسكاكي.

على الرغم من أن التصور الثالث أرقاها وأقربها إلى الكمال، إلا أن للباحث رأيا آخر حين أنه يقول بأنها" لا ترقى لأن تمثل النحو الكامل الذي يجسد الحاجة إلى نحو ارقى من النحو، هو في جوهره نحو مقامي، ولكنه ذو جهاز تحليلي قادر على أن يصف التركيب اللغوي للنص الخطاب[2]، وذلك

[1] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري: درسة في قصيدة جاهلية، ص154.

[2] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة الى نحو النص، ص418.

لارتباطها بنحو الجملة وعدم تجاوزها إلى أبعد من ذلك، وكل هذه التصورات تجسد الحاجة إلى نحو أرقى، والذي هو في جوهره نحو مقامي، لكنه قادر على وصف البنية الكلية للنص أو الخطاب،

كما يؤكد أنّ إطاره النظري تحصيلا لجميع العوامل التي تساهم في تشكيل المعنى الكلي مهما كان نوعه أو حجمه. ومذكرا بأن تحقق هذا الإطار النظري مربوط بتوافر مجموعة من الشروط وهي[1]:

1-أن يتخلى عن غايته الأولى المرتبطة بإصلاح المنطق، والعصمة من الوقوع في الخطأ، والإنتقال إلى مستوى التشخيص والوصف للتراكيب اللغوية

2 - أن يكون قادرا على وصف البنية التركيبية (القواعدية) للنص فيها وراء الجملة (أي على مستوى الفقرة والنص).

3 - أن يعتمد على منظومة تحليلية تتصف بخاصية الهرمية، أي تبدأ بالمكونات الصغرى ثم تتدرج في درجة التركيب الصوتيات، الكليات، العبارة، الجملة الصغرى، الجملة، الفقرة، النص.

4- أن يكون ذو جهاز تحليلي قادر على تشخيص خاصية التماسك في النص.

5- أن يشتمل الجهاز التحليلي على وسائل قادرة على وصف البعد المضموني أو البؤري)، وبهذا الشرط يمكن تحقيق الوصف المضموني للنص بطريقة منضبطة بعيدة عن متاهات التأثرية والإنطباعية من جهة، ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالبنية القواعدية وسائر العوامل الأخرى المسهمة في تشكيل النص من جهة أخرى.

6- أن يتضمن من الوسائل ما يمكن به تشخيص الخصائص الأسلوبية للنص. وإضافتنا الخصائص الأسلوبية إلى النص تعني عدم اشتغال الباحث بتشخيص الخصائص الأسلوبية الفردية المائزة لأسلوب المنشيء بعينه، فلهذا الأمر في نحو النص طرق أخرى في حاجة إلى فضل بيان.

7- أن يعتمد على وسائل تشخيصية جديدة ملاءمة لدراسة النص دراسة كلية، تتسع للتحليل المقامي الذي يشمل النص في تركيبه المعقد.

8 - أن يعتبر فيه أثر نوع الوسيلة التي يصاغ فيها النص أو الخطاب على تشكيل المعنى الكلي. ونعني بنوع الوسيلة هنا ما إذا كانت سمعية أم بصرية أم مركبة منها.

[1] - سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص419-420.

9- أن تعتبر فيه العوامل الراجعة إلى الإطار الثقافي واللغوي بمفهومه الواسع.

يلخص الباحث هذه الخصائص في مايلي:

- استبدال الغاية التشخيصية الوصفية بالغاية المعيارية.

- استبدال المعالجة النظامية Systematic بالمعالجة الذرية التفتيتيةAtomic

-هرمية العلاقة بين مستويات التحليل اللساني والمكونات التركيبية للنص

-التخلي عن ثنائية الشكل والمضمون في التحليل لا بإهدارهما، أو بإعلاء شأن أي منهما على حساب الآخر. بل باعتبارهما جميعا، وإعمال الضوابط التحليلية الكاشفة عن آليات العلاقة بينهما أو الكيفية التي يسهم بها كل منهما في تشكيل الآخر

- شمول الاعتبارات الأسلوبية والمقامية والثقافية، واعتبارها جزءا من الجهاز التحليلي الذي يجري إعماله في دراسة النص.

وبالنظر إلى الشروط التي ارتضاها الباحث لتكون الإطار النظري الضامن لهذا الانتقال، إنما هي شروط علمية موضوعية، لا تُلغي أي مكون من مكونات النص، ابتداء من الكلمة إلى العبارة إلى الجملة والفقرة وصولا إلى النص، فهرمية التحليل تضمن إعطاء كل مكون من المكونات السابقة حقه من الدراسة والتحليل، إضافة إلى أن دراسة الجملة من أبسط مكوناتها وصولا إلى العلاقات الرابطة بينها وبين غيرها، كفيل بتوسيع النظرة لوصف النص وإظهار التجليات الأسلوبية والمقامية والثقافية الكامنة فيه، وبالتالي إدراك البنية الكلية للنص، التي تمثل المطلب الرئيس للنحو النص، لأن التحليل النصي حينما يتجه صوب البحث عن البنية الكلية لا يلغي المكونات الصغرى المتدرجة وراءها "وهكذا يمكن الحكم بقبول جملة ما إذا أرجعها الإنسان إلى الجملة السابقة، وتتضح الحاجة إلى إرجاع المسائل العملية البسيطة إلى معلومات السابقة"[1]،

يجدر الحديث بعد إبراز الفرق بين نحو الجملة ونحو النص، وبيان قصور نحو الجملة في الوفاء بمعالجة النصوص، وبيان جاهزية الأدوات والآليات التي يتيحها نحو النص، إلى وجوب ولوج عالمه، وصياغة إطاره النظري، وعرض نصوص العربية عليه.

[1] – برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب البلاغة وعلم اللغة النصي، ترجمة محمد جاب الرب، الدار الفنية، القاهرة ط1، 1987، ص184.

3.2/ موقع نحو النص من النظرية اللسانية:

يردف الباحث مجموعة من الأسئلة، تتعلق في مجملها بمدى تحقق نحو نص يمكن أن يطرد في جميع النصوص؟ يرى الباحث أنه يمكن الإجابة من خلال تصورين هما:

الأول: (تصور عام) يتمثل في نظام (النص/ الخطاب) يراد به التوقعات في قوائم من التشكلات المحتملة التي يتيحها نظام اللغة.

الثاني: (تصور خاص) يتمثل في بنية (النص/ الخطاب) وهو حاصل شبكة العلاقات الناجمة من تضافر نظم النص بمستوياتها المختلفة لتشكيل بنية نص ما. وكلا هذين التصورين واقع تحت التصور الأعم"نحو النص" ويبدو من هذا التعريف الإجرائي السابق أن التصور الأول يعالج الخصوصية التركيبية للغة بعينها في مجال النص، على حين يلبي التصور الثاني الحاجة إلى تشخيص البنية النحوية لنص بعينه.

يدرك الباحث خطورة المهمة خصوصا في العربية، إذ عليه أن ينجز إطارا نظريا، ويخضعه على التطبيق، وأن يعاود الكرة كلما ثبت النقص حتى يضمن أوفق صيغة لتشكيل **نحو نص عربي** ليردف الباحث سؤالا مهما حول مدى إمكانية استثمار التراث في هذا التشكيل.

4.2/ النحو العربي بين الجملية والنصية:

يشير الباحث إلى أن هناك معيارين ضابطين يحكمان كل علاقة يكون التراث طرفا فيها:

الضابط الأول: يفرق الباحث بين العربية بوصفها ظاهرة لغوية موضوعة للدراسة شأنها في ذلك شأن بقية اللغات الأخرى ، وبين النحو العربي بوصفه علما يراد من خلاله دراسة الظاهرة اللغوية وكشف قوانينها بواسطة آليات ومناهج ومقولات علمية إجرائية، يميز الباحث بين اللغة والنحو وبين حداثة المنهج أو قدمه ، أي بين المنهج المتبع في الدراسة وبين اللغة الحية في حد ذاتها، فَقِدم المنهج أو حداثته عنصر مؤثر في كشف الحقائق وبيان العلاقات المراد تتبعها، إضافة إلى أن التغيرات التي تصاحب عملية الانتقال بالنحو من نحو الجملة إلى نحو النص، تفرض تعديلا في المنهج والأهداف، وعلى ذلك "فإن أي محاولة لإصلاح النحو العربي أو استبدال نحو آخر به لا يمكن أن تعني هدما للعربية بقرآنها وتراثها وتاريخها العريق "[1].

[1] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص423.

أما **الضابط الثاني** فيتمثل في عدم البداية من نقطة الصفر المنهجي، "أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنجاز قوم من أعلم الناس بفقه العربية وأسرار تراكيبها وذخائر تراثها"[1]، ضمن هذا السياق الذي يفرض نفسه في الساحة الفكرية، يقف المنشغلون أمام طرفي المعادلة، أحدها يمثله التراث البلاغي والنقدي الذي ينحدر إلينا عبر أربعة عشر قرنا، بكل حضوره ونفوذه، في ممارساتنا الفكرية ، وأمام ما نراه من تيارات الحداثة والمعاصرة، والتعامل الجاد والمثمر من منظور الباحث، هو العمل على ضرورة الإستفادة من الخزان التراثي، بكل ما يكتنفه من مقومات فكرية وثقافية لا تستطيع حتى اللسانيات الحديثة مجاراتها في بعض الأحيان، وإعادة استثمارها في الحقول اللسانية المعاصرة عبر إطار علاقة التلاقح بين المعطيين، هو ما يمنح صياغة جديدة للمفاهيم تتجاوز كل المشكلات، ويساهم في بلورة أساسية لإرساء معالم جديدة للنحو العربي ، يضيف الباحث إلى أن هذين الضابطين يعملان بشكل متضاد، فالأول يفتح آفاقا جديدة في الدرس اللغوي، والثاني متمسك بالإرث اللساني القديم، وعلى الباحث المنهجي أن يزاوج بينهما.

عكف الباحثون منذ القديم في محاولة لإعادة النظر في النحو تيسيره و إصلاح مناهج النحاة، منذ جهود المبرد، والرضي الإستراباذي وابن هشام و محاولة ابن مضاء القرطبي(ت592هـ) الشهيرة في كتابه"الرد على النحاة " والتي أحدث من خلالها ثورة على النحاة من خلال كثرة التأويلات والإفترضات، ونظرية العامل التي عملت على تعقيد النحو وأكثرت فيه من التقديرات، ومحاولات ابن الحاجب، هذه المؤلفات على أهميتها إلا أنه لم يكتب لها النجاح في تسيير النحو و تخليصه من التعقيد، وعلى غرار هذه الدعوة قامت مؤلفات التيسير المعاصرة، والتي وقعت تحت تسميات عديدة ،مراجعة النحو، إحياؤه، اصلاحه، تحريره، وتجديده، ولكن محاولاتهم في أغلبها كانت تصب في ترتيب أبواب النحو و في جعله أكثر ملاءمة للوفاء بغايته الأصيلة، وهي تقويم اللسان أو إصلاح المنطق أو الابتعاد عن اللحن، غير أن القليل من هذه المحاولات من اتسع أفقها المنهجي من التيسير والتسهيل إلى الإحاطة بوظيفته الشاملة، ولعل أقرب هذه المحاولات كتاب العربية معناها ومبناها لتمام حسان.الذي أشاد الباحث بأهميته في معالجته لقضايا النحو العربي وغاياته المعرفية بيد أنه

[1] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص423.

مؤهل – ولا سيما بنظريته في القرائن النحوية والتعليق – لأن يكون منطلقا رصينا موفقا لارتياد آفاق جديدة يكون فيها النحو قطب الطرق التحليلية في دراسة النص.

ولعل مّا نلاحظه من محاكمة النحو العربي إلى خصائص نحو النص هو الكثير من المعوقات المنهجية التي تجعل من مهمته في التحليل غاية في الصعوبة وهي :

– موضوع النحو العربي تحليل الشاهد والمثال: ومغبة ذلك تكمن في عدم التفريق بين مستويات اللغة المختلفة،كاللغة الفصحى وبقية اللهجات القديمة، مما أدى إلى الوقوع في زلاّت الشواهد الغريبة الشاذة، والنادرة ، ومجهولة القائل.

–**غلبة الطابع التعليمي المعياري** وذلك من خلال عدم التفريق بين الجانب التعليمي والجانب العلمي الذي يفتح آفاقا جديدة للنحو العربي لمواكبة التطورات الحاصلة، إضافة إلى عده نحوا معياريا هدفه القاعدة الثابتة التي تكرس ظاهرة ما، أو تؤسس لإتجاه لغوي معين، وأصبح النحو بذلك مجموعة من القوانين المجردة المفروضة على اللغة، لأن "الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها وهي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ قد فرضت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسِمة النحو التعليمي لا النحو العلمي،أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحوا معياريا لا نحوا وصفيا"[1].

–استبعاد فكرة التغير اللغوي، من خلال اتخاذ الافتراض العقلي أساسا لوضع القواعد النحوية، وصرامة القاعدة عند النحاة العرب ليست بمعزل عن التطور اللغوي، فنجدهم "درسوا لهجات عربية متعددة ليستخرجوا منها نظاما نحويا موحدا وأنهم فوق ذلك درسوا هذه اللهجات في أطوار متعددة من نموها فلم يتفطنوا إلى ضرورة الفصل بين مرحلة ومرحلة أخرى من تطور اللغة كما فعل أصحاب تاريخ الأدب بتطور التعبير اللغوي الجميل فلقد اعترف مؤرخو الأدب بعصر جاهلي وآخر إسلامي ثم أموي فعباسي وهلم جرا، ولكن النحاة أخذوا شواهدهم من فترة لغوية دامت أكثر من خمسة قرون كاملة"[2].

–**تهميش مراعاة المقام على أهميته في قواعد النحو** ، إلا ما وجد بعض المتقدمين كسيبويه الذي تنبه قبل غيره إلى أساليب الكلام حسب معانيها، هذه ملاحظ التي ساهمت في اجتماع النحو

[1] – تمام حسان: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة: ط1،2007، ص13.

[2] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دون ط، المغرب، دار الثقافة،1994ص.14.

بالبلاغة ليتشكل علم المعاني، إضافة إلى جهود عبد القاهر الجرجاني الذي" رسم في كتابه "دلائل الإعجاز طريقا جديدا للبحث النحوي، تجاوز أواخر الكلم وعلامات الإعراب، وبيَّن أن للكلام "نظمًا" وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهمًا معناه، ولا دالاً على ما يراد منه"[1]، والسكاكي الذي يعتبر أول من استخدم المصطلح في أقسام البلاغة وحدد موضوعه وأهدافه حين يقول في كتابه مفتاح العلوم "واعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تركيب الكلام، في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[2]، ولقد اختلفت لهذا الدرس النحوي البلاغي التسميات في الثقافة العربية ،فنجد علم المعاني ،النحو التفسيري ،نحو المعاني ، النحو الجمالي ، النحو البلاغي...

يضيف الباحث أن المعيقات التي جاء ذكرها ليست هي العوامل الأكثر تأثيرا في مفارقة النحو العربي ونحو النص، وأكثر تثبيطا للعلاقة بينهما، بل ثمة معوقات أخرى من شأنها أن تخل بكفاءة النحو العربي وهي:

– **افتقاده لخاصية النظامية** : فكتب التراث على غناها العلمي وثرائها المعرفي، إلا أنها جاءت مرتبكة في منهج التأليف، متداخلة الأبواب ومضطربة العناوين، ولم تجمع على نسق واحد، إضافة إلى طول العناوين وعدم تطابقها والخلط بين المباحث الصوتية والصرفية والدلالية كالذي نجده في كتاب سبويه والمقتضب للمبرد رغم مكانتهما المتميزة في اللغة العربية، مما جعل التماسها في مواطنها والبحث فيها أمرا في غاية الصعوبة، هذا " لو أراد المتخصص في النّحو والمتفرغ له أن يدرس موضوعا نحويا دراسة وافية لكلّفه الرجوعُ إلى كتب النحو في جميع عصورها جُهدا مُضنيا، وأضاع كثيرا من وقته في سبيل التعرف على مسائل موضوعه في هذه الكتب المختلفة المناهج"[3]، ونشأ ذلك من خلال "عدم إدراكهم لفكرة التكامل بين الفروع المختلفة للدراسات اللغوية وعدم وضوح العلاقة بين هذه الفروع في أذهانهم قد أوقعهم في تجاوز منهجي هو عدم وجود خطة أو طريقة أو منهج

[1] – إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، القاهرة، ط2، 1992، ص16.

[2] – يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، شرحه وضبطه نعيم زرورو، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان،1983 ص161.

[3] – أبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق هضيمة، لجنة احياء التراث، ج01، ط3، 1994، ص127.

للبحث صالح للتطبيق على كل جوانب الدرس في اللغة"[1]، يعلق تمام حسان عن الظاهرة فيقول" وهكذا نجد في كتاب سيبويه دراسة كاملة لأصوات العربية، ولكن هذه الدراسة كانت ملحقة بالنحو لا ممهدة له ولا معينة على فهمه كما ينبغي لها أن تكون، ذلك بأنها جاءت في آخر الكتاب، فلا يراها القارئ إلا بعد الفراغ من النحو والصرف، وفي وضعها هذا الموضع من الكتاب دليل على أنّ النحاة لم يكونوا يقدرون العلاقة العضوية التي تربط الأصوات والنحو حق قدرها"[2]، يؤكد تمام حسان هذا الأمر، حيث لمس في النحاة عجزهم عن ترتيب مستويات اللغة والعلاقات الرابطة بينها، إضافة إلى عدم اهتمامهم ببعض المستويات الصوت مثلا ، وإهتمامهم بالنحو وأبوابه بشكل مكثف .

افتقاده لخاصية النظامية التحليلة: نبه الباحث الى وجه آخر من أوجه القصور أعمق من الأول وهو افتقاده للتنسيق في المستوى التحليلي الواحد، إن جميع ما سقناه من ظواهر جعلت من مصنفات النحاة جمعا اتفاقيا يضم مسائل النحو في تتابع يخذل جميع التوقعات؛ إذ إنه لا أساس واضحا للتتابع من ضرورة أو احتيال منهجي، إنه تتابع هدر مفهوم المنظومة التحليلية ومفهوم العلاقة النظامية بين مكونات التركيب داخل الجملة ، وبين المقولات الصرفية والنحوية كل الإهدار أترانا على حق حين نقرر أن النحو العربي بصورته المستقرة لا يفي بالمراد؟

تمييع مفهوم الجملة وذلك من خلال عدم معالجتها معالجة صحيحة تحمي خصوصيتها

وفي الحصيلة النهائية في هذ المقام يتوصل الباحث الى نتيجة ختامية، فحواها أن النحو العربي في صورته لا يفي بالمراد من منطلق:

الموالية المنهجية في" نحو الجملة"

الكلمة ـــــــــــــــ العبارة ـــــــــــــــ الجملة الصغرى ـــــــــــــــ **الجملة**

الموالية المنهجية في" نحو النص

الجملة ـــــــــــــــ مابين الجمل ـــــــــــــــ الفقرة ـــــــــــــــ **النص**

[1]– كمال بشر، االتفكير اللغوي بين القديم والحديث، القاهرة: دار غريب للنشر،2005، ص314.

[2] – تمام حسان، الأصول دراسة ابستيمولوجية، للفكر للغوي عند العرب، عالم الكتاب، القاهرة، 2000، ص91.

إن صفة الإحتواء التي نجدها في نحو النص لنحو الجملة، تمكنه من الإستفادة من الامكانات التحليلية للجملة ليتجاوزها إلى ما رواءها الفقرة والنص، ولذلك تمثل الجملة في نحو النص نقطة نهاية لمنظومتها التحليلية المكونة من (الكلمة والعبارة والجملة الصغرى) ونقطة بداية للتحليل مرورا إلى العلاقات ما بين الجمل إلى الفقرة والنص بتمامه.

(الكلمة، العبارة، الجماة الصغرى) **الجملة** (العلاقات بين الجمل، الفقرة) **النص**

3/ المسنوى الإجرائي للمشروع اللساني النصي عند سعد مصلوح:

يتناول الباحث بالتحليل الدقيق النص الجاهلي، بوصفه جسدا لغويا مفعما بالدلالة ، وذلك بمدراسة مختلف الآليات الأسلوبية والبلاغية ونحو النص، واستجلاء العلاقات التي تسود بين مكوناته، وتوجيه النظر إلى العلاقات الرابطة بين أجزائه، محاولا الكشف عن مدى فاعليته الإجرائية في مقاربة النص الجاهلي مركزا على قصيدة الشاعر المرقش الأصغر، "لجعلها نموذجا ناطقا بقدرة هذه الادوات القديمة والمستحدثة—اذا ما تضافرت وأفاد بعضها بعضا– على استنطاق روائع النصوص القديمة، وتزييف الزعم الباطل بانحلال عراها وافتقادها إلى الوحدة العضوية"[1]، إضافة إلى بيان مكانة البديع في لسانيات النص من خلال موقعه بين معياري السبك والحبك وبيان قيمته بينهما، حيث جرى تهميشه في النحو التقليدي ، واكتفى بالطابع التحسني، وظل متذيلا علوم البلاغة، هذه الآراء وغيرها التي ضمنها في بحثه المعنون :"نحو أجرومية النص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، المنشور في مجلة فصول، المجلد العاشر، سنة 1991، والتي أعيد نشرها ضمن كتاب" في البلاغة العربية، – آفاق جديدة" سنة 2003. والجدير بالذكر في هذا الصدد أن سعد مصلوح أراد من خلال محاولته التطبيقية هذه إيجاد نحو نص عربي، ملائم يراعي بجزئياته النص العربي والثقافة العربية من جهة، و"إرساء منهج لساني في النقد الأدبي"، من جهة ثانية، حيث عمد على نهج يكون أكثر بعداً عن استخدام الآليات التي يتيحها الشق الغربي، وأقام تحليله على الوسائل التي تتيحها الثقافة العربية، وهي الغاية التي تمسك بها في كل أعماله، شأنه في ذلك شأن الكثيرين أمثال الدكتور تمام حسان ومحمد حماسة...، كما اعتمد سعد مصلوح في تحديد ملامح أجروميته في قراءة النص الشعري على

[1] –سعد مصلوح، في البلاغة والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 16.

المقاربة النصية، لما تكتنفه هذه المقاربة من آليات متنوعة تستند في أصولها إلى علوم مقاربة لغوية كعلم النحو والصرف والبلاغة والأسلوبيات والتداولية ، وأخرى غير لغوية كعلم التاريخ والمنطق والفلسفة...، تتضافر هذه الآليات وفق نسق تفاعلي في تحليل الترابط البنائي للقصيدة بغية تجسيد وحدته العضوية، متجاوزا في" دراستها الحديث المفصل فيها عن الأساس المنهجي المتبع والإنتماء العلمي الصادر عنه، مكتفياً بإشارات مختصرة إلى ضرورة اقتحام النحو العربي في نحو النص والاعتماد عليه في دراسة النصوص الأدبية، ومستغنياً بما يستنبطه القارئ من أدوات التحليل المستعملة والإجراءات المتبعة عملياً"[1]، مشيرا إلى أهمية هذه الدارسة من خلال" كونها محاولة أولى لامتحان جانب من الفروض والإجراءات ، التي تشكل ملامح فكرة أجرومية النص – text gram mar (= نحو النص = لسانيات النص text linguistics)، على النص العربي (في الشعر خاصة) [2]. ويذهب الباحث ايضا الى تعديد مختلف الصعوبات "التي يتصل بعضها بمفارقة المعالجة للمالوف والمتوقع، وبعضها بتطويع أجرومية النص بما هي إنجاز لسان معاصر لدراسة نص عربي أولا، وشعري ثانيا ، وجاهلي ثالثا . وهي صعوبات متراكبة بعضها فوق بعض، ويتصل بعض ثالث بضرورة إقامة نوع من الجسور الواصلة بين هذا النمط الوافد من التحليل والموروث النحوي"[3] ،

إن الاقتراب المنهجي من النص، يستلزم طريقين للولوج إلى عوالمه واستكشاف بنيته اللغوية أولهما:

إطار تنظيري: يقوم على عرض صياغة نظرية تستوجب تبيين الأسس النظرية والمقولات المنهجية ومختلف المصطلحات المستخدمة لفض ما يشوبها من تداخل وبغرض تحرير مدلولاتها، لتتخذ صورة مكتملة تمكن من بسط الإجراءات لمقاربة النصوص.

إطار اجرائي: (هو الأقرب عند المؤلف) قوامه التأمل والتبصّر في البناء اللغوي، والوسائل الفنية المستخدمة فيه، بعيدا عما هو خارج عنها، كسيرة الشاعر وحياته وغرض نشأتها أو مناسبة إلقائها، فالقصيدة عندما تبدأ في التشكل تنفصل عن كل هذا، وتبدأ في بنيتها اللغوية الفنية الخاصة، ومن هذا ينبغي أن يكثف الاعتماد على مادتها التي في متناول الدارس، وهي التراكيب اللغوية والأبنية النحوية الكامنة تحت سطح التراكيب، التي تعطي دلالتها بالتفاعل مع المفردات المستخدمة في هذا

[1] – عبد السلام السيد حامد، نحو عند الدكتور سعد مصلوح، ص535.

[2] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، ص 153.

[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

البناء"[1]،كل ذلك بغية إظهار مدى فاعلية التحليل اللغوي، في مقاربة النص الجاهلي وتتبع تمفصلاته، وقدرته التحليلية في تبيين مقاصده، ومن ثمة الحكم على كفاءته وجدواه، كما يمكن من خلال هذه المنهجية ان نصل الى التكامل بين الجانب النظري والتطبيقي، لشق الطريق للباحثين وحثهم على ارتياده،

تتخذ الدراسة من اختبار معياري السبك والحبك مجالا لها بوصفهما أكثر المعايير النصية أهمية السبك: هو"معيار يختص بالوسائل التي تحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص surface text"، ويجمع هذه الوسائل مصطلح علم وهو الاعتماد النحوي grammatical dependency ويتحقق الاعتماد بشبكة هرمية متداخلة تشمل كل الروابط[2]:

- الاعتماد في الجمل.
-الاعتماد في بين الجمل.
-الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة (أو ما في حكمها).
- الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات (أو ما في حكمها).
- الاعتماد في جملة النص.

والمقصود بالاعتماد النحوي عند سعد مصلوح هو المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتركيبية المختلفة.

-الحبك: ويختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص textual world، وهي مجموعة المفاهيم الدلالية، والعلاقات الرابطة التي يمكن أن تكون واضحة ويمكن أن تكون ضمنية، حيث تمثل فضاء لهذا الترابط والتماسك.

ويرى الباحث أن حركية العلاقات وارتباطها بالمفاهيم، من شأنها أن تفتح جسرا مع علوم مقاربة كعلم النفس المعرفي، للاستفادة من خبراته، ولا سيما موضوع الذاكرة بنوعيها القريب والبعيد وفضاء الذهن، و ما يسمى بالمخزون النشط، الذي يمكن استدعاؤه في كل مرة، هذا التواصل الذي يثري مجال أجرومية النص، ويتحقق هذ التلاحم وتتجلى مظاهره خلال اعتماد معياري السبك والحبك ، وعليه فان عالم النص " يتناول كل أشكال الأبنية ، وأنواع السياقات، ومستويات اللغة،

[1] – محمدحماسة التحليل النصي للقصيدة، سلسلة دراسات عربية، ج1، 1986، ص 64.

[2] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص154.

ودرجات الربط النحوي، والتماسك الدلالي(التماسك)، والنماذج الهيكلية المتنوعة، النظرية والتطبيقية، ويستوعب معارف ومعلومات من علوم أخرى تتداخل معه، ولها أهمية كبيرة في عملية إنتاج النصوص وفهمها وتفسيرها"[1].

ويجري مجال الاختبار الثاني على قصيدة جاهلية للمرقش الأصغر، وهو ربيعة بن سفيان بن مالك، بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب، ومن ضبيعة ينتسب كل من المرقش الاكبر، وطرفة بن العبد، وعمرو بن قميئة، وعمرو بن مرثد، وهي قصيدة مكونة من 20 بيتا، تحدث فيها الشاعر عن محبوبته "هند بنت عجلان".

1.3/ تقسيم القصيدة:

في كل خطاب شعري ، هناك تمفصلات تشكل جسد القصيدة وهي بمثابة لوحات الترقيم أو هي علامات شكلية تكون معينا للقارئ في رصد وتتبع حركتها وانتظامها، لينطلق بواسطتها في اكتشاف البنى الداخلية المشكلة لها، وهوما تفتقد إليه القصيدة الجاهلية التي جاءت على هيئة واحدة، مماجعلها عرضة لتهم الرتابة والجمود والافتقار إلى الوحدة العضوية، حيث نجدها " تفتقر إلى إعطاء القارئ مفاتيح أساسية يستطيع من خلالها أن يلج إلى القصيدة فيقرأها قراءة تضعها في سياقها الثقافي الذي نشأت فيه وعبرت عنه، إذ تظل تلك الدراسات جزئية، إمّا في قراءتها شعر شاعر بعينه، مستقلا عن غيره، أو في تركيزها على ظواهر شعرية محددة. الأمر الذي ينتهي إلى ضرب من المعمّيات المتفرقة، تُراح النفس غالبا من عناء قراءتها باتّهام الشاعر بالسذاجة الفنية"[2]، ويشير الباحث إلى أن هذه العلامات الشكلية ليست دائما ضمانا لتحقيق الاستمرارية في النص وانها تتحقق بمدى تعاضد المعايير السبعة ولا سيما معياري السبك والحبك مع بيان بعض الصفات البديعية المشتركة ، المعتمدة على فكرة مفاتيح النصsurface cues، "والتي يمكن رصد نقاط التحول داخل النص من خلالها، وهي في جوهرها علامات مادية تكون منطوقة أو مسموعة او مرئية، يناط بها الكشف عن هذه التحولات[3]، قصد الولوج إلى البنى النصية المشكلة للنص، ومن

[1] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والإتجاهات، ص 143.

[2] – عبد الله بن احمد الفيفي، مفاتيح القصيدة الجاهلية، نحو رؤية نقدية جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الاثار والميثولوجيا عالم الكتب الحديث،2014 ص01.

[3] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، ص 155.

هذه المفاتيح رصد تحولات الضمائر على سطح النص، وما يمكن أن ينتج عنها من تغيرات دلالية وقد قسم القصيدة وفق ذلك الى خمسة أقسام:

-**القسم الأول** (5/1) والملاحظ أنّ ضمير المتكلم"أنا" يفتتح النص، في حديثه عن رسوم ابنة عجان وأهلها، ونجد ذلك ممثلا في وأصبحت،احسبني، اريم، ما اصبرني...

-القسم الثاني (7/6) حديث مركّز بضمير الغائب عن بنت عجلان بضمير الغائب "هي" في كأن فاها، لا توقظ بالليل

- القسم الثالث (12/9) يتحدث الشاعر عن ذات نفسه بضمير المتكلم"أنا"، في أرقني، وليلة بتّها، لم أغتمض.

- القسم الرابع (13/15) يتحول الحديث عن النفس من ضمير التكلم إلى ضمير الخطاب "أنت"في تبكي على الدهر، هل تدري، تبدي ظنة...

-الخامس (20/16) بضمير الغائب "هو"رأيته، ماله، أثرت فيه، يغوله...

يشير الباحث إلى أن حركة تحولات الضمائر داخل النص الشعري دليل لرد المزاعم بافتقار القصيدة الجاهلية إلى الوحدة العضوية والعلاقات بين مفاهيم القصيدة، وهو دليل يمكن الاطمئنان إليه لتقسيم القصيدة على هذا النحو.

كل قسم من هذه الأقسام يشكل بنية صغرى (على مستوى ظاهر النص "معيار السبك" وعلى مستوى عالم النص"معيار الحبك") وكلا المستويين يشكلان البينة الكبرى، التي يمكن الكشف عنها على مستوى التلقي والإنتاج، ومن الملاحظ ان حركية القصيدة تستند في اغلبها الى مجموعة من الثنائيات المتقابلة كالمعية والشتات ودليل ذلك نجده في البيتين (5/4)، ثنائية الوجد والفقد في الأبيات الاخيرة، فحركة تحول الضمائر تقدم ضربا من الالتفات على مستوى النص والتي يمكن تسميتها " الالتفات النصي"[1]، والذي يغدو مظهرا يجسد لغويا من ظاهر النص علاقة التأرجح والتحول والصيرورة الدائمة التي تميز المفاهيم الفعالة في عالم النص[2]، وهو ما يقترح أبعادا يدركها المتلقى بالتفسير والتأويل،

[1] – جميل عبد المجيد حسين، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، مجلة عالم الفكر، عدد2، مج 32، 2003، ص 165

[2] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص156.

2.3/ السبك:

ومن أهم المفاتيح **التكرار**[1]، وهو ظاهرة لغوية ماثلة في كل اللغات وبخاصة اللغة العربية، اقتصرت كتب البلاغة والنحو العربي في دراسته على جوانب بلاغية وجمالية ، إلا أن لسانيات النص الحديثة كشفت عن أبعاد أخرى لم تكن بمنظور الأنحاء التقليدية وهي المساهمة في تحقيق الترابط والتماسك بين الجمل من خلال كونه عنصرا من عناصر السبك المعجمي، حيث يعتبر أظهر وسائل السبك وأدناها إلى الملاحظة المباشرة[2]، وهو إعادة الكلمة أو الكلمات مرة أخرى داخل النص نفسه يمثل دعما للربط الدلالي المعنوي أو المضموني، بوصفه ظاهرة نصية تضفي على النص الترابط الشكلي والدلالي على امتداد النص، محاولا من خلاله تأكيد نصية النص، واسكناه دلالاته المتعددة.

– التكرار المحض أو المباشر: وهو نمط تكريري يقصد به "تكرار الكلمة كما هي دون تغيير أي تكرار تام أو محض، ويشير هذا النمط حسب دي بوجراند وديسلر إلى وظيفة أخرى– فضلا عن السبك– يؤديها التكرار في النصوص الشعرية هي تجسيد المعنى"[3] ،وللتكرار علاقة مع النحو العربي من خلال كونه صيغة من صيغ التوكيد، وينقسم الى:

– **تكرار محض مع وحدة المرجع (المسمى واحد)**: وهو ما نجده في تكرار اسم "ابنة عجلان"و " الدهر" حيث يشكل الأول البؤرة التي تتحرك حولها الصور، وهذا النوع من التكرار يحقق السبك الرصفي والدلالي معا، ونجده في الأبيات الخمسة الأولى من البحر البسيط:

1/لابنة عجلان بالجو رسوم *** لم يتعفين، والعهـــد قديم

2/ لابنة عجلان، إذ نحن معا *** (و أي حال من الدهر تدوم ؟)

5/ با ابنة عجلان، ما أصـــبرني على*** خطوب كئحت بالقــدوم

ويتبين من خلال تكرار لاسم " ابنة عجلان " في هذه الأبيات أنه يحيل إلى مرجع واحد، وهو تكرار مقصود لاسم محبوبته ، التي تشكل محور اهتمامه، ومركز انفعالاته، ومحور القول أو جهة

---

[1] – اختصت ظاهرة" التكرار" بعناية كبيرة في لسانيات النص، حيث تمت معالجتها ضمن" إطار لساني" بحت، مكنها من توسيع دائرة معالجتها إلى ما هو أوسع من الجملة، لتصل إلى أقاليم النصوص على اختلافها، إضافة إلى توسيع بحثها إلى اربعة مستويات عكس ما كان في أول الأمر من انحصارها في مستويين فقط، وذلك باعتبار الغاية الوصفية التشخيصية، التي تتبناها اللسانيات النصية، ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص75-76.

[2] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية ص156.

[3] – جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 80.

الشعر بمصطلح القرطاجني، وهذا النمط التكريري ذو فعالية كبيرة في منح النص الشعري بنيته المتماسكة، من تعدد دلالاته يتعدد المواقف وتنوعها، حيث نجده يختفي على طول القصيدة ليعاود الظهور من جديد في آخرها، وهو بلا شك تباعد يتم على نسق ثابت ومنتظم، ليتم السبك و تتجسد الاستمرارية، ليفسر حالة الارتباط العاطفي والشعوري بينه وبين محبوبته التي عزّ لقاؤها، ولعل حركية الضمائر التي تبدوا متصلة في جسد القصيدة تحيلنا إلى أسلوب الالتفات البلاغي، بوصفه انحراف بالنسق الكلامي على مستوى الضمائر بين الحضور والغيبة، وعلى مستوى زمن الأفعال بين الماضي والحاضر والمستقبل، والذي تتجسد مظاهره في افتتاح الشاعر للقصيدة بصيغة المتكلم "أنا" ليعود الى كسر السياق بالانتقال إلى الصيغة الغيبة"هي" ومن ثم الرجوع إلى صيغة المتكلم مرة أخرى "أنا"، ثم يعدل إلى صيغة سياق الخطاب، ومن ثمة الرجوع إلى سياق الغيبة من جديد .

ونجده أيضا تكرار محض للمفهوم الثاني وهو " الدهر" في:

2/لابنة عجلان إذ نحن معا وأي حال من الدهر تدوم؟

3/أضحت قفارا وقد كان بها في سالف الدهر ارباب الهجوم

13/تبكي على الدهر، والدهر الذي أبكاك، فالدمع كالشن هزيم

16/كم من أخي ثروة رأيته حل على ماله دهر غشوم.

إنّ تكرار كلمة الدهر بوصفها تجسد المحور الذي تتحرك في فضائه القصيدة حيث يرتبط الحزن والفقد بوحشية المكان، وكذلك احساسه بسطوة الدهر على رغباته وصراعه الدائم معه، ومعاناته من تقلباته وتغيراته، ليدخل في علاقة أشبه بالعلاقة الثلاثية بين "الفاعل والقابل والأثر"، وهي المفاهيم الجامعة للنحو العربي، ويراد بالفاعل العامل، والقابل المعمول، أما الأثر فيراد به الأثر الإعرابي في آخر الكلمات، والتي هي أساس النظرية النحوية للسكاكي، والتي تحكم كل المفاهيم التي تساهم في تشكيل فضاء القصيدة.

- "الفاعل"هو الدهر
-"القابل" ابنة عجلان، والليل، والرسوم والإنسان....
-"الأثر "والعفاء والإقفار، والسُّهد وتبدل الأحوال....

بيد أن من هذا القابل" ما هو "فاعل" بغيره كما ذكرنا، ومثاله هنا المحبوبة والليل، ولا يكلفنا الأمر كبير عناء في إقامة الدليل على هيمنة مفهوم" الدهر "الفاعل على طرفي الثلاثية الآخَرَيْن"[1]

ثانيا التكرار مع اختلاف المرجع (المسمى متعدد): والمقصودبه لفظ واحد والمعنى متغير، ويمكن توضيحه من خلال كلمة" حميم "التي وردت في البيت البيت السابع بمعنى "الماء الحار"

7/وفي كلِّ مُمْسىً لها مِقطرة *** فيها كِبـاء مُعَدٌّ وحميم

وردت في البيت التاسع بمعنى آخر وهو "القريب، الصديق، الصاحب...." الذي يشاركه همومه، مما يفسر تعدد المسمى واختلاف المرجع

9/ أرّقني الليل بَرق ناصـــب *** ولم يُعني على ذلك حميم

التكرار الجزئي (الاشتقاقي): partial reccurence وهو وسيلة من وسائل السبك المعجمي ويقصد به "تكرار عنصر سبق استخدامه،ولكن في أشكال وفئات مختلفة"[2]،مما يتيح تكاثر الالفاظ وكثافتها من خلال جذر الكلمة المكرر، وتحقيق نصية النص واستمراريته.

11/9 ارقني الليل، وليلة بتها

11/10أشعرني الهم؛ كررتها ... الهموم

13- تبكى على الدهر .. أبكاك

14 لمت في حبها، فيم تلوم

17/16 أخي ثروة، أخو نعمة

19 ذي منعة وذو شقة

19/18 - بينا ؛ بينما

20غاثل يغوله.

ومما يلاحظ بشكل لافت تركز التكرار الجزئي في الأبيات الأخيرة دون غيرها ومن ثمة يبدو سبكا معجميا محدودا ،بينما يمتد التكرار المحض عبر النص كله، وذلك لسيطرة المفاهيم المركزية وتحكمها في مفاصل النص مما يجعله بنية متسقة ومتماسكة، "ويغلب على التكرار المحض أن يكون وسيلة السبك والحبك في آن معا ؛ أي أن يكون فاعلا في ظاهر النص وفي عالم النص، أما التكرار

[1] - عبد السلام السيد حامدنحو النص عند سعد مصلوح، ص536.

[2]- سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص158.

الجزئي فيفعل فعله في الظاهر أصالة، وفي عالم النص بالتبعية، كما أن فعله في النص أقرب إلى التجمع منه إلى الانتشار[1].

شبه التكرار: اشار سعد مصلوح إلى أنه أقرب الى التوهم حيث تفتقد عناصره التكرار المحض، كما تفقد في الوقت نفسه العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق ،أو تغير صرفيمات الاعراب، ويتحقق على مستوى الشكل الصوتي، ليصنع نوعا من التماسك، وهو تكرار بعض الوحدات الصوتية، ويكون هذا النوع من التكرار على مستوى الصوت فقط، ولا وجود لعلاقة في المعنى، وهو نوع يؤدي لفت انتباه القارئ ويزيد في تماسك بنية النص واتساقه، وهو أقرب إلى الجناس المحرف عند السكاكي "بأنواعه الناقص والمذيل، المضارع والأحق وتجنيس القلب، وهو ما اتفق ركناه، أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في الحركات فقط سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك، فإن القصد اختلاف الحركات[2] أو اختلاف في هيئات فقط ومن أمثلته :

4/ 5اصبحت، اصبرني

13/6الدن، الشن

18/17منعة، نعمة

19/18شقوة، شقة

وكذلك المراد من الألفاظ فاختلاف الحركات وحده من يحدد الجناس المحرف، ومن هذا" المنظور النصي يكتسب الجناس التام (في التكرار المحض) والجناس المحرف بأنواعه (في شبه التكرار) بعدا خطيرا في تأسيس نصية النص، حين تجاوز حدوده أسوار الجملة أو الشاهد أو المثال – إذ لا يعتد به جناسا عند البلاغيين إلا إذا وقع في هذه الحدود – إلى النظر إليه في النص بما هو واحد من تجليات السبك الذي هو معيار من معايير النصية".[3]

التوازي:

يتعرض الباحث الى استقصاء بنية النص، واظهار تماسكه الداخلي من خلال استظهار خاصية التوازي ووظيفتها الشعرية، من حيث هو "مركب ثنائي التكوين، أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر – بدوره – يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه، نعني أنها ليست تطابقا

[1] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص158.

[2] – عبد العزيز عتيق في البلاغة العربية، دار النهضة العربي، بيروت لبنان، ص208.

[3] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص 159.

كاملا ولا تباينا مطلقا، من ثم فإن هذا الطرف الآخر يحظى من الملامح العامة بما يميزه الإدراك من الطرف الأول، ولأنهما – في نهاية الأمر – طرفا معادلة وليسا متطابقين تماما، فإننا نعود ونكافئ بينها على نحو ما، بل نحاكم أولهما بمنطق خصائص وسلوك ثانيهما[1]، ويكاد يجمع الباحثون على انه "التشابه الذي هو عبارة على تكرار بنيوي، في بيت شعري أو مجموعة أبيات شعرية"[2]، وتتجلى مظاهر التوازي في :

كأنّ فاها عُقارٌ قَرْقَفٌ نَشّ مِنَ الدنّ، فالكأسُ رَذومْ

تبكي على الدهر، والدهرُ الذي أبكاك، فالدمع كالشنّ هزيمْ

والملاحظ إقامة شبه التوازي الخفي بين البنيتين الخاتمتين فالكأسُ رَذومْ والشنّ هزيمْ، وهو النوع من التوازي "يشمل أصوات الكلمات، وصيغها الصرفية، والايقاع والوزن، ويراد به الاشتراك في صوتين فأكثر مع الأخذ بعين الاعتبار القرب في المخارج الصوتية، أو تشابهها في شكل من الكتابة"[3]، يذكر الباحث على تعاضد التوازي بالحذف من خلال كونهما وسيلتين من وسائل السبك، وبهذا يبدو لنا أن التكرار لايقتصر دوره على ظاهر النص فقط، بل يتعداه للتأثير في الحبك وحركة مفاهيم القصيدة، اضافة الى روابط مهمة لا تقل أهمية كروابط الوصل والفصل' والاستبدال.

يشير جميل عبد المجيد الى لفتة في غاية الأهمية أن مثل هذا التحليل للسبك يكشف عن وعي التواشج بين مفهومي السبك والحبك فالدراسة التي عالجت سطح النص عالجت في الوقت نفسه عالم النص، حيث استهدت بسطح النص إلى عالمه، وربما لهذا اقتصرت الدراسة حين انتقلت إلى المحور الثالث " الحبك" على أمرين منطق التداعي وأزمنة النص"[4].

3.3/ الحبك:

استهل الباحث في معرض حديثه عن الوزن والإيقاع في القصيدة، معتمدا على المنهج الإحصائي كمؤشر كمّي على تواتر بعض الظواهر الايقاعية والنغمية، والهدف من ذلك رد المزاعم التي تثار حول الرتابة وجمود القالب في الشعر الجاهلي أو إلى افتقارها للوحدة العضوية، زمن خلال التقطيع العروضي للأبيات يظهر انها من "البحر البسيط" الذي تؤلف حركاته وسكناته التفعيلات:

[1] – يورى لوتمان تحليل الخطاب الشعري بنية القصيدة، ترجمة محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة،1995، ص 129.

[2] – محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، ص97.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، 104.

[4] – جميل عبد المجيد حسين، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، عالم الفكر، عدد2، 2003، ص 167.

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ***مستفعلن فاعلن مستفعلن وفاعلن

اشكال الزحاف الداخلة عليه هي: الخبن والطي والخبل: فالتفعيلة (مستفعلن) يدخلها الخبن فتصير (متفعلن)، والطي فتصير (متفعلن)، والخبل فتصير (متعلن)

التفعيلة	الخبن	الطيّ	الخبل
مستفعلن	إسقاط الثاني الساكن "متفعلن"	إسقاط الرابع الساكن "مستعلن"	زحاف مركّب من الخبن والطيّ أي ما ذهب ثانيه ورابعه الساكنان "متعلن"

وأما فاعلن يدخلها الخبن فتصير فعلن،والقطع فتصير فاعل، كما يشير إلى أن الوزن العروضي الذي جاءت عليه القصيدة –هو إحدى صور مجزوء البسيط –والذي يعتبر الأقل ورودا في الشعر العربي المقارنة مع التام، وهو ما نقص عن التام بالتفعيلة الأخيرة من كل شطر، وجاء على شكل ضرب مذيل عروضه صحيحة، و(التذييل) في العروض هو ما زِيدَ على وتِد من آخر البيت حرفان، أي زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع، نحو الزيادة في تفعيلة"مستفعلن" فتصير "مستفعلنن" فينقل إلى "مستفعلان"، أما فاعلن لايلحقها الخبن في المجزوء ،وهذا ما أتاح صوراً كثيرة من التغييرات التي كسرت رتابة النغم .والنمط العام الذي جاءت عليه القصيدة[1].

ضمن الباحث جدولا رصد فيه أهم التنوعات والصور والتشكيلات النغمية، وخاصة في المقطع الأخير الذي يشكل ذروة التحولات المأسوية في النص تُبدي فيه صور النغم قدراً واضحاً من التنوع بتردد واضح لبعض التحققات واختفاء بعضها الآخر، بل يكسر الوزن بالتحول إلى تفعيلة من الكامل، وبهذا تبعد الشقّة –في رأي سعد مصلوح –بين ثابت الوزن ومتغير الإيقاع، ويعدّ الخروج في هذه التفعيلة أكبر دليل على ذلك "[2]، هذا التتابع والتنوع في صور القصيدة، يصفه كمال ابو ديب بأنه سمة جوهرية فيها، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة انعدام الوحدة او التفتت البنيوي، فقد تنطوي القصيدة على وحدة داخلية قادرة على نقل رؤيا الشاعر"، اعادة دراسة القصيدة في الشعر الجاهلي من خلال وسائل التماسك، وذلك لايجاد هذا الترابط المفهومي الملحوظ ، أو

[1] – عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ص545.

[2] – المرجع نفسه، ص546.

حتى بعض وسائل الربط الرصفي الذي ينتج عنه القول بوجود وحدة عضوية كاملة"[1]، أي باستثمار المنجزات العلمية في الميادين المختلفة المتصلة بالنص، للوصول إلى مختلف العلاقات التي تحقق التماسك والانسجام، وهوما يضمن إعادة النظر إلى النص الجاهلي من زوايا متعددة، وأشد عمقا من تناول السطح الخارجي .

4.3/ منطق التداعي:

يشير الباحث ضمن هذا الإطار الذي يشكل من وجهة نظره الحاكم الرئيسي الموجّه لكل الانتقالات عبر وجوهها المختلفة، فالأبيات الخمسة الأولى المتضمنة لمفاهيم عديدة كمحبوبة الرسوم، الشاعر، الدهر، الأثر، هي المفاهيم الفاعلة في كامل النص، وهذا ما يجعل الأبيات الخمسة الأولى محركا مركزيا لبقية الاجراء والتي تكون بمثابة تجليات وانبثاقات له، ولذلك نجد ان ذكر" ابنة عجلان" مثلا في نهاية المحور الأول جاء بمثابة شرارة الارتداد الى الباطن في لحظة لا تقاس بالزمن، فبرزت لتكون مناط الفعل والانفعال في كامل انحاء القصيدة، أما لحظة الارتداد الى الظاهر فنجدها بشكل مفاجئ في وصف الشاعر لها، "فهي الفتاة المنعمة، التي تستغني بدفء الفراش عن اصطلاء النار ليلا، وهي لا توقظ للزاد مخافة حرمان، ولا لصنعه لأنها مكتفية عنه به، فارغة البال بعيدة عن الشواغل، طويلة النوم، ومن هنا نستطيع القول بمركزية هذا المفهوم فهو المنتج والنصب وطول الليل والجفن القريح، في القسم الثالث ولحديث الأرق لحديث البكاء على الدهر في البيت الرابع،" وهكذا يبدو منطق التداعي في النفس صادقا ومفهوما على نحو يشكل حركة المفاهيم في عالم النص"[2].

وكذلك مفهوم الدهر هذا الفاعل المتصرف الذي شكل مجموعة من التحوّلات في القصيدة، حيث ورد بعدة صور وهيئات، إضافة إلى سلسلة التحولات التي تلتحق بالشاعر الذي نجده يستأنس بالمعية، ثم الوحدة، ليصل إلى الخلاص في الأخير، ونستطيع القول أنها تداع مفعم بالدلالة له ما يبرره عبر حركة التحولات والانتقالات التي شكلت ظاهر وعالم.

5.3/ أزمنة النص

في سياق حديثه عن الزمن أشار الى عناصر منظومة الزمن وهي الزمن الموضوعي، والزمن الذاتي والزمن النحوي.

---

[1]– أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في النحو النصي، ص42.

[2] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص 161.

فالزمن الموضوعي"الطبيعي" هو الحقيقي الواقعي الماثل في حركة الكون، القابل للقياس والقسمة إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل وهو المحكوم بتعاقب مظاهر الطبيعة،ودوران الليل والنهار والأشهر والفصول والسنة، يتحقق قياسه بفعل التغيرات التي يخلفها على الكون والطبيعة والإنسان، وعلى هذا الأساس هو "مظهر وهمي يُزمن الأحياء والأشياء فتتأثر بمضيه الوهمي، غير المرئي، غير المحسوس، والزمن كالأكسيجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا، وفي كل مكان من حركاتنا، غير أننا لا نحس به، ولا نستطيع أن نلمسه، ولا نراه، ولا نسمع حركته الوهمية على كل حال، ولا أن نشم رائحته إذ لا رائحة له.وإنما نتوهم، أو نتحقق، أننا نراه في غيرنا مجسّدا في شيب الإنسان وتجاعيد وجهه، وفي سقوط شعره وتساقط أسنانه، وفي تقوس ظهره، واتّباس جلده..."[1]، والزمن الذاتي"النفسي "هو الزمن الخاص بكل فرد ولا يخضع للقياس والقسمة، ويتسم بزوال الفواصل وبحرّية لا تحدها حدود وهو نقيض الزمن الموضوعي ، واشد علقة بالنفس الانسانية ، المنشئة له، والتي تكون مقياسه من خلال مختلف الأحاسيس والمشاعر التي تختلج بها هذه النفس دون غيرها والزمن النحوي هو الماضي والحال والاستقبال، ويمكن المقارنة والربط بين هذه العناصر والتي تكلم عنها محمود شاكر ،حيث قسم الزمن في القصيدة إلى ثلاثة أزمنة وهي: زمن الحدث، وزمن التغني، وزمن النفس ولكل منها وظيفتهُ: فزمن الحدث[2] هو زمن سريع منقض لا يقوم بذاته. فإذا بلغ «زمن الحدث» تمامه، فعندئذ ينشأ زمن آخر، يحتوي «زمن الحدث» بجميع آثاره، ويهم بإعداده للإفضاء والبوح، ويوشك أن يحدد طبيعة أدائه، وطبيعة نغم التغني به، أي بحر القصيد، وحركة هذا الزمن مفروضة على الشاعر من الداخل، وأما زمن النفس فهو زمن خفي، شديد التعقيد، متطاول وممتد، يكمن في نفس الشاعر، يحوز على آثار الأزمنة الأخرى بفضل ذاكرته المختلفة، وهو الموطن الذي تنشأ فيه "وحدة القصيدة" على معناها الصحيح، سواء اقتصرت على معنى واحد متعانق متشابك متصل، أو اشتملت على معان متعددة، تمت بينها ضروب من الالتحام والتداخل تخفى حيناً أشد الخفاء، وتظهر حيناً ظهوراً لا يحتاج إلى بيان من الناقد والمتذوق، تيسر لهما بالخبرة وحسن الإدراك ونفاذ البصيرة" [3]،أما زمن التغني وهو "زمن منقض أيضا، سريع الخطف، ولكنه عميق الأثر في النفس وفي

[1] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، 1998، ص173-172.

[2] أبو فهر محمود محمد شاكر، نمط صعب ونمط مخيف، منشورات مطبعة المدني بمصر ودار المدني بجدة، ط1، 1996م، ص301.

[3]– المرجع نفسه، ص 302.

الغناء"[1]، والذي قال عنه سعد مصلوح بأنه يمكن أن " يكون مقولة وسطا بين زمن الحدث وزمن النفس إذ هو زمن البوح والافصاح واخراج التشكل النصي من حيز القوة إلى حيز الفعل"[2]،

يشكل الزمن الموضوعي في القصيدة غاية من البساطة، حيث يندرج في طورين ماضي وحال الماضي فيتشكل من أحداث ثلاثة: حدث المعية (إذ نحن معا)، وحدث التحول (أضحت قفارة ...) وحدث الشتات (بادوا..)، وأن هذه الأحداث تقع على متصل خطي مستقيم تحكمه علاقة التعاقب، أما الحال فيتشكل من حدث التذكر (كان فاها ...، الأرق ، الخيال ، الهموم) ، وحدث التحسير (الدهر الذي أبكى ، الدمع الذي كالشن)، وحدث التسلية (نعمة ذهبت ، تحولت شفوة إلى نعيم)، وارتقاب الخلاص (للفتي غائل يغوله) . وتختلف العلاقات الزمنية بين أحداث طور الحال عن أحداث طور الماضي في أنها تقع على متصل دائري مغلق ، مركزه لحظة الآن[3] والملاحظ ان"الرسوم" تعتبر المركز الذي تتجاذبه كل الازمنة (الماضي والحاضر)هذه المحرورية التي اتصفت بها مكنتها من الارتباط بخاصية الاستدعاء الدائم، وتنشيط مختلف المفاهيم والعلاقات وذلك رغم ورودها القليل في ظاهر النص.

الزمن الذاتي: هو في حقيقته لحظة آنية، مرتبطة بالمكان (الرسوم)، وهو زمن خاص ولا يخضع للقياس كالزمن الموضوعي، والعلاقات الزمنية تكون على شكل متصل دائري مغلق، يسلم بعضها الى بعض، وعليه فتشكل اللحظة الآنية (زمانا) والرسوم (مكانا) وهما معا يشكلان مركز الحركة زمن للاحداث كلها[4]، ينعكس التدافع بين الزمنين الموضوعي والذاتي على زمن اللغة، الذي يقصر زمن النحو على تصويره، وتأمل هذه الدائرة يكشف مدى إحكام النسيج اللغوي لظاهر النص، وصلة ما بين ذلك وباطنه ومفاهيمه، ويدرك القارئ من خلال ذلك فرق ما بين الزمن الذاتي والموضوعي، واصلا في النهاية إلى إدراك معياري السبك والحبك، بوصفهما أهم معايير النصية في النص الشعري[5].

يمكن أن نلاحظ من خلال هذا التحليل ان الباحث اعتمد في تحليله النصى على مدارسة معيارين من المعايير النصية وهم " السبك والحبك، وقد كان موفقا الى حد كبير في ابراز علاقات الترابط

---

[1] – أبو فهر محمود محمد شاكر، نمط صعب ونمط مخيف، ص 302.

[2] – سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، ص 162.

[3] – المصدر نفسه ص 263.

[4]– المصدر نفسه، ص162.

[5] – عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ص 536.

والتماسك في القصيدة، وأنّ دراسته"لم تقم اعتبارا أو توظيفا لأي من عناصر السياق الثقافي والاجتماعي والأعراف الأدبية في العصر الجاهلي (عصر القصيدة)، حيث انحصرت الدراسة – أو كادت – داخل النص، مما جعلها مطبوعة بطابع بنيوي إلى حد كبير، فإنها على الرغم من ذلك أثبتت كفاءة السبك والحبك بوصفهما معيارين من معايير النصية، كما فتحت الدراسة أفقا جديدا مفيدا متمثلا في: إعادة النظر في النصوص الشعرية القديمة والظواهر البلاغية من منظور نصي"[1]

يحيل هذا القول إلى تحديدين بحسب الدكتور عبد السلام حامد هما[2]:

الأول :عدم توظيف عناصر المقام بشكل عام.

الثاني: غلبة الطابع البنيوي، وأول الجانبين مرده إلى المستوى التداولي الذي هو أحد المستويات الثلاثة المتكاملة للتحليل في لسانيات النص، والاثنان الآخران هما :المستوى النحوي والمستوى الدلالي، كما يرجع سبب هذا القصور في تناول هذا المستوى في تحليل ذلك إلى ضيق السياق هنا وشح المعلومات التي تتعلق به، إضافة إلى وصف الدراسة بأنه يغلب عليها الطابع البنيوي، وإن كان الباحث قد نفى أي ارتباط له بالبنيوية.

وعصارة القول إنّ الفهم الحق لشروط إحياء العربية وعلومها والرفع من قيمتها هو الانطلاق من معرفة حقيقية بالنحو العربي ومنطلقاته المعرفية وإدارك أطره وحدوده، إلى رحاب اللسانيات النصية المعاصرة بوصفها الأقدر على منحنا الوسائل المنهجية والأدوات الإجرائية التي تمكننا من الوصول إلى كنه هذه العلاقة وتفسيرها وتحريرها، وهو الأمر الذي سعى فيه ومكنه من تصوير وتحرير العلاقة بين النحو العربي ونحو النص بطريقة متوازنة، مبتدئاً بنقد النحو بعد فهمه ومعرفته معرفة عميقة ومتبصرة، تمكن من خلالها تشخيص الداء وتوصيف الدواء، ثم الدعوة إلى ضرورة افلات النحو العربي ومن أغلال نحو الجملة والإنطلاق به إلى اللسانيات النصية، بعد ان حدد ماهيتها، و وبيّن اطارها النظري في الثقافة العربية، وتمكن من صياغة العلاقة الملاءمة لكلا النمطين الموصوفة بطابع تدرجي ينتهي إلى التطبيق الذي كشف من خلاله صحة مقاربته التي كان له فضل السبق في لفت الأنظار إليها، إضافة إلى ما كشفه من عميق بصيرته ووقدرته على التحكم في ممارساته النقدية والإبداعية، التي أدت إلى استحداث منهج خاص لتحليل على القصيدة الجاهلية يستمد عمقه من

[1] – جميل عبد المجيد حسين، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، ص 168.

[2] – ينظر: عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ص548.

الثراث ويرنو إلى متطلبات الحداثة، بأدوات ووسائل مستقاة من عمق الثقافة العربية، مُبيّنا من خلالها دور الوسائل الإجرائية التي يتيحها نحو لنص في بيان الوحدة العضوية للقصيدة الجاهلية وقدرتها في إبراز وحدة القصيدة من خلال ترابطها الرصفي والدلالي(تفاعل عضوي)، قائم على مدارسة العلاقات المشكلة لحركة المفاهيم السابحة في سطح النص وعالمه، فمتانة السبك، أضفت على القصيدة تماسكا على المستوى الخارجي كما منحت شدة التلاحم خيالاً عضويا ساهم في النمو العضوي الكلي للقصيدة، مخالفا لنظرة النقاد في أحكامهم حول تفكك القصيدة الجاهلية وانفصام عراها وقيامها على البيت الواحد، وصولا إنّ مدارسة وسائل وآليات التحليل النص كفيل لإبراز الوحدة العضوية الكلية للقصيدة العربية.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: تشكلات المراجعة التقويمية في البحث اللساني النصي عند سعد مصلوح

تمهيد:

تعد المراجعات التقويمية للمنجز اللساني النصي قطب الرحى في جهود وأعمال سعد مصلوح، والتي سعى من خلالها إلى تصحيح المسار وتجاوز الإشكالات في هذا المجال المعرفي، من خلال محاولة إستظهار الدرر الكامنة خلف الصياغات وبين الأفكار، وذلك باستحداث آليات وتقنيات تنطلق من أسس علمية وموضوعية للنهوض بالبحث اللساني العربي، كما تعتبر "أحد الجوانب التي أسهمت بشكل كبير في تقدم المعرفة اللسانية في الغرب، إذ أضحى هذا التقليد العلمي راسخا يبُثّ الحياة في شرايين المعرفة ويغذيها باستمرار، لأن المراجعة التقويمية هي لقاح الفكر وخميرة البحث، فالمتصفح للدوريات الأجنبية المتخصصة يلاحظ أن مراجعات الكتب تحتل في كل عدد منها جزءا كبيرا، ربما يقارب النصف، ولهذه المراجعات فوائد جمة من أهمها ان يطّلع المتخصص على الجديد في حقله، ويرى ما إذا كان الكتاب المراجع يضيف شيئا إلى الحقل أم لا، وكثيرا ما نجد قسوة في بعض تلك المراجعات إذا حاد الكتاب المراجع عن المثل التي يسعى إليها المتخصصون"[1]، وفي هذا السياق يمكننا القول أن للمراجعات فوائد جمة كإثراء المعرفة وتبيين القيمة العلمية للمنتجات المعرفية وخاصة في الوقت الحالي، الذي كثرت فيه علميات النشر، ومن الدراسات الجادة في هذا الموضوع ما نجده عند "الدكتور سعد مصلوح "من أعمال جليلة تصب في ميدان "النقد اللغوي المؤسس على مرجعية لسانية، وقد تجسد ذلك في معظم كتبه سواء المترجم منها على" غرار اتجاهات النقد اللساني "و"النقد اللساني "و"الأسلوب : دراسة لغوية أسلوبية " والنص الأدبي :دراسات لغوية إحصائية "و"وفي البلاغة العربية والأسلوبيات المعاصرة" و "في اللسانيات العربية المعاصر"، وكل ذلك من أجل استجلاء القيمة المعرفية للمراجعات النقدية عند سعد مصلوح، ودورها في إرساء دعائم نحو النص، وذلك من خلال مراجعته النقدية التحليلية لكتاب تمام حسان"اللغة العربية :معناها ومبناها"، هذه المراجعات التي تنقسم عند سعد مصلوح إلى قسمين[2] :

_ مراجعات نقدية تقويمية عامة:

ومنها قراءته النقدية التشخيصية العامة التي تطرقت إلى واقع اللسانيات المعاصرة، والتي ضمنها كتابه "اللسانيات العربية المعاصرة وحصاد الخمسين"، حيث أفضى تشخيصه إلى أن اللسانيات

[1] – حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر، كتابات سعد مصلوح أنموذجا، ص 938.

[2] – ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر، كتابات سعد مصلوح أنموذجا، ص"940/939

العربية المعاصرة لم تستطع أن تحقق لها ما كان معقودا عليها من آمال"[1]،وبحثه المنشور في مجلة فصول، 1991 بعنوان:"اللسانيات العربية وقراءة النص الأدبي-قول في"نقد الذات"و"مكاشفة الآخر،وهي دراسة نقدية شارحة لواقع الدرس اللساني العربي كما تدرس العلاقة بين التراث والحداثة

– مراجعات نقدية تقويمية عامة:

وهي مراجعات ركزت على نحو محدد خصه الدارس بالنقد والتقويم، ،كمراجعاته الأسلوبية الصوتية والصرفية والمعجمية والمصطلحية ، وأخرى استهدفت أعمال لسانيين آخرين من خلال مؤلفات محددة، كمراجعته لكتاب " محي الدين رمضان "في الصوتيات العربية العربية،"، وقراءته النقدية لكتاب رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للأستاذ محمود شاكر، "ومراجعته النقدية التحليلية لكتاب تمام حسان"اللغة العربية :معناها ومبناها"[2]، تحت عنوان المذهب النحوي عند تمام حسان، اضافة إلى مراجعة القضايا التي تناولتها المحاضرة التي ألقاها تمام حسان " نحو الجملة ونحو النص" بالنادي الأدبي بجدة، وهو نوع من المرجعات يدرجه الدكتور حافظ إسماعيلي علوي تحت عنوان" مراجعات في نحو الجملة ونحو النص"، وهي المراجعة الأخيرة تصب في صميم عملنا هذا والتي نتغيًّا من خلالها بيان حدود النقد اللساني عند سعد مصلوح من خلال إظهار معالم التقويم وآلياته وقيمته المعرفية، ومدى ملائمة هذا الجهد من زاوية ما تقتضيه المقاربة اللسانية النصية وعلاقتها باللغة العربية وعلومها، واستجلاء الجوهر العلمي والمعرفي الذي يفرزه هذا الجدال والتناظر العلمي بين أهم رائدين من رواد لسانيات النص في العالم العربي وهما تمام حسان وسعد مصلوح.

يولي الباحث أهمية كبيرة لهذا النوع من المراجعات فيقول: " وكنت منذ سن الطلب الأول شديد الحفاية بتتبع الدوريات المتخصصة في اللسانين الإنجليزي والروسي، وراعني ما كانت تحظى به مراجعات الكتب من فائق العناية، إذ يسهم فيها الراسخون في كل بابة من بابات هذا العلم الشريف وكنت أجد أثر ذلك حميدا فيما أعقل من فكر ، وما أقوم عليه من عمل، وأعزو إلى ذلك سرّ الحيوية والعنفوان فيما يكتبون وينقدون" [3]، ينطلق الباحث من خلفية كبرى مفادها ولعه الشديد بمثل هذه المراجعات التقويمية مبرزا الفائدة المعرفية التي تخلفها من ثراء للجانب العلمي وخلق للحيوية

[1] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، ص 19.

[2] – حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر كتابات سعد مصلوح أنموذجا، ص 940.

[3] – سعد مصلوح :في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص11 .

والديناميكية التي تفتح آفاق عريضة ومضان لم تكن لتكشف، هذه الأهمية التي ترفع النقد لتجعله حقا مكفولا للقارئ في الرد وإبداء وجهة النظر، وذلك من وجهة العلاقة القائمة بين الكاتب والمتلقي حيث يقول " ومن حق المؤلف علينا – نحن قراء العربية الذين قصد إليهم بكتابه– أن نحفل بالكتاب وما حوى من قضايا، ومن حقنا أيضا أن يكون لنا في كل ذلك وجهة نظر"[1]، وفرضا "من فروض الأعيان القاضية بعدم كتمان العلم أن يدلي أهله دلاءهم بالجدل المنتج والمراجعة لما تتداوله السوق البحثية من مصنفات"[2]، ليتوصل إلى نتيجة نهائية مفادها أن " ما من قول معروض على أهل العلم والإختصاص، وما من قول لسان بشر أو قلم كتاب إلا وهو مناط للنقد، ومظنة للأخذ والترك"[3]، وقد انتظمت هذه المراجعة النقدية في خمسة مطالب هي :

1- في نقد النحو

2- في نحو الجملة

– موائز ما بين الصيغة التراثية والصيغة المقترحة

– أمن اللبس: غاية الاستعمال وقوام النظام

– المكون البلاغي في نظرية نحو الجملة

3 – في نحو النص

– ما يستقل به نحو الجملة دون نحو النص

– ما يشترك فيه النمطان كلاهما

– ما يستقل به نحو النص دون نحو الجملة

– مكان أمن اللبس من نحو النص

4- في مسائل المطالبة:

– نقد النحو من منظور نصي

[1] سعد مصلوح، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، لعبد الصبور شاهين، نقد وتقويم 94-95.

[2] سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، ص11.

[3] سعد مصلوح، في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص86.

- تقويم نحو الجملة في الصيغة المقترحة

- الدرس النحوي من ضيق الجملة إلى سعة النص

5- في مسائل الخلاف

- أي معنى وأي نص

- حول المعايير النصية

-من أمن اللبس الى قصد التلبيس

- حول المكون البلاغي في نحو النص

هذه المطالب الخمسة التي تمثل هيكل المراجعة النقدية لكتاب تمام حسان والتي جعل مطالبها الثلاثة الأولى لعرض الآراء النحوية عند الاستاذ تمام حسان، وتطرق في المطلب الأول إلى لنقده للنحو في صورته القديمة، أما الثاني فقد تناول فيه الخصائص المتفردة في الكتاب المذكور، والرابع في بيان نحو النص عنده، أما الخامس فقد تولى مسائل التي طابق فيها الباحث أستاذه تمام حسان، أما المطلب الخامس والأخير فقد كان أهمها على الإطلاق حيث بين فيه الباحث مسائل الخلاف بينهما.

3/ السمات المنهجية في مراجعات سعد مصلوح التقويمية:

شكلت العلاقة بين النحو العربي واللسانيات الحديثة، مثار نقاش كبير بين البلاغيين المحدثين العرب، الذين اختلفوا في رسم حدود العلاقة بين العلمين على الرغم من الهوة الزمانية والمكانية، وكذا اختلاف المنطلقات والخلفيات المعرفية التي تحكم كلا منهما ، هذه المناقشات التي فتحت جدلا غير مسبوق، أثمرت العديد من البحوث الجادة التي تعبر عن مكانة النحو العربي ضمن هذه المعادلة، والتي انقسمت إلى قسم أول يقعد على حدود النحو ويرفض أي تجديد ومجمل إضافاته لا تخرج عن تعديلات بسيطة وسطحية، وفريق آخر راح يتطلع إلى المنجز الغربي وأغرته الحضارة الغربية وغفل عن الموروث الضخم الذي خلفه الأجداد، وفريق ثالث معتدل يتطلع إلى إعادة النظر في النحو العربي والوقوف الدقيق على إتجاهاته والإلمام بكل بمذاهبه، ومحاولة النهوض به من خلال أحدث ما وصلت إليه النظريات والمناهج اللسانيات المعاصرة، وهو الأمر الذي حذا بالكثير من العلماء العرب أمثال ابراهيم السامرائي وعبد الرحمان أيوب وابراهيم أنيس، إلى البحث عن السبيل الكفيلة لتجاوز قيود المعيارية، واعتلاء سلم البحث في مسائل اللغة العربية ولا سيما النحو العربي، فشكلت هذه

الدراسات والبحوث مكسبا علميا ، وزادا معرفيا ، لا ينكره إلا جاحد، ولعل محاولات الدكتور تمام حسان تندرج ضمن النوع من الخطاب "التوفيقي"، الذي سعى من خلاله إلى دراسة نقدية شاملة مع إعادة تصور للنحو العربي في ضوء المنهج الوصفي[1]، تمثلت في نظرة اصلاحية تجديدية للنحو وتحريره مما يعيقه من الشوائب كالتجريد والتعليل والحذف، والإهتمام بالجملة بدل الكلمة، واستبدال العامل بنظرية القرائن، والإهتمام الواسع بالدلالة في مضامين النحو، هذه البدائل وغيرها ما ميز هذه التجربة عن غيرها من التجارب التي إقصرت دراستها على توجيه النقد للنظرية النحوية أو الاكتفاء بشرحها أو بتلخيصها.

يفصح الدكتور سعد مصلوح في بداية أسطر هذه المراجعة النقدية إلى غايته العلمية من هذه الدراسة، قائلا بأنها "محاولة لمقاربة هذا الجهد الناصب الذي استأحد به شيخنا حتى تأثلت له الإمامة فيه"[2]، هذا الجهد الذي حاول من خلاله تمام حسان كشف الصلات الشابكة بين نحو الجملة ونحو النص، وبيان ضرورة اعتضادهما تحقيقا لمقاصد النحو، وهي محاولة تكشف عن مهارات نقدية عميقة لا تكتفي بالكليات ولكنها تغوص في الجزئيات والتمفصلات الدقيقة ، مشيدا بمحاولة تمام حسان في هذا المضمار خصوصا في مؤلفاته "اللغة بين المعيارية والوصفية" و"مناهج البحث في اللغة" ويقف في الصدارة من هذه المحاولات كتابه "اللغة العربية معناهاو مبناها "(1973)، وهو كتاب" له ما بعده، أو هكذا كان ينبغي أن يكون ؛ إذ هو جهد بصير يباين في جوهره جميع ما سبقه من جهود، ويجمعه بهذه الجهود انه لا يزاله مثلها وانما في حيز نحو الجملة. بيد أنه مؤهل – ولا سيما بنظريته في القران النحوية والتعليق – لأن يكون منطلقا رصينا موفقا لارتياد آفاق جديدة يكون فيها النحو قطب الطرق التحليلية في دراسة النص"[3]، والملاحظ أنه يرتبط بالمؤلفات السابقة

[1] – ظهر هذا المنهج كامتداد للمدرسة الوصفية البنيوية التي كانت رائجة في خمسينيات وستينيات القرن المنصرم، ويعنى به"وصف لغة معينة في مكان وزمان محددين وصفا دقيقا أمينا لا دخل للباحث فيه، فيصف هذه اللغة في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية أو في إحدى هذه المستويات. وذلك من خلال البحث عن القوانين التي تتحكم في ربط الوحدات الدلالية بعضها ببعض، وكيفية تشكل البنية الداخلية الأية لغة، وذلك بهدف معرفة كيفية توزعها في النظام العام لتلك اللغة. وتعتمد الدراسة الوصفية في مقابل تلك المعيارية إلى وصف التعبير اللغوي دون التساؤل عن صحته اللغوية اعتمادا على أسلوب من الكلام يتوجب التقيد به"– عبد الرحمان اكيدر، الصواب والخطأ بين معيارية النحو ووصفية اللسانيات، مجلة جذور، عدد 45 ،2016، ص331.

[2] سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات، ص 204.

[3]– سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة الى نحو النص، ص424-425.

له ارتباطا وثيقا، كما يعد من أهم الكتب النظرية التي قدمت المنهج الوصفي للدرس اللغوي العربي الحديث، بصورة أدق وأشمل من غيره، وسنحاول إبراز موقع آرائه المقدمة في الدرس اللغوي، وإعادة قراءتها من وجهة اللسانيات المعاصرة ولا سيما نحو النص، الذي ساهم فيه تمام حسان مساهمة جليلة من خلال تناوله مختلف القضايا التي نجدها في صميم هذا الحقل المعرفي، ويبين تمام حسان أن الغاية التي يسعى من ورائها من خلال هذا البحث أن يلقي" ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة"[1]، وقد اعتبره صاحبه " أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر. أقول أجرأ محاولة لاني اعرف أنها كذلك، ولا أقول أخطر محاولة لأنني لا أعلم ما يترتب عليها من آثار"[2].ويقول أيضا عن كتابه،"ولو أن جمهور الدارسين أعطى هذا الكتاب ما يسعى إليه من إثارة الاهتمام، فإنه ينبغي لهذا الكتاب أن يبدأ عهدا جديدة في فهم العربية الفصحى معناها ومبناما، وأن يساعد على حسن الإنتفاع بها لهذا الجيل وما بعده من أجيال"[3]، ولعلها أجرأ محاولة اجتهد صاحبها في دراسة مستويات اللغة من صوت وصرف ونحو وبلاغة ....، وجهت صوب تطبيق المنهج الوصفي على التراث اللغوي العربي الذي وصفه بالمعيارية وفي ذلك يقول" فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدراسات اللغوية الحديث" [4]، والتي عمد من خلالها تمام حسان إلى إعادة قراءة للنحو العربي قراءة لا تلغي التراث وانما تحاكمه وتسائله في ضوء النظريات والمناهج اللسانية الحديثة، محاولا من خلالها تسجير العلاقة بين التراث والدرس اللساني الحديث للخروج بنظرية عربية حديثة، معترفا"طول الوقت بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدراسات اللّغوية في الثّقافة العربية، وهما سيبويه وعبد القاهر، ويبدو فضل أوّ لهما في حقل التحليل، كما يبدو فضل ثانيهما في حقل التّركيب"[5]، هذا التحديد الذي يفضي إلى أن سبويه سلك في دراسة اللغة طريق التحليل ووصف مكونات التركيب دون الإهتمام بالتركيب نفسه،

[1] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص10.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية :عالم الكتب، القاهرة، ط4 ،2000 ص11.

[5] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص29.

واقصاء المعنى من الدراسة، أما الجرجاني ومن سار على نهجه فقد جرى عندهم الإهتمام بدراسة الجمل عن طريق التركيب، وانجر عنه عناية خاصة بأحوال تآلف الوحدات اللغوية وتتابعها.

ومن بين أهم الملاحظ التي أوردها سعد مصلوح في هذا الكتاب هو قيمته العلمية الكبيرة رغم ضآلة حجمه، وأما بخصوص الآثار التي خلفها عند جمهور القراء، والتي اتسمت بعدم تحقيقه للإثارة المرجوة، فيرجعها الدكتور سعد مصلوح إلى أمرين، أولهما إيثار جمهور القراء والباحثين عدم الخوض في هذا المجال لكثرة رواده وساكيه، وكذلك إعرضهم عنه بدعوى صعوبة المبتغى وجدّيته على الساحة العلمية آنذاك، من حيث أنه أول محاولة لتطبيق المنهج الوصفي على اللغة العربية، مما يثير توجسا عند الإتجاه المحافظ الذي له رأي واضح في إشكالية التراث بالمعاصرة، وثانيهما أنه عرض من أعراض المعاصرة بين أهل الصنعة الواحدة، وأن "المعاصرة حجاب" وما تطرحه المعاصرة من تجاهل للمعاصِر، وهي حجاب عن التقييم الموضوعى للعمل، ودوام التأني قبل الأخذ بالطرح الجديد، ليردف بعدها أن المعاصرة في حقيقتها مكاشفة، ومواجهة من خلال القراءة الواعية، والتقييم الموضوعي للعمل، ولعل السبب الأكبر في عدم الاهتمام به هو إعتماده بشكل مباشر على المدرسة البنيوية الأمريكية التي ذهب بريقها في ستينيات القرن الماضي، ولو كان هذا النموذج في وقت أقدم لكان له تأثير أبلغ، إضافة إلى عدم التزامه بالدقة في اتباع المنهج الوصفي، على غرار ما ما نجده في تطبيقاته على النماذج الغربية الرائدة ، واضطرابه في تأليفه، وجاءت أبواب الكتاب، على النحو التالي:

-النظام الصوتي

-النظام الصرفي

-النظام النحوي

-النظام السياقي

-المعجم

-الدلالة

وهو تقسيم أراد المؤلف من خلاله أن يعطي كل مستوى حقه من الدراسة والتمحيص، متكأ على النظام النحوي كنظام مركزي تقوم عليه الدلالة.

أما عن سبب عقد الصلة به، فيشير سعد مصلوح إلى بحثه المنشور تحت عنوان "العربية من نحو الجملة إلى نحو النص" في الكتاب التذكاري عن الأستاذ عبد السلام هارون بجامعة الكويت

سنة 1990، وما جمعه به في هذا العمل، من كونه يحمل البذور الأولى لمنهجية تحليل نصي بقواعد عربية خالصة.

ومن الملاحظ أيضا، أن النحو العربي نحو تحليل لا نحو تركيب، أي: إنه كان يعنى بمكونات التركيب وبالأجزاء التحليلية فيه أكثر من عنايته بالتركيب نفسه. ولم يعطوا عناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو، الذي يشتمل على طائفة من المعاني التركيبية والمباني التي تدل عليها، وعدم نظرتهم إلى للتحليل بوصفه طريقا إلى التركيب، ولعله ما جعلهم يقعون في أخطاء منهجية كبيرة، كما يشير إلى ضرورة دراسة الصيغ على أساس المبنى والمعنى (اللفظ والمعنى)، ويعيب في ذلك اقتصار الدراسات النحوية على العناية بالمبنى دون الاهتمام بالمعنى، وكانت عنايتهم به في اطار مخصوص وهو الزيادة في المبني زيادة في المعنى، و النظر إلى العناصر المفردة من حيث إعرابها، دون النظر إلى التركيب ككل مركب من سياقات تحيط بجوانب التحليل، "وما كان المؤلف ليعيبهم بهذا لو لم يكن قد درس الألسنية ووعى ما فيها ونشر أفكارها بين العرب منذ سنين وكأنه أراد أن يتلافى هذا النقص فيهم فأراد أن يرد للتركيب قيمته"[1]، حيث يقول" والمعروف أن هذا الجانب التحليلي من دراسة النحو لا يمس معنى الجملة في عمومه لا من الناحية الوظيفية العامة كالإثبات والنفي والشرط والتأكيد والاستفهام والتمني... إلخ، ولا من ناحية الدلالة الاجتماعية التي تنبني على اعتبار المقام في تحديد المعنى وإن كانت تمس ناحية من نواحي الترابط بين أجزاء الجملة بروابط مبنوية ومعنوية ذكروها فرادى ولم يعنوا بجمعها في نظام كامل"[2]، ومن هنا " اتسمت الدراسات اللغوية العربية بسمة الإتجاه إلى المبنى أساسا، ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعا لذلك وعلى استحياء"[3]، هذا القصور النحوي الذي استدركته دراسات لاحقة، مهدت الانتقال بالنحو العربي من نحو المفردات إلى نحو التراكيب، ومن نحو أنحاء الجملة إلى نحو الجملة.

1.3/أمن اللبس غاية الاستعمال وقوام نظامه:

تجدر الإشارة إلى أن الغاية عند تمام حسان هي أمن اللبس مخافة الوقوع في الغموض، والمقصود باللّبس، هو "تعدد احتمالات المعنى دون مرجح، إذ لا يستطيع المتلقي أن يقطع بأن المقصود واحد

[1] – محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان اللغة العربية، معناها ومبناها حوليات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجامعة التونسية، تونس :ع17 ،1979، ص 215.

[2]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص16.

[3] – المرجع نفسه، ص12.

بعينه من هذه المعاني المحتملة"[1]، ولا وسيلة لتحقيقه إلا بإعمال النظر في الأجهزة القواعدية التي تتحكم في بنية النظام اللغوي، فاللغة عنده "منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من "الأنظمة"وقد سميتها من قبل بالأجهزة يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو"المباني"المعبرة عن هذه المعاني، ثم من طائفة من العلاقات التي تربط ربطا إيجابيا، والفروق"القيم الخلافية" التي تربط سلبيا، بإيجاد المقابلات ذات الفائدة بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني"[2]، وبذلك يتألف النظام اللغوي من أنظمة فرعية، نظام صوتي، صرفي ونحوي، وما يمكن الإشارة في هذ التقسيم ،أنه تقسيم يوضح التأثر الشديد لتمام حسان بالمدرسة البنيوية الأميركية التي تشدد في البدء بالجانب الصوتي، فالصرفي والنحوي بشكل تصاعدي، كما يؤكد أن تعمل كل هذه المستوبات على توضيح المعنى وكشفه وإبانته، وتقوم إزاء ذلك بالإعتماد على أربعة أسس هي:

1-مجموعة من المعاني النحوية العامة وتمثل:(معاني الجمل والأساليب كالإستفهام والنفي والنه.)،

2-مجموعة من المعاني النحوية الخاصة تمثل (معاني الأبواب كالفاعلية والمفعولية)، وما يقدمه علما الأصوات والصرف (التشكيل الصوتي)،

3- طائفة العلاقات الرابطة بين المعاني الخاصة (الإسنادأو النسبة أو التبعية)

4- وطائفة من العلاقات الخلافية بين أحد أفراد كل عنصر والعناصر الأخرى،

وعليه يمكن أن نصل إلى أن النظام عنده ينبني على ثلاثة أسس هي:

- مجموعة من المعاني
- مجموعة من المباني
- علاقات إيجابية وسلبية بين مجموعة المعاني ومجموعة المباني.

هذه الرؤية الجديدة التي" أعطت للنحو مفهومه، ومكانه الصحيح ضمن أنظمة اللغة العربية، إذ لم يعد علما مقصورا على درس ظواهر الإعراب والبناء فقط، ولا علما خاصا بدراسة الأبواب أو ما يسميه تمام (القرائن المعنوية الخاصة) وهي الغالبة على منهج النحاة الأقدمين في دراسة النحو، فقد أصبح نظاما يحاول ذلك كله، ويتعداه إلى ما هو أهم وألزم للتركيب اللغوي من حيث بناؤه

[1] - المرجع نفسه، ص163.

[2]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 34.

وفهم مدلوله معا، وهو التعليق الذي يتمثل في العلاقات السياقية والقرائية اللفظية والقرائن الحالية أو المقامية"[1]، وبهذا يتحقق أمن اللبس بوصفه غاية الاستعمال اللغوي وقوام نظامه عند تمام حسان، تحقيقا للغرض التواصلي الذي هو جوهر اللغة، حيث يرى أن أمن اللبس يتحقق في وجود القرائن، وانه لا يتم الخروج عنها الا بقصد التلبيس، كما أكد على لفت النظر إلى ما يعين على توضيح المعنى وتحديده، وقد فرق في ذلك إلى نوعين من العلاقات أولا القيم الخلافية وهي عناصر مهمة لضمان أمن اللبس من خلال التفريق بين المباني أو المعاني للمساهمة في وضوح المعنى " وهي المقابلات أو نواحي الخلاف بين المعنى و المعنى، أو بين المبنى و المبنى، أهم بكثير جدا من العلاقات الرابطة أقدر من تلك العلاقات على تحقيق أمن اللبس ، وهو الغاية القصوى للاستعمال اللغوي ، فإنه ليمكن الزعم أن كل نظام لغوي ينبني أساسا على مجموعة من القيم الخلافية التي بدونها لايكون اللبس مأمونا ولا الكلام مفهوما[2]"، والقيم الوفاقية وهي علاقة تعين على اللبس الذي مرده التشابه بين المباني والمعاني.

بتلك المكانة التي شغلها أمن اللبس في مذهبه النحوي، تصبح قضية المعنى بمثابة المحور المركزي في العملية التواصلية، وأنه الهدف المركزي المتوخى من كل دراسة، وتنطلق رؤيته من كون أن "كل دراسة لغوية-لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم -لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى، وهذا النوع من المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة"[3]، كما يمكن إعمال وسائل أمن اللبس في تشخيص المعنى، من خلال تشفيقه، وتحليل كل نسق فيه على حدى، من خلال الوظائف المكونة له، و نجد كل وظيفة بأنها استعمال لشكل لغوي معين ، أو عنصر لغوي معين في سياق، ومعنى هذا "أننا ننظر إلى المعنى باعتباره مركبا من علاقات الماجربات ، والجراماطيقا (بفروعها) ، والمعجم ، والدلالة ، وكل من هذه الجهات يتناول نصيبه الدراسي من هذا المركب بالبحث في ماجرياته المناسبة "[4]، ويستقل كل

[1] -عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي د راسة نقدية، دار القلم، الكويت، ط1 ،1985 ، ص1 .

[2] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص34.

[3] - المرجع نفسه، ص9.

[4]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1955، ص 253.

نوع عن الآخر في إبراز خاصية معينة من المعنى العام، ويتم تشقيق المعنى عند تمام بالنظر إلى ثلاثة معاني فرعية.

– **المعنى الوظيفي**: يشتمل على معنى الصوت، ويتوقف على معنى حرف واحد أو صفة معينها، ومعنى الكلمة ومعنى المقطع ومعنى النغمة، ومعنى صيغتها الصرفية وبابها النحوي.

– **المعنى المعجمي** أو الإطلاق:(المعنى العرفي) المطابقي الذي أُعطي للكلمة بالتواضع، يراد به معنى الكلمة بالنسبة لمدلولها، والعلاقة بينها علاقة اعتباطية، وهو معنى عام ومتعدد يتحدد بما ينسبه المعجم للكلمات والمعاني.

– **المعنى الاجتماعي**: (المقصود) يراد به المقصود من الكلام قد يكون من كلمة أو أكثر، على أن الوصول إلى المعنى(الاجتماعي) وتحديده يكون عن طريق تحليل الملابسات المصاحبة للسياق المقامي، وهو أشمل من سابقيه.

تتضافر وتتعاون المعاني الثلاثة، من خلال تكفل كل فرع بقسط من المعنى، للوصول إلى المعنى الدلالي الأكبر الذي هو شامل للانواع الثلاثة، "هذا هو الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى، وهذه الاعتبارات المختلفة هي التي ينبغي أن تراعى في تشقيق المعنى، وأن تطبيق هذا المنهج في الكشف عن المعنى ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي، كما ينبغي أن يصدق على النصوص المكتوبة ذات المقام المنقضي والذي يمكن أن يعاد بناؤه بالوصف التاريخي.....وأن الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعد دائما سببا في قصور الفهم"[1]،وهكذا نجد أن قضية المعنى لدى تمام حسان هي النواة المركزية في عملية التواصل اللغوي.

2.3/ الاتجاه البلاغي في دراسة المعنى:

يتوجه تمام حسان صوب الاتجاه البلاغي في دراسة المعنى، بعد أن فرغ من النحو والذي أكد من خلاله على ضرورة التوجه إلى أبواب الجمل وعدم الاقتصار على أبواب المفردات، كما يشير إلى أن دراسة المعنى في الإتجاه البلاغي يسير إلى أقسام البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، اما المعاني فموضوعها التركيب نفسه من جهة الأسلوب والتعبير والإطناب، والإيجاز والفصل والوصل، وهو ما اعتبره النحاة خارج مجال اهتمامهم ، ولم يكونوا في صواب حسب رأيه ،وهو نوع من الدراسة للمعنى

[1] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 372.

وظيفيا حيث لا يتعدى مجرد فهم المعنى المقالي لا غير، وهو أكثر صلة بالنحو منه إلى النقد الادبي، وكان حريا بالنحو أن يدعي هذا العلم لنفسه، الذي اعتبره تمام حسان قمة الدراسات النحوية، باستثناء ما قدمه الجرجاني في دلائل الإعجاز إذ يرتفع بها الى مقام تناصّي، هذا تشكيك في قيمة البلاغة العربية من خلال كونها منهجا من مناهج النقد، وهو ما حسمه تمام حسان بقطع الصلة بين البلاغة العربية ومناهج النقد الأدبي، "أجدني مدفوعا إلى المبادرة بتأكيد أن دراسة عبد القاهر للنّظم، وما يتصل به، تقف بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب، وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التّركيب اللغوي، هذا مع الفارق الزّمني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر"[1].

وأن البلاغة العربية لا تتناول المعنى الاجتماعي تناولا مقصودا. من خلال أن علم المعاني يتناول المعنى الوظيفي، وعلم البيان يتناول المعنى المعجمي، والبديع "وجه تحسين" أساليب الكلام وتزيينها مع مراعاة وضوح الدلالة وكمال الفائدة ، ولكن بالمقابل قدمت للمعنى الاجتماعي فكرتين من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث وهما :"لكلّ مقام مقال" و"لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام"، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللّغات، لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتّطبيق في إطار كل الثّقافات على حد سواء، ولم يكن "مالينوفسكي" وهو يصوغ مصطلحه الشّهير (Context of situation) يعلم أنّه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها "[2]، وفكرة المقام عنده هي:" المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء والمقال .. ومن المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمى فوق ذلك لا يعطينا إلا و(معنى المقال) أو (المعني الحرفي)"[3]، وقد عمد إلى توضيح الفرق بين نوعين يمثلان دعامتين للمعنى الدلالي وهما:

– **المعنى المقالي**: مكون من المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي ويشمل القرائن المقالية

– **المعنى المقامي**: مكون من الظروف التي صاحبت أداء المقال، وتشتمل على القرائن الحالية

[1] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص19/18.

[2] – المرجع نفسه، ص372.

[3] – المرجع نفسه، ص337.

ويلاحظ مما سبق أنه "أخذ من النحو العربي القديم وصفه وتحليله، ومن البلاغة اهتمامها بالنظم :ساكبا هذا كله في قالب واحد متبعا في عمله مبادئ مصدرها مدرسه لندن، معتنقا في دراسته هذه للعربية نظرية اللندنيين في الدلالة وهو موقفهما المعارض للمدرسة البنوية الشكلية التي سادت الدراسات الإنجليزية في الولايات المتحدة والتي عزلت المعنى وأهملته"[1]، وبهذا يتبين أن القدامى فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الإجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها "مقاما" فمقام الفخر غير مقام المدح وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء وهلم جرا[2]، ولعل الاختلاف في المقام يترتب عليه تباين في المقال، وهذا بلا شك يقود الى ضرورة وجوب ملاءمة المقال إلى مقتضيات المقام.

تشخيص المعنى من خلال العلوم الثلاثة:

علم المعاني: أشد علوم البلاغة علقة بالنحو، أو هو "نحو من النحو"،

علم البيان: يرتبط هذا المفهوم عنده بعلم المعجم، من خلال دراسة اللفظ في معناه العرفي المطابقي، أي تناول وضع الكلمات في كل حالاتها من خلال (الاشتقاق، والتعريب، النحت والتوليد.....) وبذلك يجعل تمام حسان علم البيان قمة المعجم لما بين العلمين من تقارب، فكلاهما يشير إلى طرق الاستعمال.

علم البديع: يعتبر البديع الأقل حظا عند تمام حسان من الاحتفاء بالمعنى الاجتماعي، لأن المقصود منه هو التحسين، وهو فني لا عرفي.

وتحصيل ما سبق أن البلاغة لا تقصد بيان المعنى العرفي قصدا واضحا، وأن علم المعاني أقرب علوم البلاغة بالنظرية النحوية أو "هو نحو من النحو"، وأما علم البيان فيأتي تاليا لإرتباطه بالمعجم ولا يشمله مفهوم النظام وعلّة ذلك:

1/انتفاء المقابلات والعلاقات الخلافية بين كلمات المعجم، أي عدم وجود أوجه التشابه، وأوجه الاختلاف بينها

2/عدم صلاحيتها للجدولة، أي لايمكن أن توضع في صورة جداول

[1] – محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى، ص 201-202.

[2] – تمّام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها، ص337.

3/إمكان استعارة الكلمات من لغة إلى أخرى، وهو بعكس فروع الدراسة اللغوية الأخرى كالأصوات والصرف والنحو يقبل الإستعارة من اللغات الأخرى.

4/اختلاف التجارب الإجتماعية، ما يفسر اختلاف الأسماء وفقا لها

وبذلك يصل تمام حسان إلى أن المعجم "جزء من اللغة، ولكنه ليس نظاما من أنظمة اللغة، هو من اللغة لأنه سجل لكلماتها ولمعاني هذه الكلمات، وهذه الكلمات ساكنة صامتة بالفعل، ولكنها صالحة بالقوة لأن تصير ألفاظا مسموعة، أوخطوطا مكتوبة مقروءة في سياق الكلام"[1]، أما البديع فأبعد العلوم الثلاثة عن مجال النحو من حيث أن مداره التحسين والتزيين، لا الجوهر العرفي في المعنى.

3.3/ نحو النص من منظور تمام حسان:

وبخصوص نحو النص، فيرى أن الاختلاف بينهما في أربع سمات وهي:

– **الاطراد:** ويراد به أن فصاحة الجملة تحتكم إلى القاعدة النحوية وإلا تدخل في مدار الشاذ.

– **المعيارية:** ويعنى بها سبق القاعدة فهي معيار للصواب وللخطأ، فلا يرتضي النحو نصا إلا إذا وافق القاعدة المستنبطة.

– **الاطلاق:** ويراد به أن القاعدة النحوية تصدق على ما قيل من قيل وما سيقال من قبل على سبيل الاستمرارية التي يشهدها الإستعمال اللغوي للجماعة الواحدة.

– **الاقتصار:** في بحث العلاقات على حدود الجملة الواحدة: فلا يتخطاها إلا عند الاضراب أو الاستدراك أو العطف أو ما شابه ذلك.

وبذلك يمكننا القول "**إن النحو العربي نحو جملة وليس نحو نص** "

يتخذ تمام حسان من هذه المميزات متكأ لتوضيح الفرق بين نحو الجملة ونحو النص، ويرى **– نحو الجملة ونحو النص يختلفان باعتبار**

– **المعيارية** فنحو النص هو أبعد عن المعيارية، لأنه نحو تطبيقي غير نظري، فلا ينشأ إلا إذا اكتمل النص، وبد أن كون النص حاضرا ومعرضا للتطبيق النحو عليه مستخرجا من مادته، ولهذا يشير نحاة النص أن المعيار دائما يكون من داخل النص لا من خارجه ومن هنا يمكن أن تختلف المعايير[2].

[1] – تمّام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها، ص40.

[2] – المرجع نفسه، ص 74.

– الا**طراد**: والملاحظ أن علم النص بعيد عن الإطراد، لأنه يعترف بالمؤشرات الأسلوبية، وهي تصرفات فردية يلجأ إليها منشئ النص ليدل على لفتات ذهنية، أو ليثير بها انتباه المتلقي، والمعروف أن المؤشرات الأسلوبية لا تأتي على نسق واحد ومطرد"[1].

– **الإطلاق** فالنص فلا يطبق على كلام قبل صياغته، أو أثناءها، ومن هنا يكون الحكم دائما في نحو النص بعد إنتاجه: نحو وفي حالة التواصل الفعلي[2].

– **الاقتصار** لان في نحو النص يكون النص بكامله محل البحث والتمحيص

– **يشترك نحو الجملة ونحو النص في معيارين هما التضام والاتساق**[3]

– **التضام** :(يختص باللفظ)، أما التضام وهو "السبك" في مفهوم تمام حسان، وهو علاقة لفظية تشمل الاقتصار والاختصاص والتلازم والمطابقة وعود الضمير وما شابه هذا،

– **الاتساق** (**الحبك**): هو علاقة في المعنى بين المتضامين، تجعل أحدهما غير ناب في الفهم عن الآخر، تجعل أحدهما غير ناب في الفهم عن الآخر. فلا وجه لجملة فعلية مثل "فهم الحجر" ولا لجملة اسمية مثل "السماء تحتنا". فذلك غير مقبول في الظروف العادية لاستعمال اللغة وقد يكون مقبولاً في المواقف غير المعتادة كالسخرية والمجاز" [4].

ومن خلال ما سبق نصل إلى أنه على الرغم من كون نحو النص معني بدراسة الجملة وتوصيف مكوناتها إلا أنه يتجاوزها إلى فضاء أوسع وأرحب وهو النص، وهو ما يفسر العلاقة القائمة بين النمطين، في كونها علاقة اشتمال حيث يشتمل نحو النص على نحو الجملة، وان نحو الجملة جزء من نحو النص، ذات دلالة جزئية تستمد كينونتها من خلال العلاقات داخل الفضاء النصي.

وبناء عليه فإن التشابه بين النمطين يتمثل الاهتمام بدراسة العناصر اللغوية، فنحو الجملة يقوم بدراسة العلاقات المختلفة داخل الجملة الواحدة، بينما نحو النص يدرس هذه العلاقات ويتجاوزها إلى مستوى أكبر وهو العلاقات بين الجمل المكون للنص.

---

[1] – تمّام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها، ص 73.

[2] – المرجع نفسه 74.

[3] – نشير إلى أن هناك تداخل بين المصطلحين عند تمام حسان حيث يعتبر التضام مقابلا للمصطلح cohésion والذي ترجمه الكثير من الباحثين الى "الاتساق" كمحمد خطابي...،كما يُرجع مصطلح الاتساق الى المقابل الاجنبيcoherence الذي يعني الانسجام .

[4] سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات، ص217.

– صفات تخص نحو النص وحده، ولا تعني نحو الجملة في شيء وهي:

– القصد: وهو شرط اساسي في تحقق نصية النص بالمعنى الإصلاحي، فليس من قبيل النص لغو الكلام وحشوه وكلام المكره والناسي والمخطئ والسكران، وإذا لم يتحقق القصد لم يتحقق النص.

– التناص: يعتبر التناص من أهم المعايير النصية التي حددها علماء النص، وهو علاقة تقوم بين الأجزاء المشكلة للنص، كما تقوم بين النص ونصوص أخرى مغايرة له، استفاد منها بوعي أو دون وعي، أو من جهة أنهما يشتركان في نفس الموضوع، كون التّالي تلخيصا للمتقدم أو شرحا له، أو توضيحا لإبهامه، أو تفصيلا لإجماله، أو جوابا لسؤاله.

– القبول: وهو من المعايير المهمة في تحقيق النصية، يرتبط بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول والتّماسك، وهذه صفة يضعها نحو النص في مقابل "مطابقة القاعدة" في نحو الجملة والتي تعني قبول الاحتمالات الدلالية وتعدد الأوجه الإعرابية.

– رعاية الموقف (المقاميّة): ترتبط بالموقف أو المقام الذي أنجز من أجله النّص، وهي جملة العوامل التي تجعل النّص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، فيجب أن يكون النص موافقا للمقام أو الموقف الذي قيل فيه.

– الإعلامية (الإخبارية): ترتبط بإنتاج النص لدى المتلقي، واستقباله ومدى توقعه لعناصره، وهي أن يكون النص ذا مضمون يراد به الإعلام، يتحد مفهوم الاعلامية بالاتساق عند تمام حسان الذي يخرج الشعر الحديث لانه بدون معنى وبلا مذاق، ولا يمكن تصنيفه، ولا ينتسب الى شعر أو نثر، كما يشير إلى أن اتحاد المفهومين أفقد الإعلامية خصوصيتها كمعيار مستقل من المعايير النصية، كما يشير سعد مصلوح إلى أن الإعلامية تفترض تفترض مسبقا محتوى يجرى إبلاغه للمتلقي بواسطة النص، وبالتالي فهي لا تعالج نصا غير محبوك"[1] وتتعلق بالجدة ومدى التوقع لطريقة العرض، كما ربط الباحث بينها وبين مصطلح الاغراب عند ابن سينا، وهو ما يرفع الكلام إلى مستوى النصية، كما ترتبط عند بمعدل ظهور النقاط التي تمثل المنعرجات على مستوى تسلل العرض من وجهة المتلقى، إذ تتمايز النصوص من خلال السرعة والبطء ومن ثمة تتفاوت في مدى تحقق هذه الخاصية النصانية، كما أنها ترتبط بمفهوم (الإنتباه) أو (التركيز) ، ينصرف الى وجهة المتلقي، وإلى خاصية

[1] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات، ص 233.

الحبك بصصطلح تمام حسان ،يمكن فك الشراكة بين مفهموم الإعلامية والاتساق من خلال أن النحو النّص لا يعترف بالعبارات المبهمة ذات الألفاظ مجهولة المعنى أصلا.

-إن المكانة التي اختص بها تمام حسان أمن اللبس في نحو الجملة، لاتزال غاية الاستعمال وقوام النظام في مفهومه لنحو النص، فأمن اللبس لا يزال هنا هماً مشتركا للمتكلم المستعمل للغة داخل مجتمع معينه، بقصد إفهام المخاطب رسالته اللغوية فإنه يرتبها على منوال لا يدع معه للبس مجالا، والسامع الذي يفك شفرة الخطاب ويعيد بنائها، والنحوي الذي يصوغ القواعد، بل ان أهميته لتزداد باعتبار ما يشتمل عليه نحو النص من وسائل كلها موجهة لتحقيق أمن اللبس ومن بينها الإعلامية ورعاية الموقف والقبول[1].

4.3/ مسائل المطابقة بين تمام حسان وسعد مصلوح:

ثمة عدد من النقاط التي تطابق فيها سعد مصلوح وتمام حسان مثل نقد النحو من منظور نصي، وتقويم نحو الجملة في الصيغة المشتركة، والدرس النحوي من ضيق الجملة إلى سعة النص، غير أن وجوه المطابقة لا تعكس الإتفاق الكامل، وسنحاول من خلالها إبانة واستجلاء مواطن الإتفاق بشيء من التفصيل

نقد النحو من منظور نصي:

وفي سياق الحديث عن مسائل المطابقة يبين سعد مصلوح في إشارة مهمة إلى أن تمام حسان قد تولى باقتدار معالجة أوجه القصور التي كابدها من حيث وفاؤه لغايته من تقعيد الجملة أو الكلام الذي هو اللفظ المستقل بالافادة عند النحاة، وذلك حين نعت النحو بأنه نحو تحليل لا نحو تركيب، وهو ما طابقه بقوله إن النحو العربي بصورته هذه صالحا لأن يكون نحوا نصيا، وقد لخصه في ثمانية اعتبارات تمثل أوجه القصور التي تعتري النحو العربي[2]:

- موضوع النحو هو الشاهد والمثال.
- سيطرة المنهج المعياري التعليمي.
- اختلاط البعد الآني والزماني في دراسة المادة اللغوية.
- استبعاد مفهوم التغير اللغوي.

[1] - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات، ص 220.

[2] - المصدر نفسه، ص 222- 223.

- تهميش المقام في النحو التقليدي وعدم إعطاءه الأهمية المناسبة.
- غياب فكرة المستويات التحليلية في الدرس النحوي العربي، وتداخل مباحثها.
- إهدار آنية الجملة وتمييع مفهومها.

ومن خلال هذه الاعتبارات يشير الباحث إلى بعد النحر العربي من نحو النص ولا يتأتى ذلك إلا بممهدات لضمان الانتقال المنشود والتي من بينها جهود تمام حسان في هذا المجال.

المسألة الثانية: تقويم نحو الجملة في الصيغة المقترحة: على الرغم من كون الكتاب يقدم وفق منظور لساني وصفي في تناوله للغة، من خلال وصفها في ذاتها دون البحث عن معيار القاعدة، إلا أن الباحث يشير إلى خلو الكتاب لما يدل على تغييب المعيارية أو تواريها، إضافة إلى عدم وجود موقف معلن من خاصتي الاطراد والإطلاق، فقد بقيت على الأصل أو في حكم المسكوت عنه، غير أن موقفه بدا واضحا من خاصية الاقتصار، أي اقتصاره على بحث العلاقات بين حدود الجملة الواحدة، وموقفه المستعلن هذا إنما يحيل إلى أن النحو العربي نحو جملة وليس نحو نص .

ومن الركائز الرئيسية لكتاب اللغة العربية معناها ومبناها[1]:

-إعتماد تشخيص المعنى غاية الدرس النحوي.

-إعتماد أمن اللبس غاية للاستعمال وقواما للنظام.

-اعتماد مفهوم النظام اللغوي (أو المستوى التحليلي).

-تأسيس فكرة تراتبية النظم اللغوية (أو المستويات التحليلية).

- ممارسة التحليل على المستوى الصرفي، والتركيب على المستوى النحوي
- الكشف عن دور الظواهر السياقية في تكييف النظام لمقتضيات الأداء.
- تضافر القرائن لتحقيق أمن اللبس والكشف عن المعنى.
- استيعاب المقام داخل إطار النظرية النحوية لاستكمال الكشف عن المعنى

والمسألة الثالثة في مسائل المطابقة الدرس النحوي من ضيق الجملة الى سعة النص:

والتي بيّن من خلالها مطابقته له في توليه نحو شطر النص أي نحو فضاء أوسع وأرحب، مما يقود إلى توسيع امكانات البحث وتوظيف آليات جديدة وفعالة تساهم في تشخيص المعنى ، ويتيح الفهم الامثل بغرض والابتعاد عن مشكلات اللبس والغموض، وهي بلا شك "مخرجات ينطلق بها الدرس

[1]- سعد مصلوح، في اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات ص 225.

النحوي من ضيق الجملة إلى سعة النص، "ومن محدودية الغاية التعليمية إلى لا محدودية الكشف والاستكناه لعبقرية اللغة وإمكاناتها، وتعالق جهاز القواعد فيها مع تجليات الإبداع اللغوي على اختلافها وتنوعها"[1]. وعليه يمكن التعامل مع النص على أنه بنية كلية، ومن ثم يكون المدخل إلى التحليل النحوي عن طريق تحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص وتعطي عرضا لمكوناته التنظيمية النصية[2].

5.3/ في المسائل الخلافية:

آيات الإعجاب بآراء تمام حسان، لم تعف الباحث من رصد بعض مسائل الخلاف والتباين ويمكن حصر مواطن الانتقاد التي اشتملت عليها محاولته النقدية في عدة أوجه أثارها الباحث معترضا على المذهب النحوي، مدافعا على آراه دفاعا مقرونا بالدليل العلمي، وهي مسائل تتعلق "بنحو النص" وعلاقته بنحو الجملة، والمعايير النصية ومكانة المكون البلاغي في النظرية النحوية.

يورد الباحث في هذا الشأن مجموعة من الملاحظات التي شكلت ركائز مذهب تمام حسان النحوي القائم على:

- استبعاد المعنى الجمالي (الفني) من الدرس النحوي.
- غاية التحليل هي التوصل الى معنى واحد محدد ينتفي معه التعدد والاحتمال.
- تتضافر مستويات التحليل وأنواع المعنى على ترشيح معنى واحد من بين المعاني المحتملة.

تتمثل رؤية تمام حسان إلى أن الغاية الأساسية من التحليل في النحو العربي الذي هو "نحو جملة " بالأساس، هي التوصل إلى معنى محدد غير قابل للإحتمال والتعدد، ويتعين تحققه بفضل تعدد "الوسائل والقواعد ما يكفل قدرا كبيرا من تحديد المعنى والاسهام في أمن اللبس، وذلك عن طريق القرائن اللفظية والمعنوية المختلفة، يضاف إلى ذلك ما في صور الاستعمال وأدواته من طرق تمكين المعنى والإحتياط له"[3].يضاف إلى القرائن بنوعيها وتضافر مستويات التحليل المختلفة ومساهمة أنواع المعنى الثلاثة في ترشيح معنى محدد من بين المعاني المحتملة، وهو محل الخلاف بينه وبين سعد مصلوح من خلال أنه ان صدق في نحو الجملة فلا يصدق في النص باعتبار "نحو النص" يفضي إلى تطوير

[1] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية دراسات ومثقافات، ص 226.

[2] – أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص95.

[3] عبد السلام حامد، أمن اللبس بين النحو العربي ولسانيات النص، مجلة "الابراهيمي للآداب والعلوم إلانسانية" – جامعة برج بوعريريج مج: 02 ع: 01، 2021، ص 191.

أدوات نحو الجملة الدلالية وإيجاد معابر ومحاورات بينهما، مما يكون له أثر ملحوظ في استنباط كثير من الأسس والمبادئ التي تؤدي إلى فهم أمثل للمعنى الكلي للنص وحل كثير من إشكال اللبس والغموض فيه"، وأن" نحو النص" بمفهومه العام يشمل كل النصوص بما فيها النص الادبي المبني أساسا على الإحتمال والتعدد "لأن احتمالية المعنى وتعدده فيها هي الأصل،كما أنها أحد المعايير المائزة لجياد النصوص، ولئن أخرَجَ نحو النص من مجال عمله النصوص المحتملة، إنه بذلك يكون قد طوى كشحاً عن أخصب مجالات النظر وأشدها عُلقة بالسلوك اللغوي اليومي، والنشاط اللغوي الحي والملابس لكينونة الإنسان في مختلف أطوارها وأحوالها"[1]، وقد أجملها الدكتور حامد عبد السلام في عدة عناصر[2]:

– القواعد الأربع لتحديد الأبنية الدلالية الكبرى للنصوص (الحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب والإدماج)، وذلك أن أهم ما تعنى به الأبنية الكبرى للنصوص هو تحديد الهدف منها والموضوع الوارد فيها.

– مفاهيم تداولية مثل: الفائدة والأهمية والمناسبة.

– علم دلالة الإحالة وما يتيحه من إعادة البناء المجرد للواقع وتصور فئات موجوداته وعلاقاتها،

–معالجة المضمون على أنه مجموعة من القضايا المتكاملة المترابطة أفقيًا ورأسيًا، ومبدأ النزول (top-down) (مصاحبة النص نفسه وتحليله) ومبدأ الصعود(bottom-up) (مصاحبة العلم بالنص أي المعرفة والمعلومات المرتبطة به

وهو إنكار مبرر من طرف الباحث بأن غاية التحليل في "نحو النص" التوصل إلى معنى محدد ينفي صور النص، والمعايير النصية كمعيار القبول هو الذي يكفل بترشيح معنى واحد. واذا كان أمن اللبس غاية نحو الجملة وأمارة ذلك تحقيق الفائدة، "فإن لسانيات النص والخطاب–فيما يبدو– غايتها تحقيق الترابط التعدد والاحتمال، بل تعدد الاحتمال هي الاصل بالنظر الى تعدد انواع النصوص التي يمكن أن تكون محل دراسة في نحو والانسجام (السبك والحبك)، ومن أهم وسائل الوصول إلى ذلك النظر في أمور من أهمها–إلى جانب الفائدة–الإحالة والمناسبة والأهمية"[3].

[1] – سعد مصلوح ،في اللسانيات العربية ،دراسات ومثاقفات، 229.

[2] – عبد السلام حامد، أمن اللبس بين النحو العربي ولسانيات النص، ص208.

[3]– المرجع نفسه، ص210.

المسألة الثانية في هذا الباب وهي محور الإجابة على السؤال "أي معنى وأي نص"، أخرج تمام حسان التحسين اللفظي من دراسة المعنى العرفي لأن معنى التحسين فني لا عرفي، واستبعد المعنى الجمالي (الفني) بدعوى بعده عن الدرس النحوي، وهو أمر ينطوي على مغالطة ، وأن كل المعاني صالحة للتحليل، وان المعايير النصية وحدها من تكفل تحقق نصية النص، وكذلك بالنظر إلى طبيعة النصوص وارتباطها بالسياقات المنشئة لها، والتي من خلالها يمكن أن تتطور وظائف البديع للكشف عن مسائل الإفصاح عن الدلالة، بغرض الوصول إلى اكتمال المعنى وتمامه.

المسألة الثالثة: إن اعتبار مصطلح التضام مصطلحا صالحا لكل من نحو الجملة ونحو النص ، أمرا غير وارد من خلال أن مظاهره على مستوى نحو الجملة، ليس هي مظاهره على مستوى النص، لأن نحو النص يتجاوزها إلى كل وسائل الربط في ظاهر النص، حيث يشمل العلاقات الرابطة بين الجمل وبين الفقرات وعلى مستوى العلاقات في مجمل النص، كما فرق تمام حسان بين التضام البلاغي والنحوي، أما الأول فيعنى الاختلاف في رصف جملة ما في التقديم والتأخير والفصل والوصل، وأطلق عليه (التوارد) وهو أقرب الى دراسة الأساليب التركيبية والبلاغية،

أما الثاني حين يستلزم أحد العنصرين التحليلين عنصرا آخر فيسمى (التلازم) أو(التنافي) حين يتنافى معه ولا يلتقي به، ويشير الباحث في رده على هذا التقسيم إلى أن مصطلح cohésion يتسع ليشمل كل وسائل الربط في ظاهر النص، هذه الوسائل ممثلة في التكرار والتوازي .... والتي لا يستطيع التضام بنوعيه استيعابها.

المسألة الرابعة: كما يرفض سعد مصلوح مفهوم الاتساق بكونه علاقة في المعنى بين المتضامين تجعل أحدهما غير نابٍ في الفهم عن الآخر، فلا وجه لجملة فعلية مثل "فهم الحجر" ولا الجملة اسمية مثل "السماء تحتنا". فذلك غير مقبول في الظروف العادية لاستعمال اللغة وقد يكون مقبولاً في المواقف غير المعتادة كالسخرية والمجاز' ويعرفه بأنه "احتباك المفاهيم والتصورات في علاقات منطقية كالتضاد والتناقض والاستدعاء والسببية وهلم جراً.وقد تقوم هذه العلاقات بين جملتين، ولكنها في النص تتجاوز مفردات الجمل إلى كلية النص .وهي رصد لما هو كائن، وليست تشريعاً لما ينبغي أن يكون"[1].

[1]- سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات، ص 232.

المعايير النصية:

ومن مسائل الخلاف أيضا ما وقع في توظيف مصطلحات عربية للمقابل الأجنبي الوافد، حيث نجد أن تمام حسان قد استخدم مصطلح التضام والاتساق دون ذكر ما يقابلها في الدرس اللساني الحديث ولم يشر كذلك إلى سبب اختياره لهذا المصطلح تحديدا، ويبين الباحث إلى أنه يقصد بالتضام المقابل الأجنبي الوافد cohésion أما مصطلح الاتساق فيقابل coherence، وهو والذي يغلب عليه مصلح الانسجام في أغلب الدراسات العربية المعاصرة، ويكاد يكون متفردا في هذا الطرح، أما سعد مصلوح فقد اقترح "السبك " مقابلا ل cohésion " بوصفه أقرب الى المفهوم المراد، أكثر شيوعا في أدبيات النقد القديم"ومصطلح الحبك للمقابل اللأجنبي الوافد coherence، وهو ما يتوافق مع نظرة بعض الباحثين أمثال محمد العبد...، ، ويشير أيضا إلى أن قبول مصطلح التضام على نحو الجملة ونحو النص يحمل الكثير من المخاطرة، إذ أن ما يشير له المصطلح في نحو الجملة، لا يمكن أن يتلاءم مع نحو النص إلا بشحن المفهوم بقيم جديدة ، وهو ما يصعب هذا الأمر، إذ أن " الافتقار الاختصاص والتلازم والمطابقة وعود الضمير والداخل والمدخول هي من مظاهر التضام على مستوى الجملة، والحاجة إليها في نحو النص ثابتة بيقين، لكن نحو النص يتجاوز هذا المستوى ليشمل وسائل الربط في ظاهر النص "[1].

وقد جرى الاختلاف أيضا حول معيار **القصد** intentionnality الذي قال تمام حسان بشأنه"ليس من قبيل النص ما نسمعه من لغو الحديث وحشوه وكلام السكران، والمكره والناسي والمخطئ، وأنه إذا لم يتحقق القصد لم يتحقق النص بالمعنى الاصطلاحي"، وكانت مخالفة سعد مصلوح له من خلال اعتبار نحو النص هو اعتقاد المنشئ أن كلامه يشكل نصا مسبوكا ومحبوكا، وانه أداة لتحقيق مقاصده في نقل معرفة او تحقيق هدف في إطار خطة محددة سلفا، وعليه فلا يمكن إخراج كلام المكره الذي صاغ كلاما بهدف الخروج من مأزق، كما لا يمكن إخراج لغو الكلام، اذا توفر القصد في تحقيق هدف أو غايه منشودة، وقد اعترض أحمد عفيفي أيضا عليه بقوله: "كلام يحتاج في قبوله إلى كثير من الحذر، فالمكره – في رأيي – يقصد مقولته، وكذلك الناس، وكذلك المخطئ – وقت حديثه – وربما أدى لغو الكلام قصدا وحقق هدفا، ولهذا صعب الحكم عليه

[1] – سعد مصلوح ،في اللسانيات العربية ،دراسات ومثاقفات ،ص 230.

باللغو، لأنه حقق معيارية القصد، ولذا فنحن نؤمن بما ذهب إليه سورلا من أن الحالات العقلية، مثل : الاعتقاد والخوف والتمني والرغبة والحب والكراهية، هذه الحالات وراءها مقصدية[1].

كما أنكر سعد مصلوح تعريف تمام حسان لمعيار الإعلامية informativity الذي إتحد بمفهوم الاتساق عنده (الحبك بالمفهوم العام) ، وأدى ذلك إلى فقد الاعلامية لمفهومها وخصوصيتها بوصفها معيارا مهما من المعايير النصية، وقدم تعريف مغايرا حيث "تتعلق باستقبال النص على أنه ذو محتوى كما يتعلق بحكم المتلقي على طريقة عرض المحتوى بالجدة وبمدى توقعه لطريقة العرض، كما ترتبط بمعدل ظهور النقاط التي تمثل نقلات او منعطفات جديدة في تسلسل عرض المحتوى، إذ تتمايز النصوص من حيث معدل البطء أو معدل السرعة في حدوث النقلات ومن ثمة تتفاوت في تحقيق النصية ، كما يربطها بمفهوم" الانتباه attention" أو" التركيز focusing "[2]، وهذا التعريف يبعدها عن مفهوم الاتساق ويجعلها تتمتع بخصوصيتها كمعيار مستقل.

أما معيار **القبول**: acceptability الذي وظفه تمام حسان توظيفا يجعله محصّلة لأعمال المعايير الأخرى، ووظيفته تحديد معنى من بين المعاني المحتملة ، ويكون بذلك قد أخرجه من نحو النص، لأن نحو النص ليس من مهمته تحديد معنى واحد بشكل قطعي، وأن كل النصوص قد تكون موضوعا لنحو النص، فالقبول" يتصل بتحديد موقف المتلقي من الكلام، ومدى تقبله لسلسلة الأحداث الكلامية على أنها نص قابل لأن يوصف بالسبك والحبك، وان له نوع من الجدوى بالنسبة للمتلقي كأن يكتسب معرفة أو يتبنى موقفا، أو يسهم باستجابة لإنجاز خطة"[3]. ونحو النص لا يقبل التردد في الاحتمالات المختلفة في الموضع الواحد، انما يعمل على تسخير كل صفاته كالتناصّ ورعاية الموقف والإعلامية وغيرها لاتخاذ قرار يؤدي إلى تحديد المعنى واستبعاد الدلالة الغير مرتبطة بالنص، وهي معايير تجعل منه على حد تعبير دي بوجراند نحوا هجينا، يجمعه بين دروب معرفية متعددة المنهج

ومن مسائل الخلاف الأخرى نعت نحو النص بأنه نحو تطبيقي لا نظري، ولا ينشأ إلا بعد اكتمال النص ، وبعد أن يكون النص حاضرا أو معرضا لتطبيق النحو عليه مستخرجا من مادته، ينبغي

[1] – أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 40.

[2] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات ص 233-234.

[3] – المصدر نفسه، ص 235.

أن يؤخذ على أن هذا هو الأغلب؛ لأن هناك مقاربات نصية يطلق عليها'' المقاربة الإجرائية'' وهو نوع يستند إلى المقاماتية وعلم النفس الإدراكي وعلم الذكاء الاصطناعي؛ لتفسير العمليات الذهنية والأطوار النفسية التي تحدث عند إنشاء النص واستقباله وتفسيره"[1].

6.3/ من أمن اللبس إلى غاية التلبـــــيس:

في سياق الحديث عن أمن اللبس في المذهب النحوي الذي هو غاية الاستعمال وقوام النظام، من خلال تضافر القرائن المتنوعة، وشتى الوسائل والأدوات التي تهدف الى تمكين المعنى وجريانه أيضا على نحو النص، يبين الباحث على أنه فرض منهجي مثالي ، مسلم به بلا برهان، يستمد مشروعيته وحتميته العلمية من باب تجريد القواعد، كما لا يمكن أن يكون صورة صادقة للواقع اللغوي، الذي يخالف كل الشروط التحكيمية، ولذلك قام نوعين من الدرس اللساني وهما: اللسانيات التقريريةlinguistice deterministic ، واللسانيات الاحتمالية linguistice probabilistic ، وتقوم الأولى على اعتقاد افتراض التجانس في السلوك اللغوي بحسب تعبير تشومسكي، وتقوم الثانية على دراسة التباين في السلوك اللغوي بالنظر إلى العوامل الفردية والإجتماعية والمقامية المختلفة، ينتمي نحو الجملة إلى اللسانيات التقريرية حيث يكون أمن اللبس غاية الإستعمال وقوام النظام، باعتبار القرائن اللفظية والمعنوية المختلفة، وينتمي نحو النص إلى اللسانيات الإحتمالية، في كونه يفيد من كل الإمكانات المتاحة من خلال تفعيل الآليات والأدوات التي يوظفها في "استنباط كثير من الأسس والمبادئ التي تؤدي إلى فهم أمثل للمعنى الكلي للنص وحلّ كثير من إشكال اللبس والغموض فيه، ما لم يكن اللبس أو تعدد احتمالات المعنى مزيّة متوخاة وإبداعا فنيا مقصودا وإثراء للمعنى"[2]، وهنا لا يكون أمن اللبس غاية الاستعمال كما جرى عليه القول في المذهب النحوي لتمام حسان صالحا في نحو النص، بل الغاية منه قصد التلبيس، هذا الغموض الذي يكون قيمة أساسية مضافة، من خلال المتكلم الذي لا يعبر عما يريد بطريقة أمينة وواضحة، والمتلقي الذي لا بد له من اعمال التأويل للوصول إلى ترجيح معنى واحد ومعين من بين الاحتمالات الممكنة، لأن طبيعة المعالجة والتحليل في نحو النص، "تفرض قارئا متمرسا، لا تقليديا يعتمد تلك الأدوات المباشرة ويفسر ظاهر هذه التتابعات على السطح، وإنما يحاول أن ينفذ إلى

[1] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات، ص235.

[2]– عبد السلام حامد، أمن اللبس بين النحو العربي ولسانيات النص، ص 206.

ما وراء تلك الصياغات ، ليثري التحليل والتفسير من خلال عدد من التصورات والأفكار غير الكامنة في التتابعات اللغوية، المكتسبة من خلال معارفه وأفكاره والسياقات الحضارية والأعراف الاجتماعية"[1]،

وبهذا لا يمكننا القول بأن يكون أمن اللبس غاية الاستعمال لبسًا لعدم وجود قرينة معينة لمعنى واحد في نحو النص، ويضيف الباحث بأنه لا يجب ان يؤخذ من كلامه بأنه لا مكان لأمن اللبس في هذا السياق، ولا أدل على ذلك من الخطاب العلمي الذي يعتبر من الخطابات التي لا تقوم إلا بأمن اللبس، عليه وجب النظر في قول تمام بأن نحو النص هو المرتجى لرفع التعدد والاحتمال من دلالات الآيات في القرآن الكريم، وما يعنيه ذلك من رفض فكرة صلاحية النص لإعرابين لأن في ذلك اعتراف باللبس لعدم توفر القرينة، وذلك لأن كثرت التأويلات من اجتهادات البشر في محاولاتهم الدائمة لفهم النص القرآني والوصول إلى دلالاته، وتكون هذه الاجتهادات مقبولة شريطة أن تكون:

- موافقة لطبيعة اللسان العربي.
- موافقة لتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة.
- مراعاة السياقات الواردة فيها.
- مراعاة علاقة اللفظ بالمعنى،

إن الإحتكام في هذا الموضوع إلى نحو الجملة أو نحو النص هو من باب الإجتهاد لأهل العلم والراسخون فيه، وقد لخص الدكتور:عبد السلام حامد الإفادة التي يمكن أن تحققها لسانيات النص في أمن اللبس في ثلاثة أسس عامة[2]:

- **الأول**: بيان علاقات الجمل وصور التتابع وتوالي الفقرات وطرق ربط مجموع الجمل بكليات النص، وما يتعلق ببعض المفاهيم مثل: "المفهوم" والماصدق وثنائية المحور والتفسير
- **الثاني**: مبادئ تفسير النصوص واستراتيجيات التلقي والقراءة، مثل: قواعد تحديد الأبنية الدلالية الكبرى للنصوص، وعلم دلالة الإحالة وما يتيحه من إعادة بناء الواقع وتصور الموجودات وعلاقاتها.
- **الثالث**: توقف فهم المعنى ومحاولة تحقيق أمن اللبس أحيانًا على تعرف الأسلوب.

[1] -أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي في كتب الإعجاز القرآني، ص 73.

[2] - عبد السلام حامد، أمن اللبس بين النحو العربي ولسانيات النص، ص 210-211.

7.3/ المكون البلاغي قي نحو النص عند سعد مصلوح:

يشير الباحث ضمن هذا المبحث إلى الرؤية الجديدة والمغايرة التي يشغلها المكون البلاغي في نحو النص، بعد أن هُمش في نحو الجملة، هذه الرؤية التي تتشكل بالاعتماد على المعايير النصية، والاعتراف بالتعدد والاحتمال في هذا المجال، وهو ما يحدد العلاقة بين البلاغة ونحو النص، ويسوق الباحث طائفة من القسمات والإشارات لتحديد هذه العلاقة، يبدأ الباحث بالسبك بوصفه المعيار الأول للنصانية، والكيفية التي تبرز بها البنية اللغوية للنص، وتحقق التماسك النصي بفعل ترابط عناصره، وهو مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، وهي عناصر تحدده وتمنحه صفة النصانية، ويشمل عددا من العناصر كالإحالات إلى الضمائر، والإشارة والحذف والاستبدال والوصل والاتساقالمعجمي، ويجمع هذه العلاقات ما يسميه الباحث"الاعتماد النحوي" Grammatical Dependency.

تتمثل مظاهر السبك في" مستويات صوتية وحرفية وتركيبية ومعجمية ودلالية، كما تتخذ أشكالا من التكرار الخالص، والتكرار الجزئي، وشبه التكرار، وتوازي المباني وتوازي التعبير، والإسقاط والابدال، وعلاقات الزمن، والروابط بأنواعها المختلفة، وكل أولئك إنما يتحقق في أنماط متداخلة ومتعانقة، تتباين من نص إلى نص، كما تتباين داخل النص الواحد بحسب ما يشتمل عليه من البنى الصغرى، وبحسب النماذج الكلية التي تشخص وحدته واستمراريته"[1] ليتخد علم المعاني من هذا المنظور وضعا جديدا في لسانيات النص .

تتخذ العلوم الثلاثة (علم المعاني والبيان والبديع)، وضعا مغايرا في نحو النص، يختلف عما كان عليه في نحو الجملة، وذلك بتوسيع النظر إلى مستوى أكبر من الجملة الواحدة أو البيت الواحد، و فهم النص على أنه تتابع من الجمل على مستوى خطي، فيكون **لعلم المعاني** وضعا جديدا يجعل منه أكثر قيمة من قيمته المنحصرة في نحو الجملة، وينهض **البيان** بوظيفة السبك المعجمي، وبالتالي فإنه يمدنا بمفاتيح /معاني الكلمات المعجمية المختلفة، أي بالدلالات المعجمية للكلمات، التي تعمل على انسباك أجزاء النص وانحباك مفاهيمه[2]، أما **البديع** الذي همش في نحو الجملة، فهو يضطلع بأهمية كبيرة في اللسانيات النصية، بالنظر إلى أن أهمية المحسن البديعي لا تقتصر على الزخرفة وتحسين

[1] – سعد مصلوح، أجرومية النص دراسة في قصيدة جاهلية، ص157.

[2] – أشرف، عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي في كتب الإعجاز القرآني، ص 106.

الكلام، بل تمتد إلى صياغة المعنى أيضا إذا ما جاء موافقا لمقتضى الحال، حيث تكتمل الدلالة حين يتم الربط بين جميع الوحدات في النص فيتم اكتمال المعنى وتقويته، ليستدل بالتراث البديعي وفنونه التي "كان معقود عليها الأمل في سبك النص، حتى ما كان منها لفظيا بحتا، فهنالك يقوم الجناس بأنواعه، والطباق والتكرار بأنواعه، ورد العجز على الصدر أو(ما سمي التعطف) والاشتقاق والمشاكلة والالتفاف، والتورية وأسلوب الحكيم، وغير ذلك من فنون البديع، بدور حاسم في انسباك النص وانحباك مفاهيمه الباطنة"[1]، وهذا الأمر الذي يشكل مسألة خلاف جوهرية بين سعد مصلوح وتمام حسان، وتتضح آفاق العلاقة بين البديع ونحو النص عند الباحث في قوله " ولعل في التراث البديعي من الثراء والخصوبة، ما يحفز الجادين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي"[2]، وهو الأمر الذي تجسد أيضا في ما بعد في كتاب" البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية" للدكتور جميل عبد المجيد، والذي كان استجابة للدعوة الدكتور سعد مصلوح لإعادة النظر في البديع من منظور اللسانيات النصية، والانتقال به من مجال نحو الجملة المحدود، إلى نحو النص الأرحب، وكان الأمر قد استقر في البلاغة العربية على أن وظيفة البديع هي التحسين، وان هذا التحسين قد يكون في اللفظ، وقد يكون في المعنى .

لينتقل إلى خاتمة يمكن وصفها بالجامعة المانعة لمشروعه الفكري القائم أساسا على ضرورة الانتقال بجميع العلوم التراثية (نحو وبلاغة) من ضيق الجملة إلى سعة النص، بالإستناد على قاعدة الأسلوبية ونحو النص، وهو انتقال وتحول نوعي منهجي يكفل لهذه العلوم العريقة وضعا مغايرا يسمح لها بالتمسك بالتراث الذي تنتمى اليه من جهة ، والانفتاح على المعاصرة من جهة ثانية، ولذلك وجب أن يكون هذا المبتغى "همّا معرفيا أصيلا للمنشغلين بهذا العلم الشريف والمنشغلين بثقافة هذه الأمة في حاضر أمرها وقابله"[3]

4/ قراءة في أوجه المراجعة التقويمية عند سعد مصلوح:

تورد هذه المراجعة التقويمية أفقا جديدا، وفضاء فسيحا تضمن الكثير من صور القبول والاستحسان كما تتضمن أوجه أخرى محل تحفظ ونقد وإعادة نظر، وهي بمثابة شهادة فكرية أحسنت تمثيل القضايا، وأعادت توظيفها توظيفا دقيقا، فكانت عونا للقارئ العربي من خلال بنائها

[1] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات، ص 241-242.

[2]– سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص237.

[3] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات، ص 242.

المحكم وعمق نفاذها، لكشف واستبانة الكثير من مواطن النقد والمكاشفة، والتي تميزت في كل مراحلها "بنقد بناء يقوّم المعوج ويسدّ الخلل"[1]، قائم على النقد المؤسس الذي يحفظ مكانة وقيمة العمل محل النقد وصاحبه، إذ يقول بتواضع العلماء في مقام آخر وهو في آخر دراسته النقدية التقويمية لعبد الصبور شاهين " ولقد هممت أن أعتذر طوال هذه الدراسة، بيد أني لم أجد ما يعتذر منه، فقد رفع المؤلف عني هذا الإصر، حين اعن في تواضع هو بامثاله من العلماء جدير أنه سوف يكون جدا إن أهدى أحد إليه اخطاءه، ولعلي فعلت"[2]، ويؤكد ذلك قوله في آخر مراجعته لمحاضرة تمام حسان وكتابه، " فقد أغرتنا فيه سماحته وما وشجته بيننا أبوة العقل، ورحم العلم، بإيراد مسائل كان فيها نظر يخالف عما ذهب إليه شيخنا"، أما الإعتراف بقيمته العلمية وريادته فيها يقول " وهذه الدراسة هي محاولة منا لمقاربة هذا الجهد الناصب الذي استأحد به شيخنا حتى تأثلت له الإمامة فيه"[3]، وفضل محاولته في إعادة النظر إلى التراث بطريقة تجاوزت كل المحاولات التجديدية السابقة، إضافة إلى ما تميزت به من وعي منهجي وتحليل عميق، وذلك "باتكائه على ركائز من الفكر اللساني الحديث والمعرفة الحجاجية والعلمية غير ذات عوج، وبصدوره عن كينونة فاذة أسهمت في صياغتها أزواد معرفية مختلفة الطعوم والألوان، واستحال كل ذلك فيها زكاء ونماء وعنفوانا، ومن ثم لم يكن للناس عجبا أن تكتسب ملاحظته وأن تتنوع وتترادف وتتدارك على الطريق الموصلة لهذه الغاية، مذاقا خاصا، وأن تحظى بالتفرد والخصوصية"[4].

تنبني مراجعة الباحث عن خلفية علمية لسانية بحتة، فهو"واحد ممن يشرّفون بالانتماء إلى حزب المنشغلين باللسانيات التي هي عنده أخطر العلوم الإنسانية مطلقا، والقيمة على دراسة اللغة التي هي مجلى عمل العقل ووعاء معرفه، ومنها: أن هذا الإنتماء يبرئه من القصد الى غمط هذا العلم والمنشغلين به حقهم ودورهم في الثقافة العربية المعاصرة، وإن من هؤلاء أساتذته الذين علموه، وفيهم رفاقه وتلامذته من ذوي الفضل الذي لا يجحد"[5]، كما يضيف إلى أنه لا يبرئ عمله من خطأ أو قصور ولا يدعي الكمال وأن عمله خالص صادق وفي خدمة العلم وطلابه"ومنها هو نفسه أيضا

[1] – سعد مصلوح، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، ص95.

[2]– المصدر نفسه 125.

[3] – سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات 205.

[4] المصدر نفسه، ص207.

[5]– سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص14.

لا يبرئ عمله ونتاجه من مظهر أو آخر من مظاهر القصور والخلل التي يعددها، ولا يزعم الكمال لنفسه لا من افتقده، لهذا كان هذا الرصد نوعا من الحوار بين نفسه وبين أهل البيت والواحد[1]،حيث كان يؤثر دائما أن يحسب في عداد اللغويين المختصين، على أن يعد من هواة النقد، وعلى الرغم من إعلان انتمائه الصريح إلى حقل اللسانيات إلا أنه لم يشر " بدقة الى مدرسة بعينها يدين لها الولاء "[2]، هذا الانفتاح على اللسانيات المعاصرة الذي أرفقه الباحث بشروط على رأسها الوفاء لطبيعة الثقافة الأم وموروثها الثقافي الضخم، الذي لا يزال قادرا على العطاء والتجدد، ولعل هذه المزاوجة كوّنت للباحث رصيدا معرفيا كبيرا، استطاع من خلاله الولوج إلى عوالم البحث اللغوي والنقدي، والتبحر فيه عبر مجلات معرفية متعددة كالنحو والصرف والبلاغة والأسلوبية ونحو الجملة والنص ..، وهي بلا شك ثقافة موسوعية شكلت منطلقا رصينا لكل اعماله النظرية والتطبيقية والتقويمية.

5/ بناء النص النقدي التقويمي:

تظهر براعة سعد مصلوح في الانضباط المنهجي والتحليلي، وطريقته في التعامل مع مادته النقدية، بلغة راقية وأسلوب سبين، حيث يقوم على فاتحة بمثابة تهيئة لذهن القارئ، ليتوقف تفصيلا عند أهم القضايا المراد عرضها، وأهم مواطن الاتفاق والافتراق، ثم التقييم والتقويم، وتأملات ختامية تصل ما تفرق من الخيوط المتناثرة، وتكشف أهم النتائج المتوصل إليها، وهو ما ميّز هذا العمل بأنه مميّز وعميق وتأطيري.

يمكن وصف هذه القراءة الاستكشافية النقدية المستحدثة، بالقراءة الحوارية والتي تتجلى في مقارعة الرأي بالرأي والفكرة بالفكرة، والحجة بالحجة، " فذاك وحده الكفيل بصقل المفاهيم وشرط الترقّي في مدارج العلم والمعرفة"[3]، عبر حوار يكون فيه التكرار الدائم، والرجوع إلى القضايا ، وإعادة النظر فيها نقديا، أمرا أشبه بالمتعة، وهو ما لا يؤتى الا لناقد دؤوب ومتبصر ألف الإنصات للنصوص والتفاعل معها.

---

[1] – سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص14.

[2] – حافظ اسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر، "كتابات سعد مصلوح أنموذجا ص945.

[3] – محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، كلية الآداب سوسة دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1998، ص 18.

إن أفق مصلوح النقدي يستدعي الموضوعية والبعد عن الذاتية والتحيز، وهو القائل " ومن أشراط النقد الموضوعي هو صبر النفس على القراءة الفاحصة المتأنية لموضوع النقد"[1]، كما يتسم بالصرامة والحدة والصراحة ابتغاء لطلب العلم، وهي بلا شك ركائز تمثل أهم مبادئ نقده العلمي النزيه، حيث يعبر عنها "ولقد قصدت بعملي هذا أن يكون حوارا لا مبارزة، وأردت به الحق لا الغلبة، ومعاذ الله أن أدَّعي لنفسي فضيلة أمتاز بها على غيري، فربما كنت أعرف الناس بعيوبي ، بيد أن الخلاف في الرأي من طبائع العقول، وبه – لا بغيره–تتسع الرؤية، ويزكو العلم، وتسفر الحقيقة"[2]، ويقول أيضا في مقدمة كتابه الأسلوب :" ولست بحاجة إلى أن أوكد أني بكل ذلك حفي وسعيد، وربما كانت حفاوتي بما أبدى من وجوه التحفظ والنقد لا تقل بحال عن سعادتي بما لاقاه الكتاب من ترحيب متحمس، وفقد أتاحت لي الإستجابات المتحفظة والناقدة فرصة تقديم مزيد من الإيضاح والبيان لأمور وجوانب في الكتاب وفيما يمثله من إتجاه كانت في حاجة إلى ذلك"[3]،

وإذا سلمنا برأي الدكتور حافظ إسماعيلي علوي من "أن المراجعة مناظرة بالأساس"[4]، ولعله يقصد – فيما يبدو– أنها مفاعلة تقتضي طرفين أو وجهتي نظر،"وأن كل خطاب استدلالي يقوم على "المقابلة" أو"المفاعلة "الموجّهة يسمى مناظرة"[5]، كما أنها لفظ مرادف للمجادلة، ومن البديهي ان نجد الجدل يتخذ شكلا علميا في كل دراسة نقدية، هذه المناظرة التي قامت على بنيتين واحدة حوارية وأخرى استدلالية ، فالأولى تقوم على أساس خطاب يقوم على تبادل الآراء، أما الثانية تميزت عند الباحث بقيامها على أضرب حجاجية خطابية وليست برهانية، ممثلة في الإثبات والاستفهام، وتقليب الاحتمالات.

إن تعدد التقنيات الحجاجية عند سعد مصلوح، يرجع بالأساس إلى صفاته الفطرية ومميزاته الشخصية من قوة الحافظة، وسرعة البديهة، ، مما جعله يستولي على أبواب العلم، واعيا بمواطن

[1] – سعد مصلوح، علم الأسلوب ومصادرة على المطلوب، مجلة فصول، عدد3، 1985، ص 212.

[2] – ينظر: سعد مصلوح، دراسات نقدية في اللسانيات العربية، عالم الكتب، ط1، 1998 فاتحة الكتاب

[3] – سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 10.

[4] – حافظ اسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر" كتابات سعد مصلوح أنموذجا، ص955.

[5] – طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص 66.

الخطأ والصواب، خبيرا بأساليب الغلبة والإقناع، وما كان هدفه منها التعصب للفكرة أو مجرد الغلبة والإفحام، بل كان "هما معرفيا أصيلا للمنشغلين بثقافة هذه الأمة في حاضر أمرها وقابله"[1]،

ومحصول القول أن سعد مصلوح قد أجاد نقد الكتاب واتسمت دراسته بالعلمية والموضوعية في الطرح واستطاع النفاد إلى بعض الهنات التي أوردها تمام حسان في كتابه، كما تتسم مراجعة سعد مصلوح بكونها عبارة عن نقد تفصيلي مؤسس إلتزم فيه بالدقة والموضوعية في نقد آراء تمام حسان، حيت عمل على رصد وتتبع الدقائق وتمحيصها وإبداء الرأي حولها، ولم تمنعه الصبغة النقدية الصارمة التي تميزت بها المراجعة في كل تفاصيلها من المعالجة الهادئة و الإشادة بهذا المجهود وصاحبه، كما تتسم مراجعة سعد مصلوح بالإنضباط المنهجي، وجمال الصياغة، وحسن الأسلوب ومتانة التركيب، حيث ارتكز الباحث على "نحو النص" في نقده اللساني لمنجز تمام حسان، واتسمت معالجته النقدية بالوعي بكل حدود النظريات اللسانية بمختلف توجهاتها، وبالموضوع محل النقد، ولم يكن هدف الباحث إبانة نقاط القوة أو الضعف، ولا مجرد استعراض سلبي للأفكار التي تضمنها الكتاب المنقود، بقدر ما كانت نظرته هادفة ومتأنية، ذات تركيبة توافقية تهدف إلى إبراز مدى علاقتها بنحو النص أو مفارقتها له، وتتجلى القيمة العلمية لهذه المراجعة النقدية في إبراز الكثير من القضايا المهمة لما يمثله من حلقة وصل بين نحو الجملة ونحو النص، اضافة الى دور الفاعل لنحو النص في حل مشكلات أمن اللبس، اضافة الى توضيح مكانة المكون البلاغي ولا سيما علم البديع الذي انطوى على أهمية كبيرة عكس ما مكان يناط به في مذهب النحوي لتمام حسان وفي عموم الأنحاء التقليدية.

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص16.

الفصل الرابع

–المكون البلاغيّ عِنْد سَعْد مَصلُوح – مِن نمطية اَلجُملة إِلى تعددية اَلنَّص –

1/ تمهيد:

إن القراءة الفاحصة لجهود سعد مصلوح في هذا المجال، تثبت أن تخصصه اللساني وانصرافه إلى اللغويات لم يثنه عن إعادة النظر في الدرس البلاغي والاهتمام به، وذلك من خلال إعادة قراءته قراءة جديدة تستجيب لمتطلبات التطور العلمي الحاصل من خلال استثمار علم الأسلوب الوافد بطريقة تسمح بإعادة صياغة البلاغة العربية[1]، منطلقا من ضرورة كسر طوق البحوث التاريخية، ومحاولة تأصيل أنماط العلوم وتجديد البلاغة إلى درجة تستطيع من خلالها البحث عن الأبنية النصية وتحليلها، ومرتكزا على مسألة التراث في كل جهوده، إذ لا قيمة عنده" لفكرة تستفاد من ثقافة أخرى، لا بقدر ما تلبي حاجة، أو تحل مشكلا ،أو تضيء سبيلا"[2]، وأمام هذا الدافع لم يجد سعد مصلوح بُدًّا من التصريح عن مشروعه ونواياه المنهجية في"رسم قسمات لمشروع أسلوبي لساني عربي، يستمد روافد زكائه ونمائه من جذوره الضاربة في تربة التراب، ومن المنجز اللساني في آن"[3]،

يفتتح سعد مصلوح مشروعه الفكري بمقدمة يستعرض فيها سبب اختياره للعنوان الفرعي"آفاق جديدة"كما لا يخفي تردده ومخافته من أن يكون اختياره ضربا من ضروب الجودة والعصرنة، التي ألف الباحثون أن يرصعوا بها كتبهم، وفي أكثرها لا تعكس المحتويات والمضامين المعروضة بين دفتيها، ليمضي في هذا الإختيار وحجته في ذلك الجدّة والجودة معا، وليترك بعدها الحكم للقارئ.

في الخط الأول من بحثه يقدم الباحث استطلاعا للأطر العامة والآفاق المرجوّة للبلاغة العربية بكل أصولها من جهة، وللأسلوبيات اللسانية بكل إمتداداتها من جهة ثانية، وتستمد دراسته قيمتها من قدرته على إثارة الإشكاليات التي تشغل تفكيره في هذا المجال من قبيل: كيف نحدث في هذا النفق المظلم فرجة تنطلق من خلالها البلاغة المدرسية من ضيق الظرف التاريخي المحدود إلى سعة العصر؟ وكيف تستحيل هذه البلاغة رافدا معرفيا يمد الأسلوبيات اللسانية واللسانيات النصية بما يعين عن توطين المعرفة؟

إن البحث في هذه الإشكاليات أمر معقود بالصعوبة، وهو ما أقر به الباحث في بداية حديثه عن ان محاولة " إقامة تصور للعلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات أمر لا يُسلم نفسه في يسر وإسماح

[1] – محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ص 226.

[2] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 22.

[3] – المصدر نفسه، ص 82.

لباحث"[1] ،وهو تصور يبلغ من الصعوبة مبلغا كبيرا من حيث ربط العلاقة بين علم رسا ورسخ، في الثقافة العربية، وآخر يتلمس له مكانا فيها، وبخاصة ان الأمر يتعلق بالتركة العلمية التي خلفها السكاكي، والتي تعرضت للقص والتجزيء والإساءة المقصودة وغير المقصودة، من الكثير من النقاد والبلاغيين المحدثين، وهو ما ينبئ بجسامة المهمة التي تحملها الباحث في الدفاع عن آراء السكاكي[2]، واعتماد صيغته لتكون إطار مرجعي لتأصيل نحو عربي قائم بذاته.

كما نجد أن سعد مصلوح الذي " شغلته البلاغة العربية وقد شيعها المشيعون إلى مثواها الأخير، قدم منجزا علميا بهيّا وناصعا سواء في مجاله النظري أو في مجاله التطبيقي، إضافة إلى قراءته الفارقة لمنجز السكاكي وقد أهالوا عليه الرماد بعد أن رجموه بالحجر"[3]، حيث يقدم هذ المنجز اللغوي الرصين كحلقة وصل بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية وأنه لا يمكن عقد هذه الصلة خارج هذا الإطار، وفي إشارة تحمل سمة المقارنة يقول "أن "السكاكي" في منزلة تفوق منزلة "عبد القاهر الجرجاني فأنت تستطيع أن تختصر دلائل الإعجاز في بضعة أوراق، إذ الفكرة فيه واحدة تروح وتجيء، حتى إنه ليمكن القول إن منجز عبد القاهر في أسرار البلاغة أكبر من منجزه في دلائل الإعجاز، أما منجز السكاكي فهو المنجز الوحيد القادر على محاورة منجزات العصر أكثر بكثير من منجز عبد القاهر، لأن ما قدمه السكاكي علم يستند إلى منظومة مصطلحية منضبطة، ويستند إلى إجراءات في التحليل منضبطة إلى أبعد الحدود، ولأنه صاحب القولة التي لا ينقضي عجبي منها أن "علوم العربية علوم متآخذة" بدءا من الصوتيات وانتهاء بعلم المعاني وهو النحو العالي، وعلم البيان"[4]، وهو بلا شك قول جرئ ومخالف للكثير من التصورات الرائجة التي تتناقل صور النقد المتوارثة عن السكاكي، هذه الجهود وغيرها والتي ضمنها في كتابه "البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية —آفاق جديدة– ضمن المبحث الأول الذي عنونه ب"مشكل العلاقة بين البلاغة العربية

[1]– سعد مصلوح، في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 22.

[2] – سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ولد بخوارزم سنة 555 للهجرة ، ويظهلر ان اسرته كانت تحترف صناعة المعادن، وخاصة السكك وهي المحاريث التي تفلح بها الارض، ومن ثم شاع لها لقب السكاكي، وربما كانت تعنى بصنع السكة، وهي حديدة منقوشة تضرب بها الدراهم، وقسل بل لقب سراج الدين بالسكاكي لانه ولد بقرية تسمى سكاكة، غير أننا نجد بين من تحدثوا عنه من يسميه بابن السكاك ، ويقول صاحب روضات الجنات إنه كان في أصول أحد أبويه سكاك ، فتسب إليه ، يراجع شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف،القاهرة ،ط9،ص 286– 287.

[3] – ينظر: أحمد يوسف علي، البلاغة العربية بين الموت والاحياء، المصدر نفسه، ص37–38.

[4] –سعد مصلوح موقع الأستاذ محمد حماسة ،تاريخ الدخول 2022/08/17 https://2u.pw/mvIVI

والأسلوبيات اللسانية"، والذي جاء مشفوعا بأربعة مباحث تطبيقية متتالية وهي: مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، في البلاغة والتكافؤ النحوي بين العربية والإنجليزية والروسية، من الجغرافيا اللغوية إلى الجغرافيا الأسلوبية،حاشية أسلوبية على لغة الخطاب النقدي، نحو أجرومية للنص الشعري، بغية تحرير العلاقة بين البلاغة واللسانيات الأسلوبية، وفي البحث الأول جاءت محاولة الباحث في إعادة قراءة أخطر كتب البلاغة العربية كما يصفه، وهو كتاب" مفتاح العلوم" لصاحبه أبو يعقوب السكاكي، قراءة واعية تحكم صلتها بالمنجز اللساني الغربي، وهو أمر لا يتأتى حسب رأيه إلا بفحص مضمرات التراث العربي، وتسليط الضوء على منجزات القدامى، لاستجلاء أهم القيم وتنميتها وإعادة صياغتها من جديد بما يتوافق والنظريات الحديثة، معتمدا على الصيغة السكاكية في هذا المضمون، لتحقيق مبتغاه، ومعتبرا إياها "أوفق الصيغ التي يمكن الإستعانة بها في صياغة نحو النص العربي، لما لها في هذا المقام من مزية لم تتفق لغيرها، ومن الأحكام ما يزكيها لتكون الإطار المرجعي في العربية، إذا ما أردنا للنحو النص العربي تأثيلا و تأصيلا "[1]، كما يمكننا القول في هذ الإطار أن إعادة الصياغة للتراث من منظور الباحث لا تكمن قطعا في تطويعه واحتكاره وإخضاعه للتأويل المحتوم، بقدر ما هي إعادة قراءة علمية وموضوعية هادفة إلى استخراج مكامن الابداع الخبيئة فيه .

2/ العلاقة بين البلاغة ولسانيات النص من منظور سعد مصلوح:

تفتح هذه العلاقة المتآخدة والمتداخلة بين العلوم، مشروعا فكريا عند سعد مصلوح من خلال علاقات الترابط الوثيق بين والبلاغة والأسلوبيات اللسانية اللسانيات النصية ، وما يميز الإطار العام لهذه العلاقة التقارب المنهجي بينها، ووجود الكثير من الإرهاصات النصية في الحقلين المجاورين، وهو ما أشار الكثير من العلماء لمثال فان دايك وشبلنر .....فاذا كانت مهمة علم النص الأساسية هي توصيف النصوص، وكيفيات اشتغالها، وجعلها موضوعا لدراسة علمية متكاملة ، وهي خاصية أتاحت لعلم النص توسيع مجالاته البحثية لتصل إلى مختلف العلوم، داخل إطار "عبر تخصصي"، وهو ما جعل علم النص يطمح إلى دراسة أنماط النصوص وأبنيتها وفي سياقاتها ومضامينها المتنوعة، هذا التوسع في التحليل دفع بالكثير من العلماء إلى اعتبار علم النص بديلا شرعيا تنصهر في بوتقته الكثير من العلوم المقاربة، يقول صلاح فضل "ان المتتبع لنمو الاتجاهات البلاغية الجديدة، وتخلفها

[1] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة الى نحو النص، ص 432.

في العقود الأخيرة يلاحظ زيادة الاعتراف بعدم كفايات مشروعاتها التخطيطية واتجاهاتها الشكلية حتى الآن، مما يجعلها تمضي في تكوين مشروع البلاغة النصية، الذي يصب بدوره في مجال التوحيد بينها وبين علم النص"[1]، وهو ما يفضي إلى الضرورة الملحة لتلافي العجز الحاصل، والإنطلاق إلى المشروع الذي يوحدها مع نحو النص، ومن الأدلة التاريخية على هذا الإرتباط الوثيق بين العلوم الثلاثة نجد أن "البلاغة والدراسات الأسلوبية في الماضي فروعا علمية قديمة تشترك مع علم اللغة والدراسة الأدبية في مجال هام ، فقد أصبحت في السنوات الأخيرة فرعا جديدا في نشأته ، وهو ما يرمز له بنحو النص أو بعلم اللغة النصي أو بنظرية النص أو بعلم النص، وذلك بناء على وجهات النظر المختلفة" [2]، كما يشير "فان دايك" إلى: أنّ البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة. لكننا نؤثر مصطلح علم النص، لأن كلمة البلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبية خاصة. كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع. وإذا كانت البلاغة قد أخذت تثير الاهتمام مجددا في الأوساط اللغوية والأدبية فإن علم النص هو الذي يقدم الإطار العام لتلك البحوث، مما يشتمل على المظاهر التقنية التي لا تزال تسمى بلاغية"[3]، وهو كلام يوضح بجلاء كبير العلاقات الناظمة بين العلوم، وخاصة فيما يتعلق بالأدوات الإجرائية المستعملة في التحليل، كدراسة العلاقات ومختلف القرائن والتي يضمنها علم النص، وبناء عليه يجب على البلاغة تحيين وسائلها التحليلية، لبلوغ هذا المرمى، وقوله أيضا "إن علم النص يدرس الأقوال اللغوية في كليتها، كما يدرس الأشكال والبنيات الخاصة بها، تلك التي لا يمكن وصفها بواسطة النحو، من هذه الزاوية يقترب علم النص من البلاغة، بل يمكن اعتباره ممثلا معاصرا (بل عصريا) لها"[4]، إنّ إدراك سعد مصلوح لهذه العلاقة بين العلوم هو ما حاول أن يجسده على الواقع من خلال ملاحظاته" لاتجاهين علميين واضحين هما اتجاه الدراسات الأسلوبية واتجاه لسانيات النص، وكلاهما يمثل منحى لسانياً متقارباً بخاصة أنهما من اللسانيات الاحتمالية، لكن بمنهج مختلف، لذلك تتداخل الجزئيات وتتشابك المجالات والمعالجات، ومن أمثلة هذا ما نلحظه في بحث "حاشية أسلوبية على لغة الخطاب النقدي"، حيث يتشابك الأسلوبي مع

[1] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992، ص231.

[2] – برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الاسلوب البلاغة وعلم اللغة النصي، ص 183.

[3] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص234.

[4]– محمد العمري، النص بناته ووظائفه، نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، 1996، ص 46.

النصيّ في كيفية معالجة مسائل البحث"[1]، ولذلك جاز لبعض المحدثين الدعوة إلى دراسة التراث البلاغي مع الإفادة من مستجدات اللسانيات المعاصرة، "بأن نأخذ من النص البلاغي القديم ما يتدرب عليه المتلقي في معرفة كيفية الاشتغال به، ثم نقدم الفكر البلاغي بأسلوب حضاري قريب من أبناء الجيل المعاصر، وبهذا نبقي على التراث في خدمة المعاصرة، وعلى الحداثة في نظر التراث، فلا نهمل واقعنا، ولا نهدم ماضينا بل نأخذ من أسلوب الأمم الأخرى في بلاغتهم ما يجلي بلاغتنا ويكشف أسرارها، ويقوي أساليبها، ويبرز وظائفها ويعين على إبراز تجلياتها، والاستفادة من العلوم الإنسانية في فهم محيطها النفسي والاجتماعي والحضاري والتربوي والبيئي وبهذا نكون قد استفدنا من نظرية المعرفة، وتضافر العلوم، وأقمنا بلاغتنا على أسس وأصول تعترف بالتركة البلاغية القديمة التي ورثناها عن أجلاء علمائنا وشيوخنا"[2]، هذه التحولات التي أثرت في الساحة الفكرية، وأنتجت مناهج مختلفة،" انبنت عن وجود صور تعد أساسا لوصف مشكلات نصية، قبل نشأة علم النص بوقت طويل، ويرجع مسار تراثي مهم في علم لغة النص إلى علم البلاغة الكلاسيكي" [3]، وهذا بالنظر إلى التقارب بين العلمين الذي جعل حسن بحيري يقول "بأنه لا يخفى أن لمناقشتنا لحدود البلاغة وعلاقتها بعلم النص دلالة واضحة على الصلة بينهما إلى الحد الذي جعل بعض الباحثين يعدها السابقة التاريخية لعلم النص[4]، هذه العلاقة الثلاثية التي شكلت مدار القول عند الباحث، وجعلته يضطلع بمهمة استكشاف هذه العلاقة ، واستضاح حدودها، والتي أثمرت بجهود تطبيقية وإجرائية في هذا المجال من خلال مؤلفاته في هذا المجال البحثي، ليتوصل إلى أن اللسانيات النصية وعلم الأسلوب إنما يشكلان طرفي هذه العلاقة المتآخذة سواء باعتبار علم الأسلوب جزءا من اللسانيات أو علما موازيا لها، ومهما يكن فأنهما يشكلان خط الوصل بين البلاغة العربية والأسلوبيات وصولا إلى المحط الأخير وهو اللسانيات النصية، " وإذا صح لدينا – وهو ،إن شاء الله صحيح– أن الأسلوبيات اللسانية لا تموت، وأنها غدت مكونا فاعلا في تحليل بنية الخطاب وأجرومية

[1] – عبد السلام السيد حامد :لسانيات النص عند الدكتور سعد مصلوح، ص 542.

[2]– محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء الاسلوبية ونظرية السياق، دار وائل للنشر، ط1،2003، ص36.

[3] – ينظر: فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر، مدخل الى علم النص، تر/سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004 ص 11.

[4] –سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص5.

النص" [1]، وعلى ضوء هذه العلاقات المتواشجة حاول مصلوح تقديم مشروعه من خلال إعادة قراءة كتاب" مفتاح العلوم " السكاكي قراءة تطويرية وعصرية ،في سبيل توافق حضاري يمكن أن يكون أنموذجا محتذى في كونه امتدادا لجهود الرواد القدامى في افق عربي معاصر، يضمن الإنتقال السلس بين الثراث والمعاصرة، ويشكل نقطة محورية في إلتقاء العلوم، ولا يتأتى ذلك إلا لباحث ذا تجربة واسعة، وصاحب رؤيته مستفيضة وشاملة حيث يقول :" أَنَّ لنا – والحال على ما سبق بيانه – أن نستشرف للبلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاقا طرية تبرأ بها من قوادح العلل، وتقيم الموازين القسط بين التنظير والتطبيق، وتسوق من البراهين ما يصحح القول بحاجة العربية ونتاجها في القديم والحديث، لا إلى هذين العلمين الشريفين بخصوصهما بل إلى كل اجتهاد يتغيّا به صاحبه

خدمة الثقافة في لسان العرب؟"[2].وهذا الاستشراف يفضي إلى أن اللسانيات النصية هي جسر التلاقي بين البلاغة والأسلوبيات اللسانية.

3/ اتجاهات البحث البلاغي:

تحدث الكاتب عن الاختلافات المتباينة بين الدراسات التي تناولت الدرس البلاغي، مبينا أهم الأسس التي قامت عليها، فتحدث عن دراسة شوقي ضيف الذي جاء عمله منضبطا موجها بشكل عملي ألى مسح شامل للبلاغة عبر تاريخها الطويل، إضافة إلى أنه قام بدراسة أهم المؤلفات وقام بتصنيفها ورصد اتجاهاتها وفي ذلك يقول "ولم تكن غايتي أن أصور هذا التاريخ لبلاغتنا فحسب، بل أيضا أصور الترابط الوثيق بينها وبين أدبنا في تطورهما حتى انتهيا إلى الجمود والتعقيد والجفاف، وأن أرسم في تضاعيف هذا التطور الوشائج الواصلة بين كل بلاغي وسابقه ولاحقه[3] "، والجدير بالذكر أنها لم تقتصر على السرد التاريخي للبلاغة بقدر ما كان يتوق إلى رسم حلقة من حلقات الربط بين التراث والحداثة، حيث جعل الجاحظ خاتمة الفصل الأول الذي يتكلم عن نشأة البلاغة، ليشرع في الحديث عن الدراسات المنهجية التي تناولت الدرس البلاغي وقد صنفها إلى دراسات لبعض المتفلسفة ككتاب نقد الشعر لقدامة ابن جعفر، ثم دراسات لبعض المتكلمين النكت في إعجاز القرآن للرماني، إعجاز القرآن للبلاقاني، ودراسات لبعض المتأدبين كالصناعتين لابي الهلال

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 13.

[2]– المصدر نفسه، ص 14.

[3] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، (د.ت).ص 09.

للعسكري، والعمدة لابن رشيق القيرواني، وسر الفصاحة ابن سنان الخفاجي، ليظهر تقسيم آخر على **أساس تقويمي** فتكلم عن عصر ازدهار الدراسات البلاغية ومثله كل من الجرجاني والزمخشري، وعصر الجمود والتقعيد ومثله الرازي والسكاكي وعنوان دراسات جانبية انحرف أصحابها إلى التلخيصات والشروحات ومثله ضياء الدين ابن الاثير، يرى الأستاذ أحمد يوسف علي" أن رؤية شوقي ضيف قد غلب عليها الطابع التعريفي التعليمي، حيث ترجع في أصلها إلى محاضرات لطلاب الجامعات وجمعت فيما بعد في كتاب عنوانه" البلاغة تطور وتجديد" الصادر في ستينيات القرن الماضي، وهو مؤلف غلبت عليه النظرة العامة شأنه في ذلك شأن المؤلفات التي تزامنت معه ككتب طه حسين وأحمد أمين "[1].

يرى الباحث أن أجمع واخصر تقسيم هو تقسيم **أمين خولي** للبلاغة حيث قسمها إلى مدرستين "الكلامية" والمدرسة "الفنية"، وكان مرجعه في ذلك مبحثا الإعجاز والأدب وقد تعذر عليه تصنيف حاسم للبلاغيين وانتاجاتهم، وقدم سعد مصلوح تصورا يمثل أهم الملامح والمميزات إتجاهات الدرس البلاغي:

اتجاه أصولي: يقوم على معالجة القوانين العامة لظاهرة الأدب، وبيان أصولها الفلسفية والنفسية، ومثله قدامة بن جعفر في نقد الشعر، وابن وهب في البرهان والقاضي عبد الجبار في المغني، والجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وبشكل أكثر وضوحا في كتاب مناهج البلغاء للقرطاجني.

اتجاه وظيفي: يقوم على النظر في النصوص الالتماس فنون البلاغة، واستعراض شواهدها، وتوظيفها في المعالجة النقدية والتقويم الأدبي، وقد مثله نوعان من الكتب تسايرا وامتزجا، فكان منهما ما انصرف إلى ما يشبه النقد التطبيقي، أما في شعر شاعر بخصوصه، مثل الوساطة لعلي ابن عبد العزيز الجرجاني، وأما في شكل موازنة بين أكثر من شاعر مثل الموازنة للآمدي، واما في كتب امحضت في معالجة الفنون البلاغية من خلال النصوص، مثل البديع لابن المعتز.

اتجاه تقعيدي: يقوم على تمييز حدود واضحة بين العلوم البلاغية، وبيان مباحثها، وتوضيح الصياغة النهائية للعلم، ومثله السكاكي في مفتاح العلوم، "الذي نهج منهجا فريدا كثر من بعده السالكوه.

[1] ينظر: أحمد يوسف علي، سؤال البلاغة عند سعد مصلوح http://www.alkalimah.net /

يرى أحمد يوسف علي أن هذه التصنيفات ليست قطعية ولا حاسمة من خلال صعوبة إيجاد حدود فاصلة بين هذه المصنفات المعروضة للتصنيف، فكثيرة هي الكتب التي تعد مصادر نقدية بامتياز كمصنفات ابن طباطبا وقدامة والآمدي وعبد العزيز الجرجاني التي مثلت ملاذا للباحثين عن القضايا النقدية الكبرى حول طبيعة الشعر ووظيفته ولغته والاختلاف على طرق الكتابة الشعرية واختلاف شعر المتنبي عن غيره، يضاف إليه ماوصلت إليه قضية الاعجاز من مصنفات الباقلاني وزميليه الرماني والخطابي ثم القاضي عبد الجبار المعتزلي وبعدهم عبد القاهر الجرجاني والزمخشري وصولا إلى السكاكي في مفتاحه، وفي الحقيقة هي مصنفات للدرس البلاغي في أوضح تجلياته وما انتهى إليه في صورة نظرية النظم، ليذهب إلى صعوبة التصنيف وفق الاتجاهات كما يمكن النظر إليه وفق منطلقات البحث"[1].

أفضت القراءة المنهجية لسعد مصلوح إلى اعتبار كتاب "مفتاح العلوم " من أوفق الصيغ في محاورة اللسانيات المعاصرة، ومنطلق ذلك أن الباحث يرى من زاية مغايرة تماما أنه وان عد كتاب السكاكي في بداية التأليف التقعيدي، فهو في نظره من كتب الاتجاه الأصولي لأنه ببساطة يعالج قضية أصولية وهي " علم الأدب" في مظهره العام، معتبرا أنه يشارك في هذه الخاصية كتاب حازم القرطاجني في كتابه"منهج الأدباء وسراج البلغاء"وإن كان المنحى مختلف فقد اشتركا في الهدف والغاية.

ينطلق الباحث من مجموعة من الإشكالات التي تلف السكاكي وكتابه "مفتاح العلوم " ليحاول الإجابة عليها والتي نجدها تنوعت بين ما يخص الكتاب وقيمته العلمية، وبين دوره في رسم الطريق إلى اللسانيات المعاصرة:

- ما مكان الرجل وكتابه من هذا التصنيفات؟
- إلى أي مدى يمكن اعفاء وتبرئة السكاكي مما نسب اليه من جمود وتحجر للدرس البلاغي؟
- وما حظ الصيغ التجديدية البديلة من التوفيق؟

[1] ينظر: أحمد يوسف علي، سؤال البلاغة عند سعد مصلوح http://www.alkalimah.net /

– إلى أي مدى يمكن اعتبار نظرية السكاكي أنموذجا صالحا لتشكيل السيرورة العلمية مع العلم الوافد؟

– ما هي القراءة الأنجع والأوفق في محاورة التراث في هذا المقام؟

وفي قراءة سريعة لطبيعة الأسئلة، نلاحظ التتابع المنهجي السليم والتدرج الواعي الذي مؤداه أن كل سؤال يحيل إلى الثاني بطريقة مباشرة، فمن السؤال عن مكان الرجل من التصنيف إلى السؤال عن مسؤوليته مما نسب إليه، لينتقل إلى حظ الصيغ التجديدية من التوفيق، وصولا إلى سؤال يقوم عليه مدار القول وهو نظرية السكاكي ومدي صلاحيتها في محاورة الدرس اللساني الحديث، ولربما هذا ما يميز منهجيته الرصينة للوصول إلى المعرفة الحقة.

استقر في لدن المحدثين ما نسب إلى السكاكي من تعقيد للبلاغة وتقعيد لقواعدها، ومن كثرة الاصطلاحات والتقسيمات التي أفسدت الذوق الأدبي، والذي يوشك أن يكون محل اجماع، ومن أمثلة ما ورد ماذكره طبانة في حديثه عن البيان البلاغي من أن السكاكي صبغه بصبغ عقلية وليست بيانية، وأنه قد تفرد بهذا الطرح عمن سبقه، وجعل دراسته تشبه الى حد كبير دراسة مباحث النحو والصرف والاستدلال والعروض، ولم ينظر الى طبيعته التي تختلف اختلافا بينا مع تلك العلوم المقاربة، إضافة إلى نقده لثلاثية السكاكي الشهيرة، ويستخلص ذلك كله ليقول" والواقع انه لم يفسد البلاغة العربية أو البيان العربي مثل تمحيص السكاكي أو تهذيبه وترتيبه الذي مجّده ابن خلدون"[1]، ويقول عنه محمد عبد المنعم خفاجي أنه "ظهر فجأة السكاكي بعقليته المنطقية وذوقه الأعجمي، فأحال البلاغة إلى جدل عقيم في الألفاظ والأساليب ، وإلى قواعد جافة لا صلة لها بالذوق ولا بالحياة ، وكثر تلاميذ السكاكي ، وانتشر مذهبه في البلاغة الذي يمثله القسم الثالث من كتابه المفتاح، والذي عني فيه بالقشور لا باللباب وبالتوافه لا بالحقائق"[2]، أما شوقي ضيف حيث يقول"ومما لا ريب فيه أن السكاكي أفسد مبحث التشبيه بما وضع فيه من هذه الأقسام الكثيرة التي تحولت به إلى مجموعة كبيرة من الأرقام، وهي أرقام لا تفيد شيئا في تربية الذوق إلا ضروبا من التعقيد والتصعيب، وكأننا بإزاء مسائل هندسية عسيرة الحل، وهي مسائل جلب فيها غير قليل من

[1] – بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، 1958، ص 200.

[2] – محمد عبد المنعم خفاجي، محقق الايضاح في علوم البلاغة، دار الجبل بيروت، ج2، ط3، 1993، ص179.

اصطلاحات المناطقة والمتكلمين، وكان حريا به أن يقتدي بعبد القاهر في تحليلاته البارعة للتشبيهات المختلفة، دون محاولة هذا الحصر العقلي الدقيق. وكأنما لم تعد المسألة عنده محاولة تفهم أساليب التشبيه والوقوف على قيمها البلاغية، بل أصبحت مسالة وضع القواعد والاصطلاحات و التقسيمات"[1]، وان كان في نقد شوقي ضيف نوع من المغالاة في ضرورة الاقتداء بنهج الجرجاني الذي كما أسلفنا سابقا إلى أن نهجه يفتقر إلى المنهجية المحكمة، إضافة إلى تمثله أسلوب الجاحظ في كثير من الأحيان، وان رؤية شوقي ضيف لوجوب مقارنة الجرجاني تكرس مظاهر التكرار في الدراسات العربية. ويضيف إلى أن " تلخيص السكاكى لعلمي البلاغة: المعاني والبيان وما ألحقه بهما من الفصاحة، المعنوية واللفظية وما يتبعها من المحسنات البديعية، وهو تلخيص أشاع فيه كثير من العسر والانماء ، بسبب ما عمد إليه من وضع الحدود والأقسام المتشعبة ، فإذا المباحث البلاغية تشبه غابة بل دغلا ملتفا لا يمكن سلوكه إلا بمصابيح من المنطق ومباحث المتكلمين والفلاسفة ، وهي مصابيح ماتي ترسل إشعاعات تخنق خلايا النضرة في الدغل الكثيف . وكثيرا ما تتراكم هذه الإشعاعات تراكما يحجب تمنا بنات الخلايا الحية التي كنا نتمتع برؤيتها عند عبد القاهر والزمخشري ، وإن لم يحجبها أفسد أنسجتها إفسادا بما أدخل عليها من مواد غريبة"[2].

4/ السكاكي في دائرة النقد

انتظمت المآخذ التي وُجهت للسكاكي على صنفين أولهما انصرف إلى مناقشة قسمة السكاكي ومدى صوابها، والثاني إلى طغيان الطابع الفلسفي المنطقي للبلاغة العربية، وقد تفرع هذا الصنف إلى قسمين تفرقا في تحديد موقف ناقدي السكاكي من البلاغة أهي علم أم فن؟ حتى قيل ان البلاغة عاشت في كنف الفلسفة، وقد تأثرت بالفلسفة، والمنطق في النشأة، والتطور، والضبط، والغاية، كما لا يمكن الأخذ بها من عدة زوايا أولها، وجوب الاعتراف بسمة التداخل والتكامل بين العلوم، مع ضرورة إدراك التمايز بينها، إذ إن لكل علم حُدوده العلمية، التي وجب الاحتفاظ بها، إضافة إلى وجوب التمييز بين علاقة البلاغة بالفلسفة وعلاقتها بالعقل، فاعتماد البلاغة على العقل حقيقة علمية أدركها السكاكي في إدراجه قسم الاستدلال، وهو قسم متمم للبلاغة، وليس جزءا منها، ولا شك ان القراءة السياقية التاريخية للدرس اللغوي، تجسد صور الخلاف حول آراء

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 302-303.

[2]– المرجع نفسه، ص 313.

السكاكي، بداية من الخطيب في الإيضاح، الذي أبدى مخالفته في شأن الحقيقة والمجاز، وفي مبحث المجاز العقلي، وهذا النوع من الخلاف لم يؤثر على القسمة الثلاثية في شيء، إلى العصر الحديث واجمع ما قيل من النقد البلاغي للنظرية السكاكية هو ما وجهه مصطفى المراغي حين ناقش التقسيم "ولا نرى لهذا التقسيم وجها صحيحا، ولا مستندا من رواية ولا دراية"[1]، ومرده إلى أن البلاغيين الذين سبقوه أمثال أبي الهلال العسكري وابن سنان الخفاجي، والجرجاني لم يشتغلوا بهذا الأمر ولا ينحو نحوه، ليوضح الباحث إن إحدى الحجتين "تفريع على الأخرى، وان إبطال مذهب السكاكي من جهة الرواية ليس بحجة عليه، بل يوشك ان يثقل موازينه، ويرفعه الى مراتب أهل الفقه والجهاد"[2]، كما "لا يمكن أن يقوم هذا دليلا على فساد منهج السكاكي؛ لأن الأول للآخر شيئا، وهذه قاعدة ينبغي أن لا تتخذ دليلا في البحث العلمي، وإلا ثبطت العزائم وفترت الهمم وترك الناس البحث والتتبع"[3]، لخص الباحث أهم ما قاله المراغي في جملة من النقاط[4]:

– إن الثمرة المستفادة من علم المعاني "وهي معرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال "تستفاد أيضا من علم البيان، لأننا لا نعبر باستعارة ولا كناية إلا إذا اقتضاها المقام، وهي نقطة لايمكن الاخذ بها لأن السكاكي قد أشار إلى أن مطابقة الكلام موجودة في علم المعاني والبيان، وان كان في المعاني اكثر وضوحا فلا بد من مطابقة الحال وإلا فلن يكون الكلام مؤديا للغرض،

– ما يصدق في هذا الباب على علمي المعاني والبيان يصدق أيضا على البديع، فلا يصح لذلك أن يعد التحسن فيه عرضيا لا ذاتيا،

– إن تداخل المباحث في هذه الأقسام ورد عند بعض المؤلفين، ولو كانت الحدود واضحة لامتنع التداخل والاختلاط

– إن المعوّل عليه في هذا الباب هو رأي عبدالقاهر من وجوب تقسيم البلاغة إلى "علمين متمايزين"، فنسمي العلم الذي يبحث في فصاحة النظم "علم معاني النحو"، أو "علم المعاني"، على سبيل

[1] – أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مطبعة الحلبي، مصر، ط1،1950، ص32.

[2] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبية اللسانية، ص 33.

[3] – أحمد مطلوب، منهج السكاكي في البلاغة، مجلةالمجمع العلمي العراقي، بغداد، العدد10،1962، ص283.

[4] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 34.

الاختصار في التسمية، والعلم الذي يبحث عن فصاحة اللفظ، أو عن معنى المعنى بعلم البيان، وتكون التسمية مجرد اصطلاح، وإلا فالكل بحث بياني.

– أن الفضل يرجع إلى عبد القاهر في نظر السكاكي إلى تسمية العلم الأول "علم المعاني"، لما كان يردده من قوله: ليست أسرار النظم إلا معاني النحو"، فاختزل السكاكي هذا الاسم وسماه علم المعاني

– إن ثمة تفاوتا في تحديد الغاية من كل علم عند السكاكي، إذ إن فائدة العلم الأول هي "معرفة أحوال اللفظ العربي التي تطابق مقتضى الحال وهي فائدة بالسلب، لكونها مجرد المعرفة، ولا تتضمن القدرة على إنشاء كلام يفي بأشراط العلم. أما الغاية من علم البيان فإيجاب، إذ به نستطيع ان نعبر عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة، وكان الأولى أن تتساوى الغايتان سلبا وايجابا.

يطلق الباحث بعض الملاحظ في قول المراغي لبين ماله وما عليه:

– إن تعريف السكاكي لعلمي المعاني والبيان يتضمن وجوب مراعاة مقتضى الحال، ولذلك ينصرف نقد المراغي إلى تعريف الخطيب القزويني لعلمي المعاني والبيان، ولا سبيل له على تعريف السكاكي لأنه ليس من الحكمة أن ينتقد السكاكي من خلال كلام الخطيب القزويني.

– أن «البديع» في مفتاح العلوم لم يظهر بوصفه علما مستقلا، بل إن فنونه لم توضع تحت هذا المصطلح بعينه.

– أن تداخل المباحث البلاغية بين الأقسام هو اختلاف في التفاصيل لا يصح أن يحتج به لإبطال القسمة من أساسها.

– إن من حق السكاكي أن يخالف عبد القاهر في اجتهاده لتقسيم علوم البلاغة، وقد فعل، فجعلها على علمين: علم المعاني وعلم للبيان ولكن العلم الأعم عنده هو علم المعاني، وليس علم البيان إلا شعبة منه

– لا يسوغ أن يكون سبق عبد القاهر إلى تحديد علم المعاني مبطلا لصحة القسمة الثلاثية عند السكاكي

– في تمييز المراغي بين الغاية من علم المعاني والغاية من علم البيان، بين غاية بالسلب، وأخرى بالإيجاب تمسك لا مسوغ له بظاهر اللفظ، إذ المعرفة إساس القدرة، والقدرة لا تتحقق إلا عن معرفة، فهي مما لا يتم الواجب إلا بها.

أفرد أحمد مطلوب فصلا كاملا لنقد المذهب السكاكي، وقد لخص حججه في قوله: إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال تشمل مباحث البلاغة كلها، وان تتبع خواص تراكيب الكلام لا تخص نوعا واحدا من أقسام البلاغة، وإن الاستحسان والاستهجان ينطبق على موضوعات البلاغة كلها، وإن إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان لا تخص البيان وحده، وإنما يشمل جميع مباحث البلاغة"[1]، ومعناه أن مسألة الإبانة التي أسندت إلى علم البيان عند السكاكي، يقوم بها علم المعاني أيضا، ومشكلة ذلك أن تأدية المعنى بطرق مختلفة بالزيادة أو في النقصان تكون في موضوعات علم المعاني، إضافة إلى الإحتراز من في تعريف السكاكي لعلم المعاني : "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز عليها عند الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة"[2]، ليردف أن تتبع خواص الكلام ليس من عمل علم المعاني فحسب بل يمكن أن يكون ضمن عمل البياني أيضا، فالتداخل قائم بين العلمين بدرجة كبيرة، من خلال أن كليها يحترز بالوقوف عليهما من الوقوف على الخطأ وفي مطابقة مقتضى الحال وأيضا في أنه إختص البيان وحده بأداء المعنى وهو أمر يخص علم المعاني أيضا، كما لا يمكنها أن تكون جوهر الفرق بين العلمين، ليوضح الباحث أن حجج مطلوب ليست ذات تأثير كبير، ومرد ذلك إلى امكان وقوع الظاهرة تحت بابين مختلفين من جهتين مختلفتين.

ورغم كا ماقيل عن السكاكي ومدرسته، عن مسؤوليته عن الجفاف والتحجر و الجمود الذي أصاب البلاغة العربية، إلا أننا نجد انه أول من ضبط قواعدها وجمع شتاتها، ومن ثمة" فشرف للبلاغة أن تكون علما ، من أن تكون بحوثا مبعثرة ، لا تلتزم بخطة ، أو منهج يضبط حركتها، فلا نتصور

[1]– أحمد مطلوب، منهج السكاكي في البلاغة، ص 293.

[2] – يوسف بن محمد السكاكي: مفتاح العلوم، ص161.

أن تعاب دراسة ما بأنها أخذت ثوبا علميا منظما، بل الأوفق أن تكون العلمية صفة مدح لا ذم وهو ما تصبو إليه أي دراسة قديمة أوجديدة "[1].

5/ مشروع الخولي وأحمد الشايب من منظور الدكتور سعد مصلوح:

يرجع الباحث المحاولات الأساسية الأولى في تجديد البلاغة العربية، **لأمين خولي** في كتابيه فن القول"وهو المؤلف الذي تضمن بذوره الأولى في الفكر التجديدي للبلاغة العربية، المبنية على أسس تنظيمية يمكن من خلالها التطلع إلى متطلبات العصر، مُظهرا آفاق هذا العلم النفسية والاجتماعية والأسلوبية المختلفة، وكتابه "مناهج التجديد في النحو البلاغة وتفسير الادب"، حيث يقول في كتابه فن القول إن " قصور البلاغة القديدة الفادح، وعجزها عن تناول الأعمال الفنية المحدثة في شمولها و كليتها، نتيجة للنزعة الجزئية المسيطرة عليها، مما يجعلها تقف عند حدود الجملة أو في مقامها، وضرورة تطويرها حتى تشمل المتتاليات والنصوص بكاملها"[2]، وقوله في مقام آخر:"وأما التحلية، فبأشياء منها توسيعة دائرة البحث وبسط أفقه، فلا يقصر على الجملة كما كان في القديم من عمل المدرسة الكلاسكية، الذي لم تأت المدرسة الأدبية بشئ ذي غنا، فإننا البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر، ننظر إليها نظرتنا إلى كل متماسك وهيكل متواصل الأجزاء، نقدر تناسقه وجمال أجزائه، وحسن ائتلافه ونتحدث فيما لا بد منه في هذه النظرات من شؤون فنية"[3]، مُشيدا باللفتة الرائعة الداعية إلى مجاوزة البحث البلاغي الى مستوى النص، وذلك لان البلاغة اعتمدت في أول الأمر على الجملة ولم تتجاوز إلى النص وهوما يجعل هذه الدعوة سابقة إذا ما نظرنا إلى الوقت المتقدم الذي قيلت فيه، ويصرح الباحث إلى أنه" تجاوز لابد في الوقت نفسه من أن يصحبه حركة مواكبة من اللسانيات العربية تكون بها ظهيرة قويا للدرس النصي عامة، والدراسة النص الأدبي خاصة، وبذلك تصل الأواصر بين الدرس اللغوي والبلاغي في التراث والدرس الأسلوبي واللساني المعاصر على نحو تتجدد به الأصالة، ويتحول به التراث إلى قوة فاعلة في وعينا بالظاهرة الأدبية"[4].

---

[1] – محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالة للنشر لونجمان، ط2، 2007، ص02.

[2] – أمين خولي، فن القول، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1996، ص10.

[3] – المرجع نفسه ص186.

[4] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 72.

استظهر الباحث أعم ما ورد في صيغة امين الخولي، أين ينطلق من دراسة القديم و تمحيصه بوصفه المدخل الأساسي للمعرفة اللسانية المعاصرة، وفهو قد قسم البلاغة إلى قسمين المدرسة الكلامية(العلمية) ويمثلها كل من السكاكي والرازي والقزويني، والتفتازاني وغيرهم... ، والمدرسة الأدبية الفنية ويمثلها كل من قدامة ابن جعفر وابن المعتز وأبو الهلال العسكري والبلاقاني وابن الرشيق، وابن سنان الخفاجي والجرجاني وغيرهم... ولكل مدرسة طابعها الخاص وجملة من الكتب التي ألفت في هذا الجانب ، كما دعى إلى وجوب الابتعاد عن المدرسة الكلامية في درسها للبلاغة، وضرورة احياء المدرية الفنية، ويرجع الباحث تقسيم الخولي على هذه الشاكلة إنما ينطلق من رؤيته الخاصة في وضع البلاغة، وما ينبغى أن تكون عليه مستقبلا، وهوما يتفق فيه مع الكثير من البلاغيين وفي كون التقسيم القديم لا أساس له من الصحة، كما يدعو إلى مخالفة القسمة الثلاثية للسكاكي، وتقسيم البلاغة إلى قسمين هما: بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني، وهو مكمن الاختلاف مع سعد مصلوح من كون هذه القسمة غاية الصعوبة، إضافة إلى التناقض والغموض الذي يكتنفها، ويشير إلى صلاحية القسمة الثلاثية في هذا المضمون لأنها أوضح لمباشرة النصوص.

أما بخصوص صيغة الشايب يرى الباحث أنها تمثل أقرب صيغة تجديدية إلى روح العصر، وذلك من خلال كتابه الأسلوب الذي صدر سنة1939 ، وعن هذا الهدف التجديدي يقول أحمد الشايب" وهذه فصول في الأسلوب، مهدت لها ببيان ما ينبغي، أن نسلكه في درس البلاغة العربية، حتى يساير الدراسات العربية في درسنا الحديث"[1]، ومن جملة الفضائل التي عددها الباحث لهذا الكتاب، ريادته في الدعوة إلى إعادة قراءة البلاغة العربية قراءة تستجيب لروح العصر، وكذا عقد الصلة بين العلمين البلاغة العربية والأسلوبيات، وهو ما يتجلى من خلال عنواني الكتاب الأصلي" الاسلوب" والعنوان الفرعي" دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البيانية" ، والذي مخالفا لما كان سائدا لما له من وقع خاص عند الباحثين آنذاك، ولعله أول كتاب عربي بهذا العنوان، وبيان الآفاق المنتظرة من عقد الصلة بين العلمين ، إإضافة إلى شواهده التي حرص أن تكون من الأدب العربي قديمه وحديثه، وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة إلى الكتاب إلا أنها لا تنقص من قيمته العلمية والمعرفية، يردف الباحث جملة من المآخذ والاعتراضات حول الكتاب، ومنها غياب بعض المفاهيم الفاعلة في البلاغة العربية على سبيل علم المعاني، والبيان والبديع، إضافة تصوره للأسلوب جاء مفرغا من البعد

[1] – أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البيانية، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1991، ص4.

اللساني، وكذا غياب منهجية في الطرح وضعف المنطق التحليلي، وقرب المؤلف من أسلوب النصح والإرشاد ، وكذا غياب المنهج الإحصائي لما له من أهمية معرفية كبرى.

6/ النظرية البلاغية المنهجية عند السكاكي:

مرّ البحث البلاغي بمستويات مختلفة إلى ان تحددت معالمه، واتضحت حدوده غير انها لم تكن تحت علم محدد أو تصنيف مقنن، بل كانت في مجملها عبارة عن دراسات متناثرة، ولعل اول كتاب ألف بطريقة منهجية هو كتاب البديع لابن المعتز، وتسايرت الاعمال للوصول الى مؤلف أقرب الى النضج ورد عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة، وان كانت دراسته تفتقر الى البناء المنهجي المحكم فكثيرا ما شابها الخلط وعدم التنسيق، ولم تأت بالتقسيم الدقيق بين العلوم، كما وردت في محاولة السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم"، الذي يعتبر من الدراسات التي ذاع صيتها في كل الاقطار العربية، واكتسبت شهرة كبيرة مما جعلها تقف بكل شموخ في طليعة الدراسات اللغوية، فحق للكثير من المنشغلين تسميتها بالمدرسة السكاكية في البلاغة، أو مدرسة السكاكي في اللسانيات الشمولية، وذلك لكثرة اتباعه واقبال المنظرين الذين تناولو كتابه بالشروح والتلخيصات، ويتضح ذلك من أول عتبة نصية وهي العنوان "مفتاح العلوم" انه مفتاح يرجى منه التأسيس لعلم واحد وهو" لعلم الأدب "، وهو عصارة عدة انواع من العلوم تبدأ من المبحث الصوتي والصرفي والنحوي ثم علمي المعاني والبيان، والاستدلال والشعر، مما يحيلنا الى ان الغاية الكبرى التي عمد من خلالها الى تأليفه هي علم الادب بصورة عامة، وليس علم البلاغة، ومن ثمة جعل جميع العلوم أنواعا للأدب ، وهو ما سنبينه في هذا الشكل[1]:

[1] - شكل يبين أنواع العلوم المكونة "لعلم الأدب "

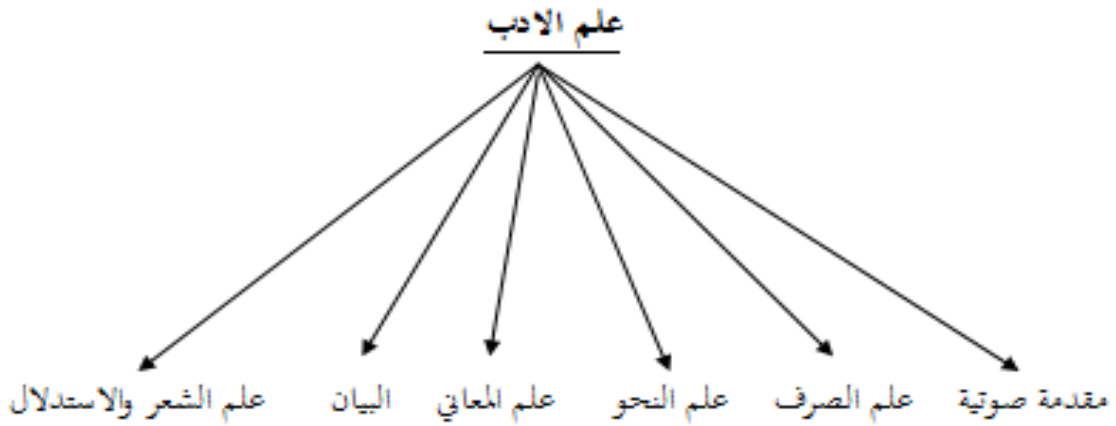

وأما الغاية الخاصة فتتمثل في معرفة اعجاز القرآن، حيث يقول "قد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب، دون نوع اللغة، ما رأيته لا بد منه، وهي عدة أنواع متآخذة. فأودعته علم الصرف بتمامه، وأنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه الثلاثة، وقد كشفت عنها القناع. وأوردت علم النحو بتمامه وتمامه، بعلمي المعاني والبيان، ولقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر، ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال، لم أر بدا من التسمح بهما ، وحين كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر، ورأيت صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي ، ثنيت عنان القلم إلى إيرادهما "[1]، ليضيف في موضع آخر" واعلم أن علم الأدب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الأوضاع"[2]، والملاحظ من خلال هذا التعريف ان السكاكي يدرك الحدود الفاصلة بين هذه العلوم، والروابط التي تربط بعضها ببعض، وهو بذلك قد جمع الكثير من ظواهر اللغة، باعتبارها ظاهرة معقدة فدرس كل مستوياتها (الصوت والصرف والنحو، والبلاغة)، مما حذى بالكثير من الباحثين إلى الاعتراف بقيمته في توجيه الأنظار إلى علوم حديثة كاللسانيات النصية والتداولية، وهو بذلك قد بنى الأدب على أساسين هما:

-الصرف بتمامه، وتمامه علم الإشتقاق

[1]- يوسف بن محمد السكاكي: مفتاح العلوم، ص6.

[2] - المرجع نفسه، ص38.

–النحو بتمامه، وتمامه علمي المعاني والبيان

وأساس التقسيم المفرد والمركب، الصرف(المفرد)، والنحو (المركب)

لكن السكاكي أدرك أن العنصريين المتممين للصرف والنحو، وجب أن يفرد لهما بابا مستقلا، ليتحول العنصر المتمم إلى شريك له خصوصيته، وله تمايزه ومبرراته، وأصبح:

– قسم أول في علم الصرف

– قسم ثاني في النحو

– قسم ثالث في علم المعاني والبيان

و"علم الأدب" في نظر السكاكي هو"الخطاب السليم الناجع"، والذي يراه محمد العمري تصورا مبكرا لما يسمى حاليا ب"علم النص"[1]، وتتجلى وظائفه في:

المستوى الأدني: ويتجلى في المعرفة السطحية للموضوع، ويعنى بمجموعة المفاهيم والمصطلحات، لا يصل إلى عمق النصوص.

– **المستوى الأوسط**: مستوى الاحتراز من الخطأ وسلوك الصواب فيها، وهو الغرض الأساسي من علم الأدب، ويصل إلى إنتاج النصوص الأدبية.

– المستوى الأعلى: وهو مستوى الطموح إلى إدرك الصواب، من خلال تلقي مراد الله من كلامه، والمقصود بالتلقي هنا هو" الفهم "أو" التأويل".

يتحقق من المستويين الأول والثاني بعدين هما:

– **بعد معياري**: هو الأساس يتعلق بإنتاج النصوص على وجه الصواب (ملاءمة قواعد اللغة العربية في النحو والصرف)، و النجاعة (في مناسبة المقام و الأحوال و التصرف في المعاني حسب المقاصد)

– **بعد وصفي**:استعملت فيه عبارة "التلقي" ولعلها تقابل في ذهن السكاكي عبارة أخرى تناسب المستوى الأول (أو الوظيفة الأولى) نفترض أنها "الإنتاج" ، وقد وقف السكاكي فعلا، بعد تقريره

[1] – ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداها، ص481.

قواعد المعاني و البيان يحلل نصا قرآنيا تحليلا بلاغيا شامل ويعتبر هذا التحليل استثناء إذا ما قورن بالطريقة التقريرية التي عرضها القواعد البلاغية[1].

وبذلك يكون قد" تفوق منهجيا ومعرفيا، على من سبقوه، بأن عقد القسم الأخير من كتابه "مفتاح العلوم"، لعلمي المعاني والبيان. ولولا ذلك لما التفت أحد إلى السكاكي، ولظل كأي نحويّ وسّط"[2]، وقد عمد في تحقيق ذلك إلى صياغة منظومة منهجية تشتمل على أربعة أقسام :قسما في علم الصرف، وقسما في علم النحو، وقسما في علم البلاغة، وقسما أخيرا في علوم الشعر، حيث يقول: «... فعلما الصرف والنحو يرجع إليهما في المفرد والتأليف، ويرجع إلى علمي المعاني والبيان في الأخير، ولما كان علم الصرف هو المرجوع إليه في المفرد، أو فيما هو في حكم المفرد، والنحو بالعكس من ذلك، كما ستقف عليه وأنت تعلم أن المفرد متقدم على أن يؤلف، وطباق المؤلف للمعنى متأخر عن نفس التأليف، لا جرم أنّا قدمنا البعض على هذا الوجه وضعا لنؤثر ترتبا استحقته طبعاً»' إن السكاكي كان على وعي تام بهذا الترتيب، وقد جعله في مكانه الصحيح مراعيا التقديم والتأخير، وذلك مراعاة للضرورة العلمية وتسهيلا وتيسيرا للقراء، وقد سماها السكاكي مجتمعة "بعلم الادب"، ولعل الغاية التي توخها من خلال هذا التقسيم، هي دراسة هذه الأنواع الأدبية مجتمعة ومترابطة في منظومة واحدة دون اقصار الدراسة على علم بصفة افرادية، لأن الإكتفاء بجزء دون البقية يفضي إلى نتائج جزئية لا تنسجم مع الهدف الأصلي للكتاب، كما قسم البلاغة إلى ثلاثية (علم المعاني، والبيان، والبديع)، وهو القسم الذي شغل العلماء بعده، و الذي أكسب نظريته أهمية كبيرة حين جعله منطقة حميمية يتسرب إليها المنطق إلى النحو والنحو إلى المنطق، وهو ما يفسر ارتباطه بالنحو والمنطق، حين جعل العلمين في خدمة علم المعاني والبيان.

علم المعاني:

يعتبر السكاكي أول من استخدم مصطلح"علم المعاني" وأطلقه على قسم بعينه من أقسام البلاغة، وقد عرفه السكاكي بقوله: اعلم أنّ علم المعاني تتبع خواص تراكيب الكلام، في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال

[1] – ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداها، ص 481-482.

[2] – عبد الملك مرتاض، مقدمة في نظرية البلاغة: متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها. مجلة جذور، عدد28 ،2009، ص248

ذكره"[1]، فيتناول مسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكيفية إيراد المقال بما يناسب المقام حتى يتحقق التواصل والتفاهم بين مرسل الخطاب ومستقبله.كما يرى أنه علم واسع جدا، ولا يمكن الإحاطة به، وذلك لأن مبناه على " التتبع لتراكيب الكلام، واحد فواحداً، كما ترى، ، وتطلب العثور على ما لكل منها من لطائف النكت مفصلة، لاتتم الاحاطة به إلا لعلام الغيوب، ولا يدخل كنه بلاغة القرآن الا تحت علمه الشامل"[2]، وأبرز مباحثه: الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والإيجاز والمساواة والإطناب،والقصر .

علم البيان:

فهو "إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[3]. يتضمن هذا التعريف طرفين متعاضدين هما: الزيادة والنقصان ومطابقة الكلام للمراد، ومن مباحثه: الحقيقة والمجاز بأنواعه عقلي ولغوي والتشبيه، الاستعارة، الكناية..

علم البديع: فيبحث في وجوه تحسين الكلام بعد مراعاة مطابقته لمقتضى الحال، والقصد منه ما يعرف بالمحسنات البديعية، سواء التي يراد بها تحسين اللفظ مثل الجناس والسجع والقلب والترصيع، أو التي يقصد بها إلى تحسين المعنى مثل المطابقة والمقابلة والاقتباس والالتفاف ..، وقد سماها وجوها مخصوصة يؤتى بها لتحسين الكلام، وان لم يصرح بالبديع لفظا أو كقسم مستقل، ولم يعمل على تأصيله في الدراسات النقدية، مثلما فعله مع علمي المعاني والبيان، ولكنه هيأ مباحثه" لان تدرج تحت قسم ثالث له مفهومه المحدد، ومباحثه المحددة"[4]، وأشار الى ذلك بقوله "واذا قد تقرر، أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسن ، فههنا وجوه مخصوصة، كثير مايصار إليها، لقصد تحسين الكلام"[5]، وجعل لها ضوابط في قوله:" وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الالفاظ توابع للمعاني، لا أن تكون المعاني لها توابع، أعني:

[1] – يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، ص 161.

[2] – المرجع نفسه، ص248.

[3] – المرجع نفسه، ص 162.

[4] – جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 23.

[5] – يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص 423.

أن لا تكون متكلفة"[1]،ويقصد هنا التحسين الصادر بعفوية وعن غير قصد، والواضح ان السكاكي اراد إقامة البلاغة علمًا قائما بذاته، يقول القزويني" كان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي: أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا، لكونه أحسنها ترتيبا، وأتمها تحريرا، وأكثرها للأصول جمعا"[2]، الملاحظ في هذا الأمر أنّ السكاكي اكتفى بوضع الاطار القواعدي لعلم البديع دون التطلع الى وصف وتحليل الظاهرة اللغوية تحليلا يوضح علاقته بالمعنى، وهو بذلك لا يختلف عن علماء البلاغة في هذه التصورات التي أبعدت دراستهم عن الدلالة واكتفوا برصد وملاحظة ظواهر فردية، إن النظر في المبحث البديعي—في مجمله– يؤكد أن رجال البلاغة قد أهمهم تحسس بناء الجملة بوصفها الوحدة الصغرى للخطاب اللغوي، واعتمدوا في ذلك على توصيف عناصر الجملة توصيفًا يبدأ من الحرف المعزول عن الدلالة، وصولا إلى التركيب بكل مكوناتها الإفرادية، وبكل علاقاتها النحوية"[3].

ومن الملاحظ أن هذا التقسيم وقع تحت طائلة النقد لأسباب كثيرة منها صعوبة التداخل الشديد بين هذه الاقسام مما يطرح صعوبة الفصل بينها وبيان حدود كل منها، الا أنه نقد يمكن أن نصفه بالنقد السلبي لأن أصحابه لم يقدموا بديل علمي، إلا أنه في نظر الباحث يشكل "الخطوة الطبيعية المنتظرة بعد كتابي عبدالقاهر الدلائل و الأسرار ومؤدى ذلك أن نظرية السكاكي في علم الأدب، كانت ثمرة طبيعية لنظرية النظم، بيد أن السكاكي أضر به تلامذته وتابعوه باجتزائهم القسم الثالث من كتابه وقطعه عن سياقه، وفصمهم لعرى منظومته التحليلية، وإحلالهم ثلاثية المعاني والبيان والبديع محل الثلاثية الأصلية التي أقام عليها بناء وكتابه، وهي ثلاثية الصرف والنحو وعلم المعاني، التي تتكامل لتشكل عنده علم الأدب"[4].

ويشير الباحث ضمن هذه الرؤية، إلى تبيين الخطأ الذي وقع فيه أصحاب "صيغ الصيغ التجديدية من منطلق المفارقة لمذهبه استدباره"[5]، في كونهم انشغلوا بالقسم الثالث (البلاغة) فقط، واعرضوا عن الاقسام الاخرى—على اهميتها– ولم يدرسوها باعتبارها عناصر تشكل مجتمعة "علم

[1] – يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص 432.

[2] _ جلال الدين محمد القزويني الخطيب، تلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، ص21.

[3] – محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 349.

[4] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 65-66.

[5] – المصدر نفسه، ص 50.

الادب"، و يضيف الباحث الى ان التجزيء وعدم دراستها بصيغة متكاملة، هو ما أخلّ بجوهر الفكرة في الدراسة، ويلخصها الباحث بقوله:" أما صيغ التجديد فإن الآفة التي أصابتها، والعقم الذي منيت به، إنما كانت "– في رأينا – من جهتين : أولاهما مفارقتها لمذهب المفتاح بالكلية، واستدبارها إياه، وفهم المفتاح، من خلال شروحه وتلخيصاته. والأخرى غياب البعد اللساني وحصرها في دائرة النقد المحض"[1]، وفي إشارة مهمة للباحث حين ينقل كتاب "مفتاح العلوم "الى الاتجاه الاصولي الذي يقوم عى دراسة الظاهرة الادبية، وهي "علم الادب" ويشاركه في ذلك كتاب " منهج البلغاء وسراج الادباء" لحازم القرطاجني في الغاية والمنهج، حيث يقول: "على الرغم من أن الجميع بلا استثناء يضعون كتاب السكاكي على رأس الاتجاه التقعيدي ويحملونه وزر ما أصاب البلاغة .... فإن لنا في المسألة رأيا آخر، يوشك أن يكون مناقضا لما ذهبوا إليه من جميع الوجوه. إن مفتاح العلوم وإن عد بداية التأليف في الاتجاه التقعيدي المؤسس للقسمة الثلاثية في علوم البلاغة، هو عندنا من كتب الاتجاه الأصولي التي تؤصل لدراسة الظاهرة الأدبية، وهو يشارك في هذه الخاصية كتاب حازم وإن كان باعتبار مخالف لما سار عليه حازم "، وللإشارة فان الباحث يقرب بينها إلى حد يكون فيه منزلة الاصولي من التقعيدي كمنزلة الفقه من الفقه، وينفرد الاتجاه التقعيدي بأنه الاقرب الى البلاغة

كما يردف الباحث مجموعة من الملاحظ يبين فيها اشارات إلى النقاط الثمينة التي غفل عنها المنشغلون بالبلاغة:

1 –اعتماده الموفق لمصطلح "علم الأدب" الذي يراد به احكام العلاقة بين العلم والادب، هذا الامر الذي ظل محل نقد كبير.

3– لم يذكر السكاكي في تضاعيف كتابه أنه يؤلف كتابه في علم البلاغة، كما لم يستخدم مصطلح البلاغة أو صناعة البلاغة، ولم يضع تعريفا لعلم البلاغة، وإنما عرفها في ختام القسم الرابع، وكان اختياره دقيقا "لعلم الادب "في كونه يضم العلوم الاربعة مجتمعة دون تمييز.

4–كان الإمام على وعي تام بتفاوت مراتب المنشغلين بالأدب، تبعا لتفاوت حظوظهم من المعرفة بهذه العلوم لذلك بعث على تأليفه ليكون منظومة واحدة غير مجزئة.

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 51.

5–كانت غاية الإمام في أن تدرس هذه العلوم بصفة متكاملة، بوصفها منظومة منهجية تتوالى عناصرها بصورة حتمية، ولا يتم الأمر الا يتضافرها واجتماعها.

ولذلك يمكن الوصول الى[1]: أن نوع الأدب عند السكاكي ظاهرة مركبة، من مجموعة من المستويات المتآخذة والمتعالقة فيما بينها، ولابراز هذه التعالقات وجب النظر الى عدة علوم من زاوية تقوم على تعدد الاختصاص multi discplinary ، وأن اهم ملمح لصيغة السكاكي في نظره هي وثاقة العلاقة المعتبرة بين مكونات المنظومة التحليلية ،حيث يميز بين ما يأتي على وجه الترتيب والتعقيب اضطرارا، وما هو من قبيل العلوم المساعدة وهي علمي الحد والاستدلال والشعر، كما تمتاز هذه العلاقة بين المكونات بخاصية الهرمية، بحيث يؤسس كل مستوى نتائجه وتحليله على أساس من النتائج والتحليلات التي ينتهي إليها المستوى الذي قبله وهكذا.

7/ البلاغة العربية من منظور البحث اللساني الحديث:

تحت عنوان" تقويم لساني للبلاغة العربية " يشير المؤلف في لفتة مهمة تمثل حوصلة مشروعه إلى أن صيغة السكاكي، هي الصورة الوحيدة التي يمكن الانتفاع بها في المبحث الأسلوبي اللساني، ليشرع الباحث في تحديد السمات الفارقة بين البلاغة والأسلوبية، والتي من خلالها يمكن تحديد أوجه الإفادة والانتفاع بعد تجاوز الصور المتباينة بينهما وتلافي أسبابها. حيث مثلها بما يفوق العشرة وجوه[2]

تقوم مادة البلاغة القديمة على الشاهد والمثال ، بينما افق الأسلوبيات المعاصرة ينصرف إلى معالجة النص خطاب أو مدونة تشتمل على عدد من النصوص ،كما يمكن أن تتنتقل إلى مجالات مختلفة ومتباينة لم تكن تطمح إليها البلاغة الموروثة، و الوحدة التصورية المعتمدة في التحليل عند البلاغيين في الفن البلاغي أما في الأسلوبيات اللسانية فإن الخاصية الأسلوبية هي الوحدة التصورية المعتمدة في التحليل، وهذه تفارق الفن البلاغي في أنها ليس لها وجود مطلق خارج النص، أي أنها لا تعد خاصة أسلوبية إلا إذا كانت داخل النص، وكانت مظهرا من مظاهر تميز التشكيل اللغوي فيه.

– لا تعد الخاصية أسلوبية بمجرد وجودها في النص، إذ إن النظر إليها بهذا الاعتبار يرتبط بالشيوع والندرة النسبيين، ومن ثم كان البعد الإحصائي جزءا من ماهيتها. أما الفنون في البلاغة فهي قائمة بتساوي جميع مفرداتها في فرص ورودها من جهة الإمكان العقلي، ويتجه البحث البلاغي الى فحص

[1] ينظر: سعد مصلوح، في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 57.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 67–71.

نوع معين من الكلام هو الكلام الأدبي. أما الفحص الأسلوبي اللساني فيمتد إلى كل أجناس الكلام والنص الأدبي هو واحد من جملة أنواع من النصوص بالنسبة له، وإن كان من أكثرها تميزا. ويرتبط هذا الفارق بينهما باستراتيجية البحث في كل منهما، فبحث الظاهرة الأدبية في غاية البلاغيين، وبحث الظاهرة اللسانية في غاية اللسانيين، حيث تصير الظاهرة الأدبية جزءا من تجليات الظاهرة اللسانية كما تركز البلاغة على الامكانات التعبيرية في الشعر والنثرومعالجتها بمعايير تفضلية، بينما تركز الاسلوبية على الاداء، فضلا عن تميز البلاغة بصفة الاصطفائية أو الانتقائية من خلال اعتمادها على (الأنموذج) الذي يتحكم في عملية التقييم بالجودة او الرداءة، وذلك بحسب التقيد به كما يمكن أن يكون النص الردئ موضوعا للدرس شأنه في ذلك شأن النص الجيد، ذلك أن ظاهرة التميز الأسلوبي واردة في الصنفين، فالقوانين الأدبية عند الأسلوبي اللساني لا تتفح إلا باعتبارهما جميعا في أقصى تحققاتهما، وفيما يقع ما بين طرفي التحقق من درجات متفاوتة .، غير ان غاية البلاغة تشريعية تعليمية عملية، أما غاية الأسلوبيات اللسانية فلا تنحصر في مجال التعليم أو التشريع ، فهي بحثية تشخيصية وصفية، وينشأ عن ذلك أن مبحث القيمة أصل عند البلاغيين، والتقويم كثيرا ما يأتي سابقة على النظر البلاغي، ولكنه في النظر الأسلوبي لاحق في الأعم الغالب، و الأساس المنهجي الضابط لتصنيف علوم البلاغة وحصر فنونها وتعريفها وتحديد أنواعها هو المنطق الأرسطي واشتركت مع البلاغة في ذلك علوم كثيرة ، أما الأسلوبيات اللسانية فقد تحدد مجالها، وتشكلت تصوراتها في إطار اللسانيات بعد أن اشتد ساعدها، واستطاعت أن تشهر استقلالها العلمي بالتخلص من التبعية المنهجية، بل أن تقوم في تاريخ العلوم الإنسانية بدور مؤثر في التوجهات البحثية والفلسفات المنهجية، كما تنحو الأسلوبيات اللسانية في بحث ظواهر الأسلوب بحث تزامني تعاقبي بينما في البحث البلاغي فهوبحث اللازماني والأسلوبيات اللسانية بهذا التصنيف أقرب إلى خدمة مجالات كثيرة أخرى من الدرس الأدبي كالنقد وتاريخ الأدب، و يغلب على تقسيم علوم البلاغة الطابع التفتيتي ونعني به تجزيء الظاهرة الواحدة، وغياب إدراك العلاقات النظامية بين الظاهرات، وانعدام مفهوم المنظومة التحليلية في الفحص، على حين تغلب تصورات البنية والنسق على اتجاهات لسانية متعددة في دراسة الأسلوبية، و اقتصار البلاغة على حدود الجملة ومرجع ذلك الى انحصارها في معالجة الشاهد والمثال، أما الأسلوبيات اللسانية فقد انفتحت أمامها آفاق البحث خاصة بتقدم طرق البحث في مجال نحو النص (اللسانيات النصية).

وبناء على ما سبق يتبين أن تطور البلاغة المدرسية مشروط "بحركة مواكبة من اللسانيات العربية تكون بها ظهيرا قويا للدرس النصي عامة، ولدراسة النص الأدبي خاصة، وبذلك تتصل الأواصر بين الدرس اللغوي والبلاغي في التراث والدرس الأسلوبي واللساني المعاصر على نحو تتجدد به الأصالة، ويتحول به التراث إلى قوة فاعلة في وعينا بالظاهرة الأدبية"[1].

8/ نظرة عصربة لمضامين مفتاح العلوم:

يشير الباحث الى التماثل بين صغتي السكاكي، الوراد ذكرهما في صدر التحليل، للمفهوم الأسلوبي الذي يعرف بمؤخر الصورة backgrounding في مقابل مقدم الصورة foregroung، وبيان ذلك أن الصرف والنحو "هو ان تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية "أصل المعنى"بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب"[2]، والمراد به : المعنى النحوي، وهو ما نطلق عليه "خلفية التحليل"، في مقابل ما يقدمه علم المعاني (الصيغة الصغرى) والمراد به " "المعنى البلاغي "هو ما نسميه "بمقدم التحليل" ، ومعنى هذا ان النحو يهتم بالجملة من حيث تحقق المعنى الظاهر من خلال تركيب الكلمات بعيدا عن القرائن اللفظية والمعنوية، في مقابل علم المعاني الذي يتجاوز هذا المستوى الى محاولة الكشف عن الخصائص البلاغية والفنية للتركيب بالعدول عن الاصل المراد (المعنى النحوي)، بغية تحقيق مقتضى الحال، وهو ما عبر عنه تمام حسان بقوله:" إذا كانت الشركة في دراسة الجملة قائمة بين علم النحو و علم المعاني، فإن النحو يبدأ بالمفردات وينتهي إلى الجملة الواحدة، على حين يبدأ علم المعاني بالجملة الواحدة وقد يتخطاها إلى علاقاتها بالجمل الأخرى في السياق التي هي فيه"[3]، ويقول ايضا : "غير أن الفارق بين النحو وعلم المعاني لا يقتصر على اختلافهما بين التحليل والتركيب، وإنما يمتد كذلك إلى منطلق كل منهما وغايته. فالنحو كما رأينا بجعل نقطة البداية هي المباني، وينطلق منها للوصول إلى غايته من المعاني، وذلك ما نلاحظه بوضوح في إعراب الجملة، إذ تبدأ بالمبنى وتنتهي إلى المعنى فتقول:

|

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 71.

[2] – يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص75.

[3] – تمام حسان الاصول دراسة ابستيمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب، ص310

المبنى	المعنى النحوي
ضرب	فعل ماضي
زيد	فاعل
عمر	مفعول به

أما علم المعانى (لاحظ دلالة التسمية) فربما اتجه معاكسا لاتجاه النحو، فبدأ من منطلق المعنى باحثا له عن المبنى، ولأمر ما قال البلاغيون: لكل مقام مقاله، فالمعنى هو الذي يقتضى الذكر أو الحذف والإظهار أو الإضمار، والتقديم أو التأخير والفصل أو الوصل، والخبر أو الإنشاء، والقصر أو الإطلاق وهلم جراّ"[1].

مخطط تفصيلي :

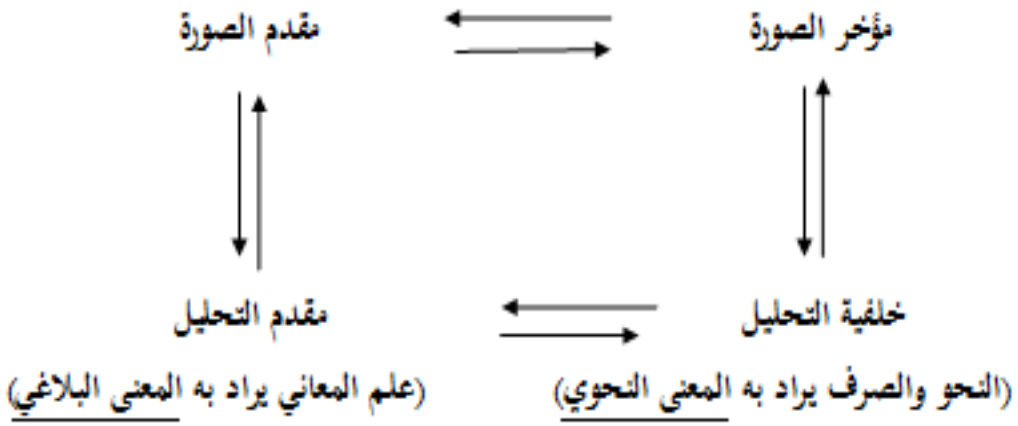

وبشأن الأسلوبية ولسانيات النص، يشير الباحث الى مصطلح"علم الادب"عند السكاكي، الذي يمثل الصيغة الكبرى، ويتألف من مكونات ثلاث وهي: علم الصرف، وعلم النحو وعلم المعاني

[1] – تمام حسان، الأصول دراسة ابستيمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب ص312.

والبيان، وما يلحق بها من العلوم المساعدة، والصيغة الصغرى وتتألف من علم المعاني وعلم البيان والبديع، وهي فرع من الصيغة الكبرى، والصفة الجامعة بين الصفتين هي "أسلوبيات اللغة"، وهو المبحث الذي يعالج الطاقات الأسلوبية التي يعمل فيها منشئ النص ، ليصوغه تبعا لمحدداته المقامية والتداولية ، التي تحكم إنتاج النص وتلقيه، هذه الصفة هي التي تميز هما من الأسلوبيات الذاتية أو أسلوبيات النص. ويقول الباحث في " يمكن الانطلاق من صيغة السكاكي لتمييز ثلاثة مستويات تقع متوازية ومترابطة في المعالجة الأسلوبية والملحظ المهم هنا أن الباحث أقام جدوله الرئيس (وهو خاص بمستويات المعالجة في الأسلوبيات اللسانية)في صيغته المستفيدة والمكملة لصيغتي السكاكي على أساس تقسيم منازله إلى ثلاثة مستويات :المستوى نحو النص عند سعد مصلوح

– المستوى الأول :لسانيات النص (وهو مستوى عام يمثل أسلوبيات اللغة).

–المستوى الثاني : لسانيات النص الأدب وهو مستوى خاص يمثل أسلوبيات نوعية، لكن للنص الأدبي بشكل عام)

– المستوى الثالث :لسانيات نص أدبي متعين –وهو مستوى أخص من الجدير بالذكر أنه تحت كل مستوى من هذه المستويات الأفقية تندرج طائفة من المستويات الرأسية، كل على حسب ما يخصه من مستويات :الصوتيات والرسم والصرف والتراكيب والدلالة والمقاميات[1])

وإذا تجاوزنا عن فكرة لسانيات النص وتأملنا المجالات التي أسهمت فيها نظرية السكاكي، فسنلاحظ أنها مست محددات مهمة في دراسة أسلوبيات اللغة وأسلوبيات النص الأدبي"[2].

لم يتوقف الباحث عند هذا الحد بل انطلق في:

توزيع مكونات المنظومة التحليلية وفق الأسلوبيات اللسانية :[3]

– في مجال أسلوبيات اللغة: الصوتيات، والصرف، والنحو (النظم)

– في مجال أسلوبيات الأدب: الصوتيات الشعرية (العروض والقوافي)، والتراكيب الشعرية (علم المعاني)، الدلاليات الشعرية (البيان)، والمقاميات الشعرية (مقتضى الحال).

– في مجال الأسلوبيات المتعينة: تحليلات متفرقة لشواهد نصية ولاسيما من القرآن الكريم.

توزيع مكونات الصيغة الصغرى على المخطط المقترح:

[1] – عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ص544.

[2] – ينظر: سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 75-76.

[3] – المصدر نفسه، ص 76.

– علم الصوتيات الشعرية: وتشمل: بعض أنواع الجناس التام والناقص، السجع، القلب، التشريع، لزوم ما لا يلزم، العروض، القوافي.

– علم الرسم الشعري: –ويشمل: أنواع من الجناس المركب والمتشابه والمفروض، الفنون البديعية القائمة على التصحيف أو التحريف، الأشكال الهندسية البديعية .

– علم التراكيب الشعرية:– ويشمل: خواص التراكيب من حيث التنافر وعدمه، التعقد النحوي، جميع مباحث علم المعاني، المجاز بالحذف (من مباحث البيان)، الجانب التركيبي من المقابلة، التفويف، العكس، اللف والنشر، الابتداء والتخلص والانتهاء،

– علم الدلاليات الشعرية: – وتشمل: البعد الدلالي من التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية، (من علم البيان)، كما تشمل الطباق، التدبيج، مراعاة النظير، تشابه الأطراف، إيهام التناسب، الإرصاد، المشاكلة، الرجوع، التورية ، الاستخدام، التجريد، المبالغة، التبليغ، الإغراق، الغلو، المذهب الكلامي، حسن التعليل، التنويع، تأكيد الذم بما يشبه المدح، تأكيد المدح بما يشبه الذم، الاستتباع، الإدماج، التوجيه، القول بالموجب، سوق المعلوم مساق غيره تجاهل العارف)، الهزل الذي يراد به الجد، كما تشمل أيضا البعد الدلالي من المقابلة، التفويف، العكس، اللف والنشر، والجمع والتفريق والتقسيم... إلخ

– المقاميات الشعرية: وتمثل فكرة مقتضى الحال عند السكاكي مشروعا طيبا يمكن الانطلاق منه وإعادة النظر فيه لصياغة طراز يتسم بالدقة والشمول في ضوء نظرية «التواصل الشعري Poetic communications، واللسانيات النفسانية والاجتماعية. وتشمل فكرة مقتضى الحال عند الإمام جوانب ثلاثة:

- تفاوت مقامات الكلام بحسب مقاصده.
- تفاوت مقامات الكلام بحسب المخاطب.
- تفاوت مقامات الكلام بحسب سياق المقال.

الأولان من هذه الثلاثة هما من طبيعة غير لسانية أو مما نؤثر تسميته باللسانيات البرانية Meta linguistics. أما الثالث فلساني خالص Proper linguistics "[1]

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص79.

ليختم كلامه "هذه الصورة بمفرداتها وتفاصيلها الثرية تجعل من الصعب على الأسلوبيات اللسانية أن تضحي بها أو تتجاهلها، وجميع هذه الفنون التي جهد الإمام السكاكي وخالفوه في تحديدها، وتوصيفها، والاستشهاد بها هي – عندنا – خصائص أسلوبية بالقوة، قابلة لأن تكون مادة للتشكيل في النص الأدبي، وقابلة لأن يعاد فيها النظر بحيث نشكل منها سُلَّماً تحليلياً يمكن اعتماده في الفحص الأسلوبي للنصوص وتشخيصها، وإذا أضفنا إلى ذلك أيضا النموذج المستفاد من الصيغة الكبرى التي اقترحها السكاكي تحت مصطلح علم الأدب، أمكن لنا أن نقدر التراث البلاغي الذي وصل إلينا حق قدره، وأن نفيد منه أقصى إفادة ممكنة، وأن نكمل نواقصه، أما الآفاق التي علينا أن نستشرفها فتمثل في أمرين:

أولهما: الانتقال بالتحليل اللساني من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

ثانيهما: وصل الأسلوبيات اللسانية بالأبوين الشرعيين لها وهما: اللسانيات من جهة، والشعرية poetics من جهة أخرى. "[1].

إن تطور البلاغة مقرون باذابة الحدد الفاصلة بينها وبين الأسلوبية للتحول بذلك إلى قوة فاعلة في الدرس اللساني الحديث.

كما يمكن الوصول إلى أن البلاغة علم وذوق في نفس الوقت، كما لا يمكن أن تتحقق البلاغة الا باجتماعهما معا تحت سقف واحد وهو الفن، فالفن هو علم البلاغة أو ذوق العلم، ومن ثمة فالبلاغة مقياس صحة الكلام ومعيار جماله وبهائه، الذي يترقى إلى درجة السحر، ولن يتأت هذا الجمع بينهما إلا بإعادة النظر إلى جهود البلاغيين الأوائل وتثمينها واعتبارها منطلقا رصينا لكل دراسة معاصرة، وعدم الإكتفاء في دراسة البلاغة على الجانب التقعيدي الذي يحيلها إلى تفاريق جافة، وشواهد مكررة ومجتزئة من النصوص[2].

إنّ ما شجع الاختلاف حول قيمة الرجل ومكانته العلمية هو تنوع القراءات وتباينها والتي نجدها تفرقت بين قراءات ناقدة ، وناكرة لجهود الرجل ، وبين أخرى مشجعة مؤيدة ومعترفة بمنزلته المعرفية ولعل مكمن الاختلاف هو تباين الأدوات القرائية والاجرائية بين القراءة السياقية التاريخية التقليدية التي تدرس الظاهرة الأدبية معزولة عن ظروف إنتاجها واطارها الزماني والمكاني وبين أخرى غيرت

[1] – سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 80.

[2] –ينظر: مازن مبارك، التجديد في علوم البلاغة، مجلو آفاق الثقافة والتراث، عدد55، 2006، ص 34.

طريقة قراءتها واتجهت إلى وسائل أكثر حداثة وبطريقة علمية منفتحة على العصر، "ان أهم خطإ منهجي وقعنا فيه –وأعظم به من خطإ –أننا قطعنا مناهج البحث الحديثة من أصولها المعرفية القديمة وقلعنا في الوقت نفسه التراث من ظروفه الموضوعية والعوامل المعرفية المتحكمة في إنتاجه ورفعناه إلى عصرنا ليطاول مناهج البحث الحديثة ويقف موقف الند بجوارها متجاهلين التراكمات المعرفية الكثيرة الفاصلة بين عصره وعصرنا والمطورة جذريا قواعد البحث وأصوله المنهجية"[1].إن معرفة الأطر التأسيسة المتحكمة في الإنتاج، تحيل إلى الفهم الوازن، والتأويل الصائب، والتمثل الواعي، دون الالتفات إلى الخواطر العابرة والتشابهات التي تؤدي بنا إلى القصور والانحراف، وهو ما دفع بهم إلى رميه"بالتقريرية الجافة، ولكنه ما كان ليعبأ بهذا حتى ولو قيل له مباشرة، فقد برأ ذمته ودفع الحرج قبل أن يدخل في تلك التقنينات الصارمة"[2].

وبالرغم من أن منهجيته كانت محل نقد كبير، واتهام بالجمود والتحجر ولم تلق الروّاج العلمي المطلوب، وهو بما نراه ليس طعنا في الرجل فحسب وانما طعنا في تاريخ جهود الكثير من علماء البلاغة، لما يمثله من حلقة وصل في تاريخها العريق، ورغم كل ماقيل بشأن كتاب"مفتاح العلوم" إلا أننا نجد الكثير من الإشارات الأسلوبية المهمة التي يمكن اعتبارها جذور البلاغة، يمكن إعادة قراءاتها قراءة حداثية، لبيان قدراتها البلاغية والأسلوبية في محاورة النص الأدبي الحديث، وقد تأثر السكاكي بجهود السابقين أمثال الرازي الجرجاني، والزمخشري، واستفاد منها ، ليؤسس لنظرية غاية في التنظيم والتقسيم والتبويب لا تزال فعالة حتى يومنا هذا، هذه الخطوة التي ساهمت في رسم حدود البلاغة، وشكلت تراثا حاضرا وفعالا حتى في عصرنا الحديث، ووصل ما انقطع من حبل البلاغة حتى صار مرتكزا لمنجزات كثيرة كاللسانيات والأسلوبية ونحو النص وتحليل الخطاب.

كما يلفت انتباه القراء والباحثين إلى أن البلاغة العربية لا تزال صالحة لأن تقدم للدرس اللساني المعاصر إمكانات ضخمة من التصورات، كما أن تجديد النظرة إليها وإعادة صياغتها كفيلان بإخصاب أسلوبية عربية لها مقومات التطور دون أن تقطع صلاتها بالجذور والأصول[3].

---

[1] – محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ص 709.

[2] – محمد العمري البلاغة العربية وامتداداتها، ص 488.

[3] ومن أمثلة ذلك الموضوعات والظواهر التي يزخر بها تراثنا البلاغي، وتدخل الآن فى صميم البحث اللساني في عمومه و الأسلوبى بشكل أخص، والتي أغفلها البلاغيون ضربوا عنها صفحا، ولم تسمع لها في بحوثهم صدى، .ويسوق مثالا على ذلك ظاهرة"حكاية الصوت للمعنى"، فقد شغلت العلاقة بينهما لغويا كبيرا هو ابن جنى، فصنفها وحللها وجعل لها مبحثا خاصا

وفي الأخير يمكننا القول بأن طبيعة الوعي للدكتور "سعد مصلوح" القائم على التساؤل والتفاعل الدائم هو ما دفع به إلى تفنيد كل الأطروحات السابقة وزلزلة القناعات الراسخة في لدن القارئ العربي بفعل التراكم المعرفي في شقه السلبي الموجه إلى الجهود التراثية، حيث تمكن من إعطاء الكاتب والكتاب مكانتهما المستحقة بوصفه أنموذجا فريدا وصيغة هادية وموفقة في وصل ما انفرط من عقد الصلة بين السياقين التراثي والمعاصر، موجها دراسته رأسا على الى الجزء المبتور أو المغيب، داعيا الى قراءته قراءة تتصف بالشمول قصد وضوح الرؤيا وبيان المقصد العلمي، وقد أجاد الباحث عقد حوار جدلي مع المؤلف واستطاع عبر إطلالته اللسانية مد جسور التلاقي بين العلوم الثلاثة لبلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ولسانيات النص، موصيا الباحثين في كل الأقطار العربية إلى ضرورة إعادة قراءة هذا الكتاب وغيره مما أنتج في تراثنا العربي الأصيل قراءة متجددة مفتوحة على البحث والتقصي الدائم، إضافة إلى إبراز المكانة الجديدة التي يتبؤها البديع في الدرس العربي اللساني المعاصر، وتغيير النظرة إلى البلاغة العربية بوصفها بلاغة مستويات لا بلاغة وجوه (معاني، بيان، بديع) وتوسيع صياغته لتكون أكثر ملائمة للتعامل مع النصوص، من خلال حتمية تجاوز لسانيات الجملة والمعيار البلاغي، وكذا استحداث البعد الزمني التزامني في البحث البلاغي الذي كان مغيباً بفعل نمط التحليل السائد.

يظهر عنايته بها، فى كتابه"الخصائص"وهو"امساس الألفاظ أشباه المعانى"، وقد بذل ابن جنى جهدا علميا عظيما في بحث هذه الظاهرة وتأصيلها فى تراثنا اللغوى، يسنده فى ذلك امتلاكه اللغة وعليتها المتحررة"، ينظر: محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، الأكاديمية الحديثة للكتاب العربي، ط2، 2007،ص20.

خاتمـــــــة

وفي الختام: لا نستطيع القول بأن هذه الدراسة المتواضعة قد شملت المشروع الفكري لسعد مصلوح بكل تجلياته وحدوده المعرفية وحصرته بدقة كبيرة، وإنما هي محاولة منا للتقرب من هذا الجهد الناصب وتلمس الأطر الكبرى المشكلة لهذا الفكر الثاقب، وتبقى دراستنا هذه نافذة مفتوحة على الدرس من جديد، ويمكننا في هذ المقام ان ندلي بما توصلنا اليه من نتائج ختامية:

- حداثة اللسانيات النصية في الثقافة العربية، وقلة نتاجاته الفكرية ومحدوديتها في هذا المجال المعرفي، لم تمنعه من التنقل عبر مستويات كبيرة من التنظير والتطبيق والمراجعات النقدية والتطرق الى قضايا المنحى البلاغي بين نحو الجملة ونحو النص.
- سعت هذه الدراسة الى استجلاء المرجعيات الفكرية والمنطلقات التي استند عليها سعد مصلوح وابراز تجلياتها المعرفية في مجال "لسانيات النص" على مستوى التنظير والتطبيق، حيث استطاع رسم حدوده في ساحة الثقافة العربية، متكأ في ذلك على مناهج عربية خالصة، مستوحات من نظيراتها الغربية.
- تفضي عملية تلقي لسانيات النص عند سعد مصلوح إلى اعتماد نمط جديد من التعامل مع المنجز الغربي، يقوم على جهد علمي مركز يعيد تكييف هذا المنجز مع متطلبات اللغة العربية وتثبيت خصوصيها واستجلاء معطيات جديدة تكون أكثر دعما للتطور بغية اللحاق بالركب اللساني العالمي.
- تميز مشروع الباحث بالجدو والجودة والتفرد في الطرح والجرأة في تناول الموضوعات واستطاع من خلاله أن يسجل خطوات عملاقة في بلورة المسار اللساني النصي العربي.
- إن تبني مفهوم السيرورة المعرفية الذي اقترحه سعد مصلوح بديلا صالحا عن ثنائية التقديس والاغتراب التي انتهجها بعض الباحثين، من خلال كونه إعادة قراءة للتراث قائمة على الإستمرارية والمحاورة والجدل المفضي إلى التفاعل المثمر بين التراث والمعاصرة.
- تفضيل سعد مصلوح للمصطلح التراثي على المصطلحات المستحدثة، وذلك بغية تجسير العلاقة مع التراث.

- تميز المشروع اللساني النصي للباحث بكونه مشروعا عربيا خالصا في كل أبعاده ومراميه، ورغم تبنيه للكثير من الآراء والأفكار الغربية إلا أن منهجه التكاملي وقدرة الكبيرة في مزج الأفكار جعلته يتبوأ مكانة كبيرة ضمن الدراسات اللغوية العربية.

- ضرورة تشكيل خطاب نقدي جاد وبناء يقوم على فحص وتمحيص التأليفات والنتاجات الجديدة المشكلة للمشهد الثقافي والأدبي، بغية تقيمها وتقويمها من خلال إثراء عمليات والتفاعل الحي والحوار الخلاق والجدل المثمر المفضي الى انتاج عناصر معرفية جديدة، ولعله المكمن الوحيد للخلاص من أوجه النقد الراهن المبني على الاستهلال أوالتجريح.

- يشكل فعل الترجمة وسؤال المثاقفة اللسانية عند سعد مصلوح فضاء فسيحا يستمد منه معرفته ويغذي أفكاره في محاولته استعاب المنجز اللساني الغربي في صورته الأصلية، وكيفية توظيفه واستثمار معطياته فيما يتوافق مع اللغة العربية وخصوصيتها.

- يشكل خطاب التنظير للسانيات النص سعد مصلوح محاولة جادة في وضع الأسس الأولى لهذا المجال المعرفي في صلب الثقافة العربية، حيث عمد من خلاله على وضع تصوراته العامة، وحدوده المعرفية، واخضاعه لشروط الممارسة التطبيقية لبيان فاعلية الإجرائية.

- نصل إلى أن سعد مصلوح يمثل شعلة لسانية رائدة في مسار الدرس اللغوي العربي المعاصر، كما تمثل آرائه كتابا مفتوحا لكل الدارسين في كل الاقطار العربية، من أجل قراءتها قراءة واعية، لما حوته من قيم معرفية قيمة، ولفتات لسانية متفردة، نستطيع من خلالها تحقيق قفزة لسانية نصية عربية لها خصوصيتها الثقافية، مبنية على المزاوجة بين التراث العربي ومنفتحة على أضواء المعاصرة.

- إن للسانيات النص من الإمكانات الضخمة ما يمكنه الإعتماد على إمكانات نحو الجملة، وتجاوزها لنحو أكبر يتميز بالاتساع والشمول، مع القدرة على الإستفادة من العلوم المقاربة كالبلاغة، والأسلوبيات اللسانية وتوظيفها في التحليل الشامل.

وبناء على ماتوصلنا إليه من نتائج يمكننا أن ندلي ببعض **التوصيات والمقترحات** التي نراها جديرة بالطرح في هذا الموضوع:

– الدعوة إلى إعادة قراءة التراث قراءة منهجية، باعتباره ثروة فكرية دائمة البذل والعطاء، تحمل الكثير من المبادئ التي تصلح لأن تكون منطلقا لأبحاث رصينة، تسهم بلا شك في تطوير البحث اللساني في شقه العربي، والدفع به إلى مصاف البحوث الغربية الرائدة.

– الإسهام في التعريف بعلمائنا ومفكرينا الأجلاء، وإبراز جهودهم اللسانية القيمة، والتعمق في أفكارهم وتذكيتها، عن طريق تشجيع البحوث والرسائل العلمية التي تشتغل في هذا المجال، وإقامة الندوات والمؤتمرات في كل البلدان العربية، وتوسيعها أطرها لتطال الكثير من الباحثين الذين لم تحظ أعمالهم بالدراسة والضبط والتنقيح.

–الدعوة الى فتح المجال أمام "طلاب الدراسات اللغوية" وبخاصة المنشغلون منهم بالدراسات اللسانية المعاصرة، بالتقرب من جامعات البلدان الغربية، لما لها من فضل السبق والريادة والتطور في هذا المجالات، وهو أمر لا يتأت إلا بفتح أفق التثاقف، ودعم حركية الترجمة، وتوسيع دائرة البعثات العلمية لتشملهم دون قيود ولا مثبطات، وذلك من أجل عصرنة البحث اللساني العربي، وتطويره لمجارات الغرب، ودون ذلك ستبقى أعمالنا مضنّة للإتكال والإجترار التكرار والوقوع في حضيض التقليد.

– الدعوة الى ضرورة تشكيل خطاب نقدي عربي يقوم على نقد ومراجعة التأليفات والنتاجات الجديدة في المشهد الثقافي والأدبي العربي، بغرض فحصها واستبانة قيمتها العلمية، وتقطير العناصر المعرفية الكامنة التي تفرزها هذه العملية النقدية من خلال تقنية المحاورة والحجاج والتناظر العلمي.

– ضرورة جمع كل مؤلفات سعد مصلوح المتعلقة باللسانيات النصية في كتاب واحد وعرضها عليه بغية الافادة من الشروح والتعليقات والملاحظات الهامة، التي لم تضمن في كتبه المتفرقة واثراء ما ورد فيها في مؤتمرات وملتقيات واستكتابات....

– الإعتناء بالمصطلح اللساني النصي من خلال محاولات جادة وفاعلة في توحيده وتأسيسه، من خلال الانطلاق في مراجعة مصطلحية مستفيضة تحكمها الضوابط العلمية والموضوعية، مع مراعاة اللغة العربية وخصوصيتها ودون الإخلال بالثوابت التراثية.

ملاحق الدراسة

سيرة سعد مصلوح الذاتية :

ولد **الدكتور سعدعبد العزيز مصلوح**: بمحافظة المنيا سنة 1943، زاول دراسته بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وتحصل على شهادة اللسانس سنة 1963، وعلى الماجستير 1968 بإشراف الأستاذ عبد الرحمان أيوب، كما تحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة موسكو سنة 1975في موضوع صوتيات القافية، عمل استاذا بكلية دار العلوم 1964، ثم بكلية الآداب فرع بني سويف، ثم أستاذاً مشاركاً في كلية الآداب1980 بجامعة فهد بن عبد العزيز، وخبيراً بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. ليستقر بكلية الاداب بجامعة الكويت إلى يومنا هذا.

عضوية الجمعيات والهيئات العلمية العربية والعالمية:

- الجمعية المصرية للنقد الأدبي.
- الجمعية التاريخية المصرية.
- المنظمة العربية للترجمة –عضو لجنة تنسيق اللسانيات والمعاجم.
- الجمعية الدولية للمترجمين العرب.
- الجمعية الدولية للغة العربية.

الخبرات الأكاديمية:

- مدير برنامج الماجستير في اللغة العربية وآدابها جامعة الكويت 2004 – 2006.
- عضو لجنة التأليف والتعريب والنشر ، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت 2005 – إلى الآن
- عضو لجنة ترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين كلية الآداب جامعة الكويت 2004 – 2006.
- عضو لجنة التقييم والقياس جامعة الكويت 2004 – 2005.
- رئيس قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة القاهرة فرع بني سويف 1990 – 1991.
- رئيس قسم الصوتيات بمعهد الخرطوم الدولي 1983 – 1987.

- تحكيم البحوث العلمية لعدد من المجلات العلمية والمؤسسات الأكاديمية.
- التحكيم العلمي للترقيات إلى درجة أستاذ وأستاذ مساعد لعدد من الجامعات والمؤسسات الأكاديمية.
- مناقشة عدد من الأطروحات العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه في عدة جامعات عربية.

أهم مولفاته:

- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، عالم الكتب – القاهرة، 2006.
-في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب – القاهرة، 2004.
-في اللسانيات العربية المعاصرة : دراسات ومثاقفات، عالم الكتب – القاهرة ، 2004.
-دراسة السمع والكلام: صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، ط 2، عالم الكتب – القاهرة، 2005.
-في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، ط 3، عالم الكتب – القاهرة، 2002.
-الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ط 3، عالم الكتب – القاهرة، 1991.
-حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، عالم الكتب – القاهرة، 1980.

أهم بحوثه:

-نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول، مج 10، ع 1 – 2.
-التناسب الزمني بين الحركات القصيرة والطويلة – دراسة صوتية معملية في القافية العربية، مجلة معهد اللغة العربية – جامعة أم القرى – السعودية ،ع 4.
- في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة: دراسة في دواوين البارودي وشوقي والشابي " ، مجلة الفكر التونسية مجلة الحياة الثقافية التونسية . أعيد نشره في كتاب: في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية

-حول التفسيرات الماركسية لظهور الإسلام ، مجلة المسلم المعاصر،ع 7 ، 1976، ص 57–67.
-رأي في الوقف بالنقل، حوليات كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، ع 11.

-قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب: دراسة لنماذج من كتابات العقاد والرافعي وطه حسين مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز – السعودية ، ع 1 ، ص 49 – 169.

-تحقيق نسبة النص إلى المؤلف: دراسة في الثابت والمنسوب من شعر شوقي ، مجلة فصول، مج 3 ،ع 1

-عن مناهج العمل في الأطالس اللغوية "، حوليات كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، ع 7.

المدخل إلى علم الأصوات للدكتور صلاح صالح حسنين: عرض ونقد، المجلة العربية للدراسات اللغوية – الخرطوم ، مج 3 ، ع 1 ، ص ص 77 – 106.

-دراسة نقدية لكتاب المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي لعبد الصبور شاهين ، المجلة العربية للدراسات اللغوية – الخرطوم، مج 2،ع 2.

-علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب " ، مجلة فصول – مصر، مج 5 ،ع 3.

-في صوتيات العربية للدكتور محيي الدين رمضان: مراجعة وتصويب" ، المجلة العربية للدراسات اللغوية– الخرطوم، مج 3، ع 2.

-مؤشرات لغوية إحصائية في عناوين الصحافة العربية: السودان ، مصر ، ليبيا ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية – الخرطوم ، 1985.

-المصطلح اللساني وتحديث العروض العربي ، مجلة فصول – مصر ، مج 6 ، ع 4 .

-في مسألة البديل لعروض الخليل: دفاع عن فايل ، مجلة فصول – مصر ، مج 20 ، ع 2 ،

-الدراسة الإحصائية للأسلوب: بحث في المفهوم والإجراء والوظيفة" مجلة عالم الفكر– الكويت، مج 20،ع 3.

العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، الكتاب التذكاري للأستاذ عبد السلام هارون ،كلية الآداب جامعة الكويت.

-مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، وقائع ندوة: قراءة جديدة لتراثنا النقدي – نادي جدة الأدبي الثقافي ، مج 2 .

-اللسانيات العربية وقراءة النص الأدبي ، مجلة فصول – مصر ، مج 9 ، ع 3 – 4

-دون اللوم وفوق العتاب، مجلة علامات – السعودية ، مج 3 ، مارش 1992 ، -من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية، مجلة عالم الفكر – الكويت ، مج 22 ، ع 3 – 4- هل ثمة آفاق للأسلوبية المعاصرة ؟ ، مجلة عالم الفكر – الكويت ، الملف 22 ، ع 3 – 4 ، المقدمة شرت تقديما للعدد الصادر بعنوان " آفاق الأسلوبية المعاصرة "بصفة صاحب السيرة: محررا ضيفا للعدد

-في صوتيات القافية العربية: تحرير للمسائل واستشراف للحلول- ضمن الكتاب التذكاري للأستاذ الدكتور شكري عياد، دار عين – مصر 1995.

- المذهب النحوي عند تمام حسان، حوليات كلية الآداب – جامعة القاهرة ، مج 59 ، ع 3 ، 1999.

-في البلاغة والتكافؤ النحوي بين العربية والإنجليزية والروسية- ضمن: الندوة الدولية الأولى ثنائية اللغة تحت عنوان: اللغة والثقافة العربية ؛ عالم بلا حدود، جامعة الكويت ، مايو 1999 .

-أحمد الزين ونقد الشعر بالشعر - الكتاب التذكاري للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن، كلية الآداب – جامعة الكويت ، 2007 .

كتب تعليمية:

- الكتابة العربية: مهاراتها وفنونها-، دار العروبة – الكويت، 2002.

- اللغة العربية لمعلمي المرحلة الابتدائية-، الجامعة العربية المفتوحة – الكويت، 2006.

- مهارات الاتصال في اللغة العربية (1)-الجامعة العربية المفتوحة- الكويت، 2007.

- مهارات الاتصال في اللغة العربية (2)- الجامعة العربية المفتوحة- الكويت، 2007.

- اللغة العربية" [إشراف ومشاركة]، (في جزأين للصف الثاني عشر العلمي والأدبي)، وزارة التربية– الكويت، 2005/2004.

قواعد اللغة العربية [إشراف ومشاركة]، (للصف الثاني عشر: العلمي والأدبي)، وزارة التربية– الكويت، 2005/2004.

8النقد والبلاغة [إشراف واشتراك]، (للصف الثاني عشر)، وزارة التربية – الكويت

.2005/2004

تاريخ الأدب العربي من العصر العباسي إلى العصر الحديث " [إشراف واشتراك]، وزارة التربية – الكويت، 2005/2004.

فنون البلاغة [إشراف واشتراك] ، (للمرحلة الثانوية: نظام المقررات) ، وزارة التربية – الكويت ، 2003/2002.

العربية لغتنا" [إشراف واشتراك]، (للمرحلة الثانوية: نظام المقررات، مشترك 81) ، وزارة التربية– الكويت، 2000/1999.

التربية– الكويت،2003/2002.

13قواعد النحو والصرف [إشراف واشتراك] ، (للمرحلة الثانوية: نظام المقررات ؛ مشترك 81)، وزارة التربية– الكويت، ط 2، 2002/2001.

14النحو والصرف- (للصف الأول الثانوي– المعهد الديني)، وزارة التربية– الكويت، 1998/1997.

النحو والصرف- (للصف الثاني الثانوي– المعهد الديني)، وزارة التربية– الكويت، 1999/1998.

16النحو والصرف-(للصف الثالث الثانوي– المعهد الديني)، وزارة التربية– الكويت، 2000/1999.

النحو والصرف- ،(للصف الرابع الثانوي – المعهد الديني) ، وزارة التربية – الكويت، 2001/2000.

كتاب المعلم: النحو والصرف -(لصفوف المرحلة الثانوية – المعهد الديني)، وزارة التربية – الكويت، 2001/2000.

لغتنا العربية [إشراف واشتراك]، (للمرحلة الثانوية: نظام المقررات؛ مقرر82)، وزارة التربية– الكويت، ط2 ،2006/2005.

التدريب اللغوي [مقرر متقدم]، (في كتابين : الأول : في النثر ، الثاني : في الشعر)، دار الترجمة – الكويت،1996.

التدريب اللغوي [للمبتدئين] ، دار العروبة – الكويت، ط 2، 2003.

مراجعات لأعمال مترجمة:

عنف اللغة [عن الإنجليزية]، جان جاك لوسيركل/ تر: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة – بيروت، 2005.

مبادئ علم أصوات الكلام الأكوستيكي "[عن الإنجليزية]، بيتر لاديفوجد/ تر: جلال شمس الدين، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر، 1994.

الوعي والفن [عن الروسية]، غيورغي غاتشيف/ تر: نوفل نيوف، عالم المعرفة(ع 164)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، فبراير، .1990

السينما الروسية: كارثة أم صمت؟ [عن الروسية]، عدد من النقاد/ تر :نديم معلا، مجلة الثقافة العالمية (ع 82)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، مايو/ يونيو1997، ص ص 160–182.

أعماله المترجمة:

في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة، إدوين غنتسلر، المنظمة العربية للترجمة– بيروت، 2007.

مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، آرنست بولجرام ، عالم الكتب – القاهرة ، الطبعة الثانية 2002.

اتجاهات البحث اللساني " [بالاشتراك] ، ميلكا إيفيتش ، المجلس الأعلى للثقافة – مصر ، ط 2، 2000.

الشعر العربي الحديث: تغير أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي "1800–1970]بالاشتراك]، س. موريه، دار غريب– القاهرة، الطبعة الثانية،] .2003الطبعة الأولى: دار الفكر العربي– القاهرة، 1986

موسوعة العلوم الاجتماعية " [بالاشتراك] ، مايكل مان (تحرير) ، مكتبة الفلاح – الكويت ، 1994.

اللغة والمهن: اللغات الخاصة ودورها في الاتصال [بالاشتراك] ، هـ .فيلبر، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب – الرباط ، ع 33 ، 1989

النظرية العامة للمصطلحية: أساس نظري للمعلومات [بالاشتراك] ، هـ. فيلبر ، مجلة المعجمية–

تونس، ع 2 ، 1986 .
حركات التجديد في موسيقا الشعر العربي الحديث، س. موريه ، عالم الكتب – القاهرة ، 1969.
العروض''، ترجمة الفصل السابع من كتاب ''التراث اللغوي العربي''، بوهاس؛ جيوم؛ كولوغلي، [نشر ضمن الترجمة التي قام بها: محمد حسن عبدالعزيز وكمال شاهين للكتاب المذكور]، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر– مصر، 2000
الصوتيات وجماليات القصيدة، أ. و. دي جروت، مجلة ثقافات، جامعة البحرين– البحرين، ع1، 2001.

أوراق بحثية في مؤتمرات علمية:

ورقة ألقيت في مؤتمر الأقليات المسلمة– المجلس الإسلامي الأوروبي، لندن، 1987.
تعقيب على بحث: ''المعجمات العربية وموقعها بين المعجمات العالمية''، ندوة تاج العروس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، 2002.
اللسانيات العربية المعاصرة والتراث؛ حصاد الخمسين ''،الندوة العلمية الدولية الثانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية– تونس ؛ تحت عنوان :الأصيل والدخيل في التراث العربي الإسلامي، نوفمبر1998.
.4هل هناك مكان لنقد غير لغوي؟، أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي تحت عنوان: النقد الأدبي في منعطف القرن، القاهرة، أكتوبر1997.
الاختلاف الحضاري والتنوع الخلاق''، تعقيب على بحث لعبد السلام المسدي، مؤتمر: تقاليد الاختلاف في الثقافة العربية، كلية الآداب– جامعة الكويت، 30 مارس– إبريل 2002، أعمال المؤتمر.

-تعليق الجار والمجرور من منظور نحوي معجمي، ندوة: المعاجم العامة والمختصة، جامعة الكويت، 1999

حاشية أسلوبية على لغة الخطاب النقدي، مؤتمر: المصطلح الأدبي، المجلس الأعلى للثقافة– مصر،1998.

حلقات بحثية:

-ندوة عن الأسلوبية؛ عقدت ضمن مهرجان: شوقي وحافظ، الذي أقامته مجلة فصول، 1982، بالاشتراك مع عزالدين اسماعيل، حمادي صمود، سامي خشبة، عبدالسلام المسدي، كمال أبو ديب، الهادي الطرابلسي، ونشرت في فصول، مج 5، ع1، 1984.

-مائدة مستديرة حول النقد الحديث، عقدت إبان الاحتفال بخمسينية الشاعر أبي القاسم الشابي، تونس- 1984، بالاشتراك مع: وحيد السعفي، جابر عصفور، عبدالرحمان أيوب، محمد القاضي، عبدالله صولة، المنصف الجزار، عبدالعزيز قاسم، ونشرت في: مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع 34، 1984.

محاضرات عامة:

حول مفهوم التخصص والبينية : علوم العربية نموذجا، الموسم الثقافي لكلية الآداب– الكويت، 2004/12/5.

.2آفاق نحو النص، الموسم الثقافي لقسم النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم– جامعة القاهرة،2005.

اللغة مرآة وأداة وسلاحا ، ألقيت في رابطة الأدباء – الكويت، 2000.

في صوتيات القافية العربية ، ألقيت بالموسم الثقافي لكلية الآداب – جامعة الكويت، 2002.

استثمار الفوضى في المصطلح اللساني " ، الموسم الثقافي لقسم اللغة العربية – جامعة الكويت، 2000/3/5 ..أمير الشعراء أحمد شوقي ومسرحه الكوميدي " [بالاشتراك]، الموسم الثقافي لكلية الآداب – جامعة الكويت، 1998.

حضور المترجم في النص ، محاضرة في رابطة الأدباء – الكويت ، 1999.

.8مشكلات الترجمة في اللغتين العربية والإنجليزية "[بالاشتراك] ،الموسم الثقافي لكلية الآداب –

جامعة الكويت،1999.

الاتجاه اللغوي في النقد الحديث ، نادي جدة الأدبي الثقافي – السعودية، 1982.

نشرت محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، المجموعة الثانية ، 1985

اللهجات العربية وعلاقتها بالفصحى، الموسم الثقافي لكلية التربية الأساسية – الكويت؛ [نشرت في محاضر الموسم الثقافي – الكويت، 1987.

عن كتاب أضواء على لغتنا السمحة ؛ لمحمد خليفة التونسي " ، الموسم الثقافي لكلية التربية الأساسية – الكويت ، 1987.

مقالات في دوريات ثقافية:

- مدارج الشعرية في ديوان خالد سعود الزيد ، مجلة البيان – الكويت، ع 402، 2004،
- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للأستاذ محمود محمد شاكر، قراءة نقدية، مجلة العربي – الكويت، ع 353، 1988
- إن الغسول لا يفيد بياضا ، جريدة الوطن – الكويت، 1993.
- هل أتاك حديث الفتى؟ ، صحيفة الرياض – السعودية، ملحق ثقافة اليوم، 1994.
- لست ناقدا بنيويا ولا في نيتي أن أكون"، صحيفة المدينة – السعودية، 1982.
- اللغة والتطور والمنهج المعياري"، مجلة الفيصل – السعودية ، 1984.

دووابن الشعر:

- خطوات على الأعراف، مجلة العربي – الكويت، ع 537، 2003،
- غفرت لأيامي ، البيان – الكويت ، ع 396 – 397 ، 2003.
- آيات من سفر الخروج، البيان – الكويت ، ع 363 ،
- اعتراف، البيان– الكويت.
- ذالية عاشقة، البيان – الكويت، ع 419، 2005.
- عيناك زادي، البيان – الكويت، ع 416، 2005.

- في طوى الأقداس؛ كلمات في الميلاد الجديد لخالد سعود الزيد"، البيان – الكويت، ع 381، 2002

منقول للإفادة عن الموقع الالكتروني : سعد مصلوح: موقع الأستاذ محمد حماسة تاريخ الدخول 2022/09/30، https://www.hamassa.com/

مسرد المصطلحات

مسرد المصطلحات:

المصطلح العربي	المقابل الأجنبيي
A	
القبول	Acceptability
C	
السبك	Cohesion
سياق	Context
الرؤية النقدية	Critical Vision
احالة الى لاحق	Cataphora
المصاحبة المعجمية	Collocation
الوصل	Con junction
أدوات الربط	Conjunctions
اتصال	Contact
الاستمرارية	Continuity
حدث إتصالي	Communicative occurrence
الإبداع	creativity
D	

Descriptive linguistics	اللسانيات الوصفية
Discourse analysis	تحليل الخطاب
Dialectic	الجدل
F	
Full reccurrence	تكرار محض
G	
Grammatical dependency	الاعتماد النحوي
Grammatical cohesion	السبك النحوي
General words	كلمات عامة
Grammars	قواعد
i	
Intentionality	القصد
Informativity	الاعلام
Intertuxtuality	تناص
Interference	تداخل
Intellectuals	المثاقفة
L	

Language	اللغة
Lexical cohesion	السبك المعجمي
Lexical reccurrence	تكرار معجمي
Logical relations	علاقات منطقية
Linguistic reference	المرجعية اللغوية
	M
Meaning	المعنى
Meter	الوزن
Morphology	الصرف
Modernity	الحداثة
	O
Oppositeness	تضاد
	P
Parallelism	التوازي
Partial reccurrrence	تكرار جزئي
Phonological reccurrence	تكرار صوتي
Poem	قصيدة

Poetic texts	نصوص شعرية
R	
Reiteration	تكرار
Relations	علاقات
Reading	القراءة
Renovation	التجديد
Read openness	قراءة الانفتاح
Reconstructional function	وظيفة إعادة البناء
S	
Syntax	التركيب
Synonym	ترادف
Surface text	ظاهر النص
Surface cues	مفاتيح ظاهرة
Stretch of text	امتداد النص
Structure	بنية
Science of texts	علم النصوص
Semantic unit	وحدة دلالية

Sentence grammar	نحو الجملة
Situationality	المقامية
Social situation	الموقف الاجتماعي
T	
Text	النص
The problematic heritage	اشكالية التراث
Text grammar	نحو النص
Textual linguistcs	لسانيات النص
Textuality	النصية
Text world	عالم النص

قائمة

المصادر والمراجع

– قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية حفص.

– المصادر(مدونة الدراسة):

سعد مصلوح:

1. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلة النشر العلمي جامعة الكويت 2003.
2. في اللسانيات والنقد أوراق بينية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2017.
3. العربية من نحو الجملة الى نحو النص، ضمن كتاب الاستاذ عبد السلام هارون، معلما ومحققا، تحرير وديعة طه نجم وعبده بدوي، كلية الآداب الكويت، 1990
4. الأسلوب دراسة لغوية احصائية، عالم الكتب، ط3، 1992.
5. نحو اجرومية النص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، العدد1-2، 1991.
6. في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، ط1، 2004.
7. المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، لعبد الصبور شاهين، نقد وتقويم، المجلة العربي للدراسات اللغوية، الخرطوم
8. في النقداللساني، دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب، القاهرة 2004.
9. علم الأسلوب ومصادرة على المطلوب، مجلة فصول، عدد3، 1985.
10. دراسات نقدية في اللسانيات العربية، عالم الكتب، ط1 1998 .
11. عن دقائق التلبيس بين التأليف والترجمة، مجلة اللساني عدد1، مج1، 2021.
12. في اللسانيات العربية المعاصرة– دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004.

13. قراءة نقدية في كتاب رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للأستاذ محمود شاكر، مجلة العربي، عدد353، 1988.

- المراجع:

- الكتب العربية:

1. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، القاهرة، ط2، 1992.
2. ابن حني، الخصائص، تحقيق/عبد الحميد هندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2003.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج6، ج55.
4. أبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق هضيمة، لجنة احياء التراث، ج01، ط3، 1994.
5. أبو القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق مزيد نعيم شوقي العمري مكتبة ناشرون، لبنان، ط1،1998.
6. أبو عثمان، عمر بن حجر الجاحظ، البيان والتبين تحقيق عبد السلام محمد هارون ط7، ج1 مكتبة خانجي -مصر ،1998.
7. أبو فهر محمود محمد شاكر، نمط صعب ونمط مخيف، منشورات مطبعة المدني بمصر ودار المدني بجدة، ط1، 1996
8. أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البيانية، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1991.
9. أحمد المتوكل، بنية الخطاب من الجملة الى النص، دار الايمان للنشر والتوزيع، الرباط ،2001
10. أحمد على عبد الراضى، نحو النص بين الحداثة والمعاصرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2007.
11. أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مطبعة الحلبي، مصر، ط1،1950.
12. أحمدعفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، 2001

13. آراء عابد الجرماني، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات الضفاف الاختلاف، ط1، 2012.
14. الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي الاسلامي، ط1، 1993.
15. أسامة، ابن المنقذ، البديع في نقد الشعر تحقيق عبد الإله علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1987.
16. أشرف، عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي في كتب الإعجاز القرآني، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2008.
17. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، سلسلة اللسانيات، مج14، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1 ،2001.
18. أمين خولي، فن القول، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1996.
19. بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، 1958.
20. تمام حسان: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة: ط1،2007.
21. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو مصرية، مصر 1953
22. تمام حسان، الأصول دراسة ابستيمولوجية، للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتاب، القاهرة، 2000.
23. تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية :عالم الكتب، القاهرة، ط4 ، 2000.
24. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة المغرب،1994.
25. جلال الدين محمد القزويني الخطيب، تلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، ص
26. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
27. حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009

28. حافظ إسماعيلي علوي، أمحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1 ،2009.

29. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية للنشر لونجمان، ط1997،1.

30. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2001.

31. سلامة موسى، الأدب والشعب، دار جيل للطباعة، القاهرة د ت.

32. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة،

33. صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ج1 ،2000.

34. صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، 1998.

35. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط2، 2000.

36. عبد الرحمان العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية في مصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013.

37. عبد الرحمان أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة، ط1، 1957.

38. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، 1984.

39. عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، دار عبد الكريم للنشر والتوزيع، تونس، د ط،1994.

40. عبد السلام المسدي، الفكر العربي والألسنية، اللسانيات واللغة العربية، ع4 ،1984 .

41. عبد العزيز عتيق في البلاغة العربية، دار النهضة العربي، بيروت لبنان،

42. عبد الله بن أحمد الفيفي، مفاتيح القصيدة الجاهلية، نحو رؤية نقدية جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الاثار والميثولوجيا، عالم الكتب الحديث،2014

43. عبد الملك مرتاض: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة"أين ليلاي"لمحمدالعيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دس

44. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، 1998

45. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004.

46. عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، دار القلم، الكويت، ط1 ، 1985

47. عز الدين المجدوب، المنوال النحوي العربي، دار محمد الحامي، تونس: ط1،1998.

48. على أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2007.

49. عمر أبوخرمة، نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، 2004.

50. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مادة (نص)، 2008.

51. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والحديث، القاهرة: دار غريب للنشر،2005.

52. ليندة قياس: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجا، مكتبة الآداب، ط1، 2009

53. مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1989

54. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل الى علم النص، ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف

55. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، سلسلة اللسانيات، مج14، المؤسسةالعربية للتوزيع، تونس، ط1 ،2001

56. محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، الأكاديمية الحديثة للكتاب العربي، ط2، 2007

57. محمد تحريشي، الترجمة: النص والحمولة المعرفية، كتابات معاصرة، ع32، 1998

58. محمد حماسة التحليل النصي للقصيدة، سلسلة دراسات عربية، ج1، 1986.
59. محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
60. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، د ت.
61. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتجية التناص، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992.
62. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، رسائل وأطروحات، رقم4، 1991.
63. نور الدين، السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة الجزائر ،2010.
64. يوسف بن محمد السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.
65. يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقه للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1997

الكتب المترجمة:

66. إدوين غنتسلر، في نظرية الترجمة اتجاهات معاصرة، ترجمة سعد مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.
67. برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الادبية، دراسة الأسلوب البلاغة وعلم اللغة النصي، ترجمة محمد جاب الرب، الدار الفنية، القاهرة ط1، 1987.
68. تزيفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.
69. دومنيك مانغومو، معجم المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد ياحتين، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر 2008.

70. روبرت دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1998.

71. رولان بارط، لذة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سبحان، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1998.

72. رولان بارط، درس السيميولوجيا، ترجمة ع بنعبد العالي تقديم عبد الفتاح كليطو، دار توبقال للنشر، ط3 ،1993.

73. فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر/عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق ،2000.

74. فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر، مدخل الى علم النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004

75. ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح وفاء كامل فايد المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

76. نورمان فيركلو، الخطاب بوصفه ضرورة اجتماعية، ترجمة: رشاد عبد القادر، مجلة الكرمل، فلسطين عدد64 ،2000.

77. يورى لوتمان تحليل الخطاب الشعري بنية القصيدة، ترجمة محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة،1995.

الكتب الأجنبية:

1. **Camille I. Hechaimé**, La Traduction par les Textes Dar El- Machrek. Beyrouth.2002.

2. **j. kristeva**: recherche pour une sémanalyse, éditions du seuil, paris, 1969

- المجلات والدوريات:

1. أحمد مطلوب، منهج السكاكي في البلاغة، مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد، العدد10، 1962.
2. أحمد يوسف على، البلاغة العربية بين الموت والاحياء، علامات في النقد، عدد84، 2015.
3. أحمد، مختار عمر: المصطلح الألسني العربي وضبط منهجيته، المجلد20، العدد03 مجلة عام الفكر، 1989.
4. بشير إبرير، مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، علامات في النقد، ج49، م13، 2003 .
5. بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة تواصل، جامعة باجي مختار عنابة، عدد14، جوان 2005.
6. جميل عبد المجيد حسين، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، مجلة عالم الفكر، عدد2، مج 32، 2003.
7. حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصركتابات سعد مصلوح أنموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات المجلد،9العدد1، 2016.
8. سارة ميلز، الخطاب، ترجمة غريب اسكندر، مجلة نزوى عدد 2009.
9. سامية بن دريس، يوسف وغليسي، أجرومية النص لدى سعد مصلوح، قراءة في كتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" لتمام حسان، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، عدد1، مج 34، 2020.
10. سعد رفعت سرحت، هل كان النحو العربِي حبيس الجملة؟ أثر المغالطة فِي ترسيخ هذه الفكرة مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، ع26، م7، 2019، ص120
11. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992
12. عبد الرحمان إكيدر، الصواب والخطأ بين معيارية النحو ووصفية اللسانيات، مجلة جذور، عدد 45 ،2016.

13. عبد السلام السيد حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، جامعة السلطان قابوس،2015.
14. عبد السلام حامد، أمن اللبس بين النحو العربي ولسانيات النص، مجلة "إلابراهيمي للآداب والعلوم إلانسانية" – جامعة برج بوعريريج مج: 02 ع: 01، 2021.
15. عبد الملك مرتاض، مقدمة في نظرية البلاغة: متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها. مجلة جذور، عدد 28، 2008
16. مازن مبارك، التجديد في علوم البلاغة، مجلو آفاق الثقافة والتراث، عدد55، 2006.
17. محمد خير البقاعي، تلقي رولان بارت في الخطاب النقدي واللساني والترجمي كتابه لذة النص نموذجا، مجلة عالم الفكر، عدد1، 1998.
18. محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان اللغة العربية، معناها ومبناها حوليات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجامعة التونسية، تونس : ع17 ،1979.
19. محمد مفتاح، بعض خصائص الخطاب، مجلة علامات، ج35، مج 09، 2000.
20. محمد، الصغير بناني، مفهوم النص عند المنظرين القدماء، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر، ع12.
21. نور الدين السد، السيميائية والخطاب الأدبي، مجلة دراسات، عدد 2، 2005.

– الرسائل الجامعية:

1. بركات مبروك، النقد اللساني العربي دراسة تقويمية للبحوث النحوية النقدية الحديثة، أطروحة دكتوراه، كليةالآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر،2016/2017.
2. سامية ادريس، النقد اللساني لدى سعد مصلوح، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2019/2018.

– المواقع الالكترونية:

1. أحمد يوسف علي، سؤال البلاغة عند سعد مصلوح تاريخ الدخول 2022/09/17 /http://www.alkalimah.net

2. سعد مصلوح: موقع الاستاذ محمد حماسة، تاريخ الدخول 2022/08/17 https://2u.pw/xvE1N

فهرس

الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
مقدمة :	أ
المدخل: لسانيات النص: الدواعي المفهوم والآفاق	
1/ اللسانيات النصية ودواعي التأسيس:	19
2/ الإطار الإبستمولوجي للسانيّات النصّية:	23
1.2/ مفهوم النص لغة :	23
2.2/ مفهوم النص في الدراسات الغربية:	25
3.2/ مفهوم النص في الدراسات العربية:	30
3/ العلاقة بين النص والعمل الأدبي:	33
4/ العلاقة بين النص والخطاب:	35
1.4/ النص مرادف للخطاب:	35
2.4/ النص مميز للخطاب:	36
5/ مفهوم لسانيات النص:	38
6/ مسوغات الانتقال من لسانيات الجملة الى لسانيات النص:	40
الفصل الاول: المرجعية الفكرية لسعد مصلوح وتجلياتها المعرفية	
1/ تمهيد:	42
2/ سؤال المرجعية الفكرية عند سعد مصلوح:	44
1.2/ أصالة المرجعية التراثية:	44
2.2/ حضور المرجعية اللسانية الغربية:	46
3.2/ المرجعية التكاملية:	49
4.2/ تأثيرات الخلفية الأكاديمية:	50
5.4/ الخطاب المقدماتي:	52
6.2/ التوثيق العلمي:	53
7.2/ سؤال الترجمة والمثاقفة عند سعد مصلوح:	56

3/ سؤال الفاعلية في مشروع سعد مصلوح الفكري:	59
1.3/ خصوصية التجربة اللسانية النصية عند سعد مصلوح:	60
2.3/ سعد مصلوح وجدلية الريادة في لسانيات النص –التبشير باللسانيات النصية–	62
3.3/ أزمة اللسانيات من منظور سعد مصلوح:	64
4/ التراث وسؤال الحداثة في فكر سعد مصلوح :	66
1.4/ قراءة الاسقاط:	67
2.4/ قراءة القطيعة المعرفية:	68
3.4/ القراءة التوفيقية:	68
4.4/ قراءة السيرورة المعرفية:	69
5/ المفهوم والمصطلح:	71
6/ المنهج ومكامن الإبداع:	73
7/ سعد مصلوح في دائرة النقد:	75
الفصل الثاني: مقومات المشروع اللساني النصي عند الدكتور سعد مصلوح	
1/ تمهيد	81
2/ خطاب التنظير وسؤال الغاية المعرفية:	82
1.2/ العلة الغائية من نحو النص:	89
2.2/ ماهية نحو النص:	91
3.2/موقع نظرية نحو النص من النظرية اللسانية:	96
4.2/ نحو النص بين الجملية والنصية:	96
3/ المسنوى الإجرائي للمشروع اللساني النصي عند سعد مصلوح:	101
1.3/ تمهيد:	101
2.3/ تقسيم القصيدة:	104
3.3/ السبك:	106
4.3/ الحبك:	110
5.3/ منطق التداعي:	112

6.3/ أزمنة النص:	113
الفصل الثالث: تشكلات المراجعة التقويمية في البحث اللساني النصي عند سعد مصلوح	
1/ تمهيد:	116
2/ السمات المنهجية في مراجعات سعد مصلوح التقويمية:	121
1.2/ أمن اللبس غاية الإستعمال وقوام نظامه:	125
3.2/ الاتجاه البلاغي في دراسة المعنى:	128
3.3/ نحو النص من منظور تمام حسان:	131
4.3/ مسائل المطابقة بين تمام حسان وسعد مصلوح:	134
5.3/ في المسائل الخلافية:	136
6.3/ من أمن اللبس إلى غاية التلبـيس:	141
7.3/ المنحى البلاغي في نحو النص:	142
4/ قراءة في أوجه المراجعة التقويمية عند سعد مصلوح:	144
5/ في بناء النص النقدى التقويمي:	146
الفصل الرابع: المكون البلاغي عند سعد مصلوح –من نمطية الجملة إلى تعددية النص-	
1/ تمهيد:	152
2/ العلاقة بين البلاغة ولسانيات النص عند سعد مصلوح:	155
3/اتجاهات البحث البلاغي:	157
4/ السكاكي في دائرة النقد:	161
5/ مشروع أمين الخولي وأحمد الشايب من منظور سعد مصلوح:	165
6/ النظرية البلاغية المنهجية عند السكاكي:	167
7/ البلاغة العربية من منظور البحث اللساني:	174
8/ نظرة عصرية لمضامين مفتاح العلوم:	174
الخاتمة	
ملاحق الدراسة :	
معجم المصطلحات:	

قائمة المصادر والمراجع:	
ملخص:	

الملخص:

صاحَب انتقال الخطاب اللساني النصي إلى الدراسات اللغوية العربية، انفتاحا واسعا مثله كوكبة من الدارسين الذين كان لهم كبيرُ الأثر في لفت انتباه المتلقي العربي إلى القيمة المعرفية والمنهجية لهذا المجال المعرفي، ويعد المشروع اللساني النصي للدكتور :سعد مصلوح أحد أهم ما أُنجز في هذا المجال،وذلك بالنظر إلى ما حوته جهوده المتآخذة من جدّة وجودة وتفرّد وريادة في إرساء معالم لسانيات نصية تميزت بهويتها العربية وخصوصيتها الثقافية، إضافة إلى بنائها المحكم الذي انعكس على ثراء غير حدود، اختلف بين التنظير والتطبيق والنقد والمراجعات، كما لامس علوما كثيرة كالنحو العربي والبلاغة والأسلوبيات اللسانية والنقد .

وفي هذا السياق تأتي دراستنا لتُجلي مكامن الإبداع اللساني في هذا الجهد المتميز عبر مؤلفات«سعد مصلوح" وأعماله البحثية التي جاءت متكاملة، ومتسلسلةزمنياً ومعرفياً ومنهجياً، إذ أن كل بحث يُفضي إلى البحث الذي يليه، فيُبنى عليه ولا يقوم إلا به، وذلك على الرغم من الهوة الزمنية الفاصلة بينها، إضافة إلى أنها وردت متسقة ومنسجمة مع الخطوط العريضة التي انتدبت لأجل لبحث فيها، والتي استطاع من خلالها أن يطرح أُمهات القضايا التي تعد لبنات تأسيسية لهذا المجال المعرفي في صلب الدرس اللغوي العربي الحديث والمعاصر، وجعلت من الإلمام بمحتوياتها فريضة علمية مطلوبة لكل دارس للسانيات النصية في كل الأقطار العربة.

كلمات مفتاحية: لسانيات النص، عربية، نحو عربي، بلاغة، أسلوبيات، نقد، سعد مصلوح.

Abstract:

The transition of text linguistics into Arabic linguistic studies came withan openness that brought with it a plethora of scholars who had a great impact on drawing attention to the cognitive and methodological value of this domain. In the same token, the text-linguistic project of Dr.Saad Maslouh is one of the most important achievements of the aforementioned field. That is due to the role of his tremendous efforts, which were characterized by high-quality, uniqueness and being pioneering, in establishing the main principles of text linguistics characterized with an Arab identity and a cultural specificity.In addition to its well-structure, which was reflected in richness, it also possessed well-established differences that draw the line between theory and practice and

criticism and revision.It touched on many sciences such as Arabic grammar, rhetoric, stylistics, and criticism.

Following on that, our study seeks to showcase the large reservoirs of linguistic creativity in thisdistinguished effort by examining the writings of Saad Maslouh, as well as his contributions to research.The latter arewell-integrated and well-organized at a chronical level, a cognitive level, and even at a systematic level. Every single work of his leads to the next, building on it and relying on it, despite the existing time gaps. In addition to that, his researchis consistent and cohesivewithwhatever outlines that were designed for it in the first place. Through that, he was able to get to the core of several research problems that are deemed as essential and foundational in this domain that is at the heart of modern contemporary Arabic linguistics. This makes familiarizing one's self with these works a scientific obligation, a duty even, for any disciple of text linguistics all over the Arab World.

Key Words: Text Linguistics, Arabic Grammar, Rhetoric, Stylistics, Criticism, Saad Maslouh.